

الفوائد المشوق إلى
علوم القرآن
وعلم البيان

للإمام العالم تميم الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر
ابن أيوب الزرعي المعروف بابن القيم إمام الجوزية
المثوني سنة ٧٥١ هـ

حقوق الطبع محفوظة

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(رب يسر)

قال الشيخ الامام العالم العلامة . الحبر البحر القهامة . سيد الحفاظ .
وفارس المعاني والألقاظ . مفسر القرآن . ذو الفنون البديعة الحسان . أبو
عبد الله محمد بن قيم الجوزية رحم الله روحه ، ونور ضريحه *
الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
وسيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له . ومن يضلل فلا هادي له
ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له . ونشهد أن محمدا عبده ورسوله
أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا . أرسله
بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً . وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً . فهدى
بنوره من الضلالة وبصر به من العمى . وأرشد به من الغي . وفتح به

أعيناً عمياً . وآذاناً صماً . وقلوباً غلفاً . (وبعد) فإن الله تفضل على هذه الأمة أن جعلهم عدولا خيارا وجعلهم شهداء في أرضه شهداء على الناس يوم ترى الناس سكارى وبعث اليهم أقربهم اليه محبة وإيثارا وأعظمهم لديه شرفا ومقدارا وأنزل عليه كتابه المجيد الذي لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وحسبهم بذلك علواً ونخارا وجعله نوراً وسراطاً مستقيماً وحث على تعلمه وعلمه ليعم بإحسانه ويؤتي من لذه أجراً عظيماً وأقامه حجة على من ضل ومحجة لمن اهتدى وأودعه حكمة وموعظة وهدى ونصبه دليلاً على الحق لا يضعف ولا يهوى وسيلا يصدر عنه كل رشد واليه ينتهى وطريقاً تجلّ بأسلاك نفائس الاعمال أهل سلوكها وبرهاناً واضحاً يزجرهم عن خلل انحلال عقائدهم وشكوكها وأودعه من الاعجاز ما لا يحصر بمحصر حاصر ولا بعدة عاد من الامر والنهي والوعد والوعيد والحكم والامثال والمواعظ وقصص القرون السالفة كاستجاب الرسّ وقوم عاد فكم في لفظه من إيجاز يسفّه حلم من يقول بلفظه وكم في معناه مغنٍ للجاذب في حفظه أبدعت في أنواع البديع كلماته وأغربت في أجناس التجنيس سورة وآياته ورمت أرباب الفصاحة بالجوهر والى فصاحته وجزالته وأخرست ألسنتهم الذريرة فأعيتهم معارضته وإزالته فأقروا له بعد تسفيه أحلامهم وتقريعهم وتعجيزهم بالخلابة والطلاوة وعلموا أنه ليس من كلام البشر ولكن غلبت عليهم الشقاوة هذا مع أنهم لم يتدبروا أكثر معانيه بل قالوا لا نسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه طلبوا الغلب وظنوا أنهم غالبون وأوسعوا الطلب فولوا وهم خائبون يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون أنزله بلسان العرب ليكون حجة عليهم ونسخ به جميع الكتب فكان أنزله أشد نازلة لديهم وجعل أعظم معجزاته دوام آياته متلوا باللسنة باقياً مع بقاء الازمنة محفوظاً في الصدور منتقلة في الصحائف والمصاحف من لدن الرسول محروسة من التبديل والتغيير والزيادة والنقصان والذهول قرآن لا يأسأ منه تاليه مع تكراره وتواليه ولا يملّه وأعيه بل تتوفر على توقيره دواعيه في كل حين تظهر فيه من فضايا التنزيل وخفايا التأويل من نتائج أفكار الخلف غير

ما جادت به فطن السائق كل حرف منه تنفجر به ينابيع من الحكمة وكل كلمة
تقطر منها سحاب الرضوان والرحمة وكل آية تحتوى على بحار من الإعجاز زواجر
وكل سورة تكاد تنطق بعلوم الأوائل والآخر لم نجد له في الكتب السالفة نظيرا
ولم نعد إليه كف معروض منازلا كان أو مغيرا قل لئن اجتمعت الانس والجن على
أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فإمرام أحد
معارضة إلا عرضت له عوارض النقي والسكر ولا قصد مباراته إلا رمى به بجزر القول
وإن كان من أرباب الماسن وعوض من كلامه الفصيح باللفظ الركيك والمعنى القبيح قام
إعجازه بمعجزهم وتحققوا أنه ليس من تسجيهم ولا ترجيزهم وصرفهم الإباء عن
ترك دين آباؤهم إلى الدنية وصرفهم الحجة حجة الجاهلية عجوا عن الايمان بسورة
أو آية وانتهوا من عنادهم في التكذيب به إلى غاية فأعقبهم نفاقا في قلوبهم وجعلهم
لمن بعدهم آية فهو الصراط المستقيم والذكر العظيم والكتاب الحكيم والنور
المنين والحبل المتين والعروة الوثقى والآية العظمى وكلمات الله والذكرى والدرجة
العليا وهو شفاء الغليل ودواء العليل والبرهان والدليل والبشير والنذير والبصائر
والمثنائى والقصص والتذكرة والأنباء والآيات المبصرة والحكم والبلاغ والتبصرة
والبيان والتبيان والرحمة والبشرى والامان والروح والحديث والتزويل والميزان
وحق اليقين والنبأ العظيم والمحفوظ والكتاب الكريم والقول الفصل والهادى والناطق
والحق والغيب والمكنون والقول الثقيل والحسرة والعجب والصحف المطهرة والكتب
القيمة والخبر والكتاب العزيز والكتاب لا ريب فيه والحكم والمتشابهة والعصمة
والامم والأنس عند الوحشة والفرع والأمن عند الخوف والجزع والضياء يوم القدر
والظلمة والكشف يوم الكرب والغمة من حكم به عدل ومن عدل عنه هوى
قدمه فزل ومن استعصم به عصم ومن استعصم منه الرحمة رحم

(ولما) كان جامعاً لهذه المعاني المتفرقة محتوياً على بدائع المبادئ المشيدة والننون
للتأنفة وضروب من المقاصد الخفية والجلية وأنواع من خفايا أسرار العوالم العلوية
والسفلية أنزله على خير رسول قلبه منبع الحكم وسمعه مقر صريف القلم وعقله

قد استوى على سوقه واستتم لسانه عن الذل والخطأ في منعة وعصم وبصره
وبصيرته عنهما ما اختفى هدى ولا اكتم فبلغه من التبليغ مرامه وبين حلاله
وجرامه وعين فيه مراد الله من خلقه وأحكامه وعرف فيه ونصه وأظهر عامه
وما خصه وأبدى ناسخه ومنسوخه ومحكمه وفهم متشابهه ومبهمه وجلا غوامضه
وخفائيه وأوضح قصصه وقضايه وأظهر عن أمثاله التي ليست لها أمثال وأعلم
بخفي إشاراته التي هي أدق من السحر الحلال وأرق من العذب الزلال وأنبا
بكنايته التي هي أجل من التصريح وصرح بحقيقته التي تسبق إليها الأذهان من غير
تعريض ولا تلويح وأوجز مجازه الذي بغير تدبر لا تجيزه العقول ولو شاء لطلع
هو والحقيقة سنان إلى غير ذلك من العلوم الظاهرة والفنون الباهرة (خلا) ما تضمنه
من العلوم الباطنة والمعاني التي هي إلى الآن في كتمانها كامنه التي لم يطلع الله عليها
من خلقه أحدا والخفايا التي لم يظهر عاينها إلا من ارتضى من رسول فانه يسلك
من بين يديه ومن خلفه رسدا فجزاه الله أحسن جزاء عنا وبلغه أفضل سلام منا
وصلى الله عليه وعلى آله ما طاع نجم وبدا وما اخضل نجم برذاذ وندا ورضى الله
عن أصحابه ليوث غابه وغيوث سحابه

(فكتاب الله تعالى) أشرف ما صرفت إليه الهمم وأعظم مجال فيه فكر ومد
به قلم لأنه منبع كل علم وحكمة ومربع كل هدى ورحمة وهو أجل ما تنسك به
المتنسكون وأقوى ما تمسك به المتسكون من استمسك به فقد علت يده بحبل متين
ومن سلك سبيله فقد سار على طريق قويم وهدى إلى صراط مستقيم

(وقد) أودع الله سبحانه ألفاظ هذا الكتاب العزيز من ضروب الفصاحة
وأجناس البلاغة وأنواع الجزالة وفنون البيان وغوامض اللسان وحسن الترتيب
والتركيب وعجيب السرد وغريب الأسلوب وعذوبة المسامحة وحسن البلاغ وبهجة
الرونق وطلاوة المنطق ما أذهل عقول العقلاء وأخرس ألسنة الفضلاء وألنى
بلاغة الباغاء من العذب وطاشت به حلومهم وتلاشت دونه علومهم وكلت ألسنتهم
الذرية وأقصرت خطبهم المسهبة وقصائد هم المغربية وأراجيزهم المعربة وأسجاعهم

المطربة فعملوا أن معارضة مما ليس في مقدورهم ولا وسعهم ولا داخلها في
تقصيدهم ولا سجعهم وأن ذلك مسلوب ومصرف عن مفردهم وجمعهم وتركوا
الطعن فيه عند تقصيد رماحهم وأذعنوا للاستماع له والعجز عنه بعد تأييدهم
وجاحهم مع قدحه في أربابهم وفدحه لأبائهم وتسفيهه لأحلامهم وتبطله
لأنصابهم وأزلامهم فأمسك ذووا الاحلام منهم عن اللغو فيه والاعتدا وأقبلوا على
تدبره فهدى الله به من هدى ولم يبق على الطعن فيه وترك التدبر لمعانيه إلا من
غلبت عليه الشقاوة وختم الله على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فالتدبوا
لمعارضة ومباراته ومماثلته ومجاراته فأوقعه غيّه في عيّه ولكنه وسقط في سقطات
لسانه بعد بلاغته ولسنه وصار بعد أن كان فارس الفصاحة والبيان ومالك قصبات
السبق في الرهان يضحك من لفظه من سمعه ويحط من قدره من رفعه وذهبت
من لفظه تلك الجزالة وأعظم الله من ضروب الجزاء والخذية الجزاء له كل ذلك
ليظهر لنا عظم قدر كلامه العظيم وأى رونق وبهجة للمحدث إذا قرن بالقديم فمن
جحد منهم انما فعل ذلك عناداً وحسداً لا بآئه أن يقدم عليه أحداً

(روى) أن أبا جهل بن هشام هو والاخنس بن قيس والوليد بن المغيرة اجتمعوا
ليلة يسمعون القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى به في بيته الى أن
أصبحوا فلما انصرفوا جمعهم الطريق فنلاوموا على ذلك وقالوا انه اذا رأىكم سفهاؤكم
تفعلون ذلك فعلموا واستمعوا الى ما يقوله واستمالهم وآمنوا به فلما كان في الليلة الثانية
عادوا وأخذ كل منهم موضعه فلما أصبحوا جمعهم الطريق فاشتد تكبرهم وتعاهدوا وتحالفوا
أن لا يهودوا فلما تعالى النهار جاء الوليد بن المغيرة الى الاخنس بن قيس فقال ما تقول
فما سمعت من محمد فقال ماذا أقول قال بنو عبد المطلب فينا الحجابة قلنا نعم قالوا فينا
السّدانة قلنا نعم قالوا فينا السّقاية قلنا نعم يقولون فينا نبي ينزل عليه الوحي والله لا
آمنت به أبداً (وروى) أن الوليد بن المغيرة سمع من النبي صلى الله عليه وسلم (إن
الله يأمر بالعدل والاحسان) الآية فقال والله ان له حلاوة وان عليه لطاوة وان
أسفله لعذق وان أعلاه لثمر ما يقول هذا بشر (وقال أيضاً) لما اجتمعت قريش عند

حضور الموسم ان وفود العرب ترد فاجمعوا فيه رأيا لا يكذب بعضكم بعضاً فقالوا
نقول كاهن قال والله ماهو بكاهن ولاهو بزمنته ولا سبعة قالوا مجنون قال ماهو
بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر فقال ماهو شاعر قد عرفنا الشعر
كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه قالوا فنقول ساحر قال ماهو
بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما يقول قال ما أنتم بقائلين من هذا شيئاً الا وانا أعرف
انه لا يصدق وان أقرب القول انه ساحر وأنه سحر يفرق به بين المرء وابنه والمرء
وأخيه والمرء وزوجته والمرء وعشيرته فمفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس
فأنزل الله تعالى في الوليد (ذرني ومن خلقت وحيداً) الآيات

(وانما) يعرف فضل القرآن من عرف كلام العرب فعرف علم اللغة وعلم العربية وعلم
البيان ونظر في أشعار العرب وخطبها ومقالاتها في مواطن افتخارها ورسلها وأراجيزها
واسجاعها فعلم منها تلوين الخطاب ومعدوله وفنون البلاغة وضروب الفصاحة وأجناس
التجنيس وبدائع البديع ومحاسن الحكم والامثال فاذا علم ذلك ونظر في هذا الكتاب
العزير ورأى ما أودعه الله سبحانه فيه من البلاغة والفصاحة وفنون البيان فقد أدرك فيه
العجب العجيب والقول الفصل الباب والبلاغة الناصعة التي تحير الالباب وتغلق دونهما
الابواب فكان خطابه للعرب بلسانهم لتقوم به الحجة عليهم ومجاراته لهم في ميدان
الفصاحة ليسبل رداء عجزهم عليهم ويثبت أنه ليس من خطابهم لديهم فمجزت عن مجاراته
فصحاؤهم وكلت عن النطق بمنته السنة بلغاتهم وبرز في رونق الجمال والجلال في أعدل
ميزان من المناسبة والاعتدال ولذلك يقع في النفوس عند تلاوته وسامعه من الروعة ما يملأ
القلوب هيبه والنفوس خشية وتستلذه الاسماع وتميل اليه بالحنين الطباع سواء كانت فاهمة
لمعانيه أو غير فاهمة عالمة بما يحتويه أو غير عالمة كافرة بما جاء به أو مؤمنة . . وسنورد في
كتابنا هذا أصولاً مؤصلة وفوائد مفصلة من علم البيان وما ورد نظيره في القرآن ما تنقف
عليه ويعجبك عند النظر اليه

(قال المصنف رضى الله عنه) وهذه الجملة التي تأصلت ونحصلت والفوائد التي بعد
إجمالها فصلت نقلتها من كتب ذوى الأتقان علماء علم البيان التي وقفت عليها وترقت مهمة

اطلاعى اليها من كتب المتقدمين والمتأخرين وهى كتاب البديع لابن المعتز . وكتاب
الحالى والعاطل للحامى . وكتاب المحاضرة له . وكتاب الصناعتين للمسكرى . وكتاب الامع
للمجمى . وكتاب المثل السائر لابن الاثير . وكتاب الجامع الكبير لابن الاثير أيضاً . وكتاب
البديع لأسامة بن منقذ . وكتاب العمدة للزنجاني . وكتاب نظم القرآن له أيضاً . وكتاب
نهاية التأميل فى كشف أسرار التزويل لكمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم
الأنصارى . وكتاب التفرغ فى علم البديع لزكى الدين عبد العظيم بن أبى الاصبع . وكل
كتاب من هذه الكتب أخذ من كتب شتى مع ما أضفت اليها من فوائد مستعذبة
وفرائد حسنة المساق مستعربة نقلتها عن الأمة الاعلام الأكابر ونقلتها عنهم من السنهم
لأنهم يملكون الدفاتر وما أضفت الى ذلك مما تفضل الله به ومنع من مهمل أبنته وبجل
فضله وشارد قيده وحصاته ليكمل بهذا الكتاب النفع ويأتى على نهاية من حسن
الوصف وبديع الجمع واحياء علم البيان المطلع على نكت نظم القرآن الذى قد عفت
آثاره وقلت أنصاره وتفاعدت الهمم عن تحصيله وضعت العزائم عن معرفة فروعه
فضلا عن أصوله فما علم من علوم الاسلامية روى بالهجر والنسيان مارى به علم البيان
ولو أداموا النظر فيه والتامع لمعانيه لاطلعوا من الكتاب العزيز على خفايا تهش لها
القلوب ودقائق تسفر لهم عن وجوه المطلوب ومن لم يعرف هذا العلم كان عن فهم معانى
الكتاب العزيز بمغزل ولم يقدّر بعض حقوق المنزل والمنزل ومن وقف على هذه الأصول
التي أصلتها والفصول التي فصلتها ظهر له مصداق هذه الدعوى وأخذ من التوصل الى
معرفة هذا العلم بالسبب الأقوى وحسن عنده موقعه وعظم فى نفسه محله وموضعه
وخالطت قلبه بشاشة رونقه وجليلت فى عينه نظارة نظائره وحسن موقعه
(وكلام العرب) فى خطبها وأشعارها ونثرها ونظامها منقسم الى ثلاثة أقسام
ورد منها فى الكتاب العزيز قسمان وقسم لم يرد منه فيه شيء وسأبين ذلك ان شاء الله تعالى



القسم الأول

(وهو ينقسم الى أربعة وثمانين قسمًا)

(القسم الاول) في الكلام على الفصاحة . والبلاغة . والكلام عليهما من

وجوه . الاول في حدهما . الثاني في اشتقاقهما . الثالث في التفرقة بينهما

(أما الأول في حدهما) فقد قال علماء هذا الشأن إنَّ حدَّ البلاغة بلوغ الرجل بعبارة كنه ما في نفسه مع الاحتراز من الإيجاز الخلل والتطويل الممل . . وقال قوم البلاغة اتصال المعنى الى القلب في أحسن صورة من اللفظ . . وقيل البلاغة الإيجاز مع الافهام والتصرف من غير اضجار . . قال خالد بن صفوان أبلغ الكلام ما قلَّت ألفاظه وكثرت معانيه وخير الكلام ما شوق أوله الى سماع آخره . . وقال غيره انما يستحق الكلام اسم البلاغة اذا سابق لفظه معناه الى قلبك (وأما) الفصاحة فهي خلوص الكلام من التعقيد

(الثاني في اشتقاقهما) قال علماء هذا الشأن إن اشتقاق البلاغة من البلوغ الى الشئ وهو الوصول اليه . ويجوز عندى أن يكون الكلام البليغ الذى بلغ من جودة الألفاظ وعذوبة المعانى الى غاية لا يبلغ الى مثاها إلا مثله (وأما) الفصاحة فقالوا اشتقاقها من الفصيح وهو اللبن الذى أخذت منه الرغوة وذهب لباؤه يقال فصح الرجل اذا صار كذلك وأفصح الشاة اذا فصَّح لبنها

(الثالث في الفرق بينهما) قال قوم من أرباب علم البيان الفصاحة والبلاغة متعاقبان على معنى واحد . . وقال قوم البلاغة فى المعانى والفصاحة فى الالفاظ . يقال معنىً بليغ ولفظ فصيح (وليست) الفصاحة والبلاغة مختصين بالالفاظ العربية وانما يطلقان على كل ما لفظه غريب وفهمه قريب (واذا) تقرر هذا فقد احتوى الكتاب العزيز

على جلد من ذلك أفرغت في قالب الجمال وأترعت لها كؤوس الاحسان والإجمال وأنت على معظمها وأجائها واستوفت نصاب ملكها لازمة علم البيان وأدلتها وأنا أذكرها نوعا نوعا وقسما قسما محلا يبراهينه وشواهد سافرا عن نضارة وجوه نظائره وفوائده بعد استيفاء الكلام على الحقيقة والمجاز إذ الكلام لا يخلو عنهما أو عن أحدهما (فبدأ) بالكلام على الحقيقة . والكلام فيها من ثلاثة أوجه . الأول اشتقاقها . الثاني حدها . الثالث أقسامها (أما الأول) فالحقيقة فعيلة بمعنى مفعولة وفي اشتقاقها قولان . أحدهما أنها مشتقة من حقق الشيء بحقيقه إذا أثبتته والآخر أنها من حققت الشيء أحقه إذا كنت منه على يقين (وأما الثاني) فلها حدان . الأول في المفردات . والثاني في الجمل . . فأما حدها في المفردات فهي كل كلمة أريد بها ما وقعت به في وضع واضح وقوعا لا يسند فيه إلى غيره كالأسد للحيوان الخصوص المعروف . . الثاني حدها في الجمل فهو كل جملة وضعتها على أن الحكم المفاد بها على ما هو عليه في العقل وواقع موقعه مثاله خالق الله العالم وأنشأ العالم - فأنشأ - واقعة موقع - خلق - (وأما الثالث) فأقسامها ثلاثة . حقيقة لغوية . وحقيقة شرعية . وحقيقة عرفية . وهي على قسمين عامة وخاصة . فالعامة كاستعمال لفظ الدابة في الحمار وخاصة نحو استعمال لفظ الجوهر في المنحيز الذي لا ينقسم (وأما المجاز) فالكلام عليه أيضاً من خمسة أوجه . الأول في المعنى الذي استعملت العرب المجاز من أجله . الثاني في حده . الثالث في اشتقاقه . الرابع في علة النقل . الخامس في أقسامه (أما الأول) فإن المعنى الذي استعملت العرب المجاز من أجله مياهم إلى الاتساع في الكلام وكثرة معاني الالفاظ ليكثر الالتذاذ بها فإن كل معنى للنفس به لذة ولها إلى فهمه ارتياح وصبوة وكما دق المعنى رق مشروبه عندها وراق في الكلام انخراطه ولذ للقلب ارتشافه وعظم به اغتباطه ولهذا كان المجاز عندهم منهلاً موروداً عذباً الارتشاف وسبيلاً مسلوكاً لهم على سلوكه انعكاف ولذلك كثر في كلامهم حتى صار أكثر استعمالاً من الحقائق وخالط بشاشة قلوبهم حتى أتوا منه بكل معنى رائع ولفظ فائق واشتد باعهم في إصابة أغراضه فأتوا فيه بالخوارق

وزينوا به خطبهم وأشعارهم حتى صارت الحقائق دثارهم وصار شعارهم (وأما الثاني) .
 فحده على قسمين . حدث في المفردات . وحدث في الجمل . . أما حده في المفردات فهو
 كل كلمة أريد بها غير ما وُضعت له في وضع واضعها . . وقيل حده استعمال اللفظ
 الحقيقي فيما وضع له دالا عليه ثانياً لتسويته علاقة بين مدلول الحقيقة والمجاز . .
 وأما حده في الجمل فهو كل جملة أخرجت الحكم المقادير بها عن موضوعه بضرب من
 التأويل (وأما الثالث) فاشتقاقه من جاز الشيء يجوزُهُ إذا تعداه وعدل عنه . فاللفظ
 إذا عدل به عما يوجه أصل الوضع فهو مجاز على معنى أنهم جاوزوا به موضعه الأصلي
 أو جاوز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً (وأما الرابع) فالعنى الذى وقع به النقل
 شيئان . أحدهما أن يكون المنقول عن معنى وضع اللفظ بأزائه أولاً من غير مناسبة ولا
 علاقة كالإعلام المنقولة وبهذا يتميز عن المشترك . الثانى أن يكون ذلك النقل لمناسبة
 بينهما أو علاقة ولا أجل ذلك لا توصف به الأعلام المنقولة لأنها مجازات مثل تسمية
 الرجل بالحجر فإنه ليس هذا النقل لتعلق بين حقيقة الحجر وبين ذلك الشخص وأما
 إذا تحقق الشرطان فإنه يسمى مجازاً وذلك مثل تسمية النعمة أو القوة باليد لما بينهما من
 التعلق فإن النعمة إنما تعطى باليد والقوة إنما تظهر بكاملها فى اليد . . ومن ذلك أيضاً
 تسمية المزايدة بالراوية وهى اسم للبعير الذى يحمل عليه فى الأصل ومثل ما بين الثبت
 والغيث والسماء والمطر حيث قالوا رعينَا الغيث يريدون الثبت الذى الغيث سبب نشوءه
 عادة وقالوا أصابتنا السماء يريدون أصابنا المطر . . وقال قوم المجاز لا يصح إلا بنسبة مع
 علاقة بين مدلول الحقيقة والمجاز وتلك النسبة متنوعة فإذا قوى التعلق بين محلى الحقيقة
 والمجاز فهو الظاهر الواضح وإذا ضعف التعلق إلى حد لم تستعمل العرب مثله ولا
 نظير له فى المجاز فهو مجاز التعقيد ولا يحمل عليه شئ فى الكتاب والسنة ولا يوجد
 مثله فى كلام فصيح . وقد تقع علاقة بين الضعيفة والقوية فن العلماء من يتجاوز بها
 لقربها بالنسبة إلى العلاقة الضعيفة ومنهم من لا يتجاوز بها لأنخطاطها عن العلاقة القوية
 وهذا مذكور فى الكتب المختصة بأصول الفقه (الخامس) أقسامه وهى كثيرة .
 الأول مجاز التعبير بلفظ المتعلق به عن المتعلق وأقسامه كثيرة . . وقد انتهت عندنا

ما احتوى عليه الكتاب العزيز الى أربعة وعشرين قسماً (الاول) التجوز بلفظ العلم عن المعلوم كقوله تعالى «ولا يحيطون بشئ من علمه» أراد بشئ من معلومه . وكقوله تعالى «ذلك مبلغهم من العلم» أى من المعلوم . وكذلك قوله تعالى «فما اختلفوا حتى جاءهم العلم» أى المعلوم (الثانى) التجوز بلفظ المعلوم عن العلم وسيأتى بيانه وأمثله (الثالث) التجوز بلفظ المقدور عن القدرة مثل قولهم رأينا قدرة الله أى مقدور الله . ومنه قوله تعالى «صنع الله الذى أتقن كل شئ» أى مصنوعه (الرابع) التجوز بلفظ الارادة عن المراد كقوله تعالى «يريدون أن يفرقوا بين الله ورسله» والمعنى ويفرقون بين الله ورسله بدليل أنه قوبل بقولهم ولم يفرقوا بين أحد منهم ولم يقل ويريدون أن يفرقوا بين أحد منهم (الخامس) التجوز بلفظ المراد عن الارادة كقوله تعالى «وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط» معناه وإن أردت الحكم فاحكم بينهم بالعدل وفيه مجاز من وجهين . أحدهما التعبير بالحكم عن ارادته . والآخر التعبير بالماضى عن المستقبل (السادس) اطلاق اسم الفعل على الجزء الأول منه وعلى الجزء الاخير منه ومثاله قوله تعالى «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى» أراد بالرمى المنفى آخر أجزاء الرمي التى وصل التراب به الى أعينهم وبالرمى المثبت شروعه فى الرمي وأخذه فيه فيكون المعنى وما أوصلت التراب الى أعينهم اذ شرعت فى الرمي وأخذت فيه . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم صلى بنى جبريل عليه السلام الظهر حين زالت الشمس أى شرع فى الصلاة وأخذ فيها وصلى بنى الظهر فى اليوم الثانى حين صار ظل الشئ مثله أراد بذلك آخر أجزاء الصلاة وهو السلام . وهذا من مجاز التعبير بلفظ الكل عن البعض وكذلك نظائره ويصحح هذا ما بين الارادة والمراد من النسبة والتعلق ويجوز أن يكون المصحح كون المراد مسبباً عن الارادة فيكون تجوزاً باسم المسبب عن السبب بخلاف التعبير بالمعلوم عن العلم فانه ليس مسبباً عنه ولا مؤثراً فيه (السابع) التجوز بلفظ الامل عن المأمول وذلك فى قوله تعالى «والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً» أى وخير مأمولاً (الثامن) التجوز بلفظ الوعد والوعيد عن الموعد من ثواب وعقاب وهو فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى «أفمن

وَعَدْنَاهُ وَعَدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ « ومثله » إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا « أى موعوده »
 (التاسع) إطلاق العهد والعقد على الملتزم منهما وهو فى القرآن كثير . من ذلك
 قوله تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ » وقوله تعالى « وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ »
 وقوله تعالى « وَأَوْفُوا بِعَهْدِي » عبّر بهذه العهود كلها عن موجها ومقتضاها وهو
 الذى التزم بها (العاشر) إطلاق اسم البشرى على الم بشر به وهو فى القرآن كثير .
 من ذلك قوله تعالى « بُشِّرْ أَكْثَمَ الْيَوْمِ جَنَاتٍ » وقال أبو على التقدير بشراكم اليوم
 دخول جنات أو خلود جنات لأن البشرى مصدر والجنات جرم فلا يخبر بالجرم عن المعنى
 وقال الشيخ الامام عز الدين بن عبد السلام لاحاجة الى هذا التعسف لأن البشرى
 ليست عين الدخول ولا عين الخلود كما انها ليست عين الجنات ولا بد من تأويله على كلا
 القولين بما ذكرناه وإلا كان خلفاً لأن البشرى قول ولا يجوز أن يخبر عن القول بأنه
 جرم ولا بأنه دخول ولا خلود (الحادى عشر) إطلاق اسم القول على المقول فيه
 وهو فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ مِنْهُ
 قَوْلُهُ » سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً « أى عن مدلول قولهم . ومنه قوله
 تعالى « وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا » معناه وجب عليهم العذاب المقول فيه . ومنه
 قوله تعالى « فَبَرَأَ اللَّهُ لِمَاقَالُوا » أى من ممولهم وهو الأذرة (الثانى عشر) إطلاق اسم
 النبأ عن النبأ عنه وهو فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ
 مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ » ومنه قوله تعالى « قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ » وإن أريد به القرآن
 فهو من باب إطلاق اسم البعض على الكل لأن القرآن كله ليس هو نبأ . ومنه قوله
 تعالى « وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ » (الثالث عشر) إطلاق الاسم على المسمى وهو فى
 القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيحُوهَا »
 معناه ما تعبدون من دونه إلا مسميات . ومنه قوله تعالى « سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى »
 أى سبِّح ربك الأعلى ولذلك نُقل عن الصحابة رضى الله عنهم أنهم كانوا اذا قرأوها
 قالوا سبحان ربى الأعلى . وقال عليه الصلاة والسلام اجعلوها فى سجودكم . ومنه قوله
 صلى الله عليه وسلم بسم الله الذى لا يضرُّ مع اسمه شئٌ فى الأرض ولا فى السماء .

ومن جعل الاسم هو المسمى في قوله « بسم الله الرحمن الرحيم » كان التقدير فيه أقرأ بالله أى بمعونته وبتوقيفه ومن جعله التسمية كان التقدير أن تبرك بذكر اسم الله وبهذا يُرد على من قدّر ابتدأى أو بدأتُ باسم الله إذ لا وجه للتبريك على بعض الفعل دون سائر ولا لنسبة ابتداء الفعل الى التوفيق دون سائر لأن الحاجة داعية الى التبرك والتوفيق في جميع الفعل دون انتهائه وابتدائه (الرابع عشر) اطلاق اسم الكلمة على المتكلم به ومنه في القرآن كثير من ذلك قوله تعالى « ولا تبدل لكلمات الله » أى لا تبدل لعذاب الله أو لا تبدل لمقتضى عذاب الله ومنه قوله تعالى « ان الله يشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم » تجوز بالكلمة عن المسيح لكونه تكون بها من غير أب بدليل قوله تعالى « وجهي في الدنيا والآخرة ومن المقربين » ولا تنصف الكلمة بذلك وأما قوله اسمه المسيح فإن الضمير فيه عائذ الى مدلول الكلمة والمراد بالاسم المسمى فالعنى المسمى المبشر به المسيح بن مريم (الخامس عشر) اطلاق اسم اليمين على الخلوفا وهو في القرآن في موضعين أحدهما قوله تعالى « ولا تجعلوا الله عرضة ليمانكم » أى ولا تجعلوا قسم الله أو يمين الله مانعا لما تحلفون عليه من البر والتقوى بالصلاح بين الناس^(١) (السادس عشر) اطلاق اسم الحكم على المحكوم به وذلك قوله تعالى « ان ربك يقضى بينهم بحكمه » أى بما يحكم به لكل واحد منهم من ثواب وعقاب فتجوز بالحكم عن متعلقه وهو المحكوم به وكذلك التعبير بلفظ القضاء عن المقضى به في قوله صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من سوء القضاء أى من سوء ما قضيت به إذ لا تصح الاستعاذة من قضاء الله لانه صفة قديمة له لا يمكن تبديلها ولا تغييرها ومثله « فاصبر لحكم ربك » أى فاصبر لما حكم به عليك وكذلك قول الداعى اللهم رضى بقضائك أى بما قضيت له أو على من غير معصية فإن المعاصى مقضية أيضاً وقد أمرنا الله تعالى بكرهاها ففتل أمر الله تعالى في كرهاها وان وقعت (السابع عشر) التجوز بلفظ العزم على المعزوم عليه وهو كثير في القرآن ومنه قوله تعالى « ولن

(١) سقط من الاصل ذكر الموضع الثانى

صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور ، أى ان ذلك الصبر والغفر مما يعزم عليه من الأمور ومنه قوله تعالى « ولا تعزموا عقدة النكاح » تجوز بالعزم عن المعزوم عليه لتعلقه به ومعناه ولا تعقدوا عقدة النكاح أو يكون التقدير ولا تعزموا على تنجيز عقدة النكاح (الثامن عشر) التجوز بلفظ الهوى عن المهوى وهو فى القرآن العظيم فى موضعين أحدهما قوله تعالى « ونهى النفس عن الهوى » معناه ونهى النفس عما تهواه من المعاصى ولا يصح نهىها عن هواها وهو ميلها لأنه تكليف ما لا يطاق الا ان تقدر حذف مضاف معناه ونهى النفس عن اتباع الهوى فيكون من مجاز الحذف ومنه قوله تعالى « أرايت من اتخذ إلهه هواه » يحتل أن يريد به بهواه لانهم كانوا يبدون الصنم فان استحسنوا غيره عبدوه وتركوا الأول ويحتل أن يكون المراد به مجاز التشبيه فان الانسان اذا طاول هواه فيما يأنه ويتركه فقد نزل الهوى منزلة المعبود المطاع (التاسع عشر) اطلاق اسم الخشية على الخشى وهو فى القرآن العزيز فى قوله تعالى « ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون » معناه هم من عقوبة ربهم خائفون (العشرون) اطلاق اسم الحب على المحبوب وذلك قوله تعالى « انى أحببت حب الخير عن ذكر ربي » معناه أحببت محبوب الخير عن ذكر ربي (الحادى والعشرون) اطلاق اسم الظن على المظنون وهو فى القرآن العظيم فى موضعين . أحدهما قوله تعالى « وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة » معناه أى شئ مظنونهم أهو الهلاك أو النجاة . الثانى قوله تعالى « وما خالفنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا » معناه ذلك الخلق الباطل مظنون الذين كفروا . وأما قوله تعالى « اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن اثم » فيجوز أن يكون من مجاز الحذف تقديره اجتنبوا كثيراً من اتباع الظن ان اتباع الظن ذنب ويجوز أن يكون تجوز بالظن عن المظنون وهو أمره باجتنب فعل وقع منهم (الثانى والعشرون) اطلاق اسم اليقين على المتيقن وهو فى القرآن العظيم فى موضعين . أحدهما قوله تعالى « واعبد ربك حتى ياتيك اليقين » معناه واعبد ربك حتى يأتيك الموت المتيقن لكل أحد ومنه قوله تعالى « وكنا نكذب بيوم الدين

حتى أئانا اليقين» معناه حتى أئانا الموت المتيقن لكل أحد (الثالث والعشرون) اطلاق اسم الشهوة على المشتهى وهو في القرآن العظيم في موضعين • أحدهما قوله تعالى « زين للناس حب الشهوات » أى حب المشتهيات بدليل أنه قال « من النساء والبنين » الثانى قوله « ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا » معناه ان الذين يشتهون الفاحشة فى أعراض الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة ولذلك أوجب عليهم فى الدنيا الحد وفى الآخرة العذاب ولا يتعلق الحد بمجرد حب الاشاعة (الرابع والعشرون) اطلاق اسم الحاجة على المحتاج اليه وهو فى القرآن العظيم كثير • فمن ذلك قوله تعالى « ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغنى عنهم من الله من شئ الا حاجة فى نفس يعقوب قضاها » معناه ما كان دخولهم يدفع عنهم من قضاء الله وقدره شيئاً ولكن طلب حاجة فى نفس يعقوب قضاها ويحمل ولكن حاجة فى نفس يعقوب قضى متعلقها لأن الحاجة الحقيقية التى هى الاقتاد لا تقضى وانما يقضى متعلقها الذى هو المحتاج اليه • ومنه • ولا يجردون فى صدورهم حاجة مما أوتوا » معناه ولا يجردون فى قلوبهم شئ • يحتاجون اليه مما أعطيه المهاجرون • • وهذه الاقسام كلها من مجاز التعبير بلفظ المتعلق عن المتعلق به أو من مجاز التعبير بلفظ المتعلق به عن المتعلق ومصحح الجاز فيه ما بينهما من النسبة

﴿ القسم الثانى ﴾

اطلاق اسم السبب على المسبب وهو أربعة أقسام

(القسم الاول) قوله تعالى « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » سعى عقوبة الاعتداء لانه المسبب عن الاعتداء • ومنه قوله تعالى « وجزاء سيئة سيئة مثلها » تجوز بلفظ الجناية عن القصاص فانه مسبب عنها والتقدير جزاء جناية قبيحة عقوبة قبيحة مثلها فى القبح وان عبرت بالسيئة عما ساء أى أحزن لم يكن من هذا الباب لأن الاساءة تحزن فى الحقيقة كالجناية • ومنه قوله تعالى « ومكروا ومكر الله » تجوز

بلفظ المكر عن عقوبته لأنه سبب لها . . . ويحتمل أن يكون مكر الله حقيقة لأن المكر هو التدبير فيما يضر الخصم خفية وهذا متحقق من الله تعالى لاستدراجه إياهم بما أجرى عليهم من نعمه مع ما أعد لهم من نعمة (الثاني) إطلاق اسم الكتابة على الحفظ فإن الكتابة سبب لحفظ المكتوب وهو في القرآن العظيم في موضعين . أحدهما قوله تعالى « سنكتب ما قالوا » أي سنحفظه ولا ننساها حتى نحجزهم به . والآخر قوله تعالى « سنكتب ما قالوا وقتلوا الأنبياء » أي نحفظه عليهم فإن الملائكة قد كتبوا ذلك لما قالوا وقتلوا الأنبياء فاستعمل اللفظ المستعمل في حفظه دون كتابته (وأما) قوله تعالى « أولئك كتب في قلوبهم الإيمان » فإنه تجوز بالكتابة عن الثبوت والدوام فإن الكتابة مستمرة باقية في العادة (وأما) قوله تعالى « إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم » ففيه مذهبان . أحدهما أنه من مجاز الحذف تقديره إن المنافقين يخادعون رسول الله والله خادعهم فيكون خداعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقة . وأما خدع الله إياهم فيجوز أن يكون من مجاز التعبير بلفظ السبب عن المسبب ويجوز أن يكون من مجاز التشبيه معناه أنه عاملهم معاملة المخادع بما أخفاه عنهم من إرادة إضرارهم وإهلاكهم ويجوز أن يكون حقيقة بما ذكرناه في المكر ويتأتى أن يكون مخادعهم الله من مجاز التشبيه بمعنى أنهم يعاملونه معاملة المخادع ويكون خدعهم من مجاز المعاملة ويجوز أن يكون من مجاز التعبير بلفظ السبب عن المسبب فيكون من مجاز المجاز فإن مخادعهم مجازية تجوز بها عن شبهها وكان إطلاق اللفظ من مجاز التشبيه (الثالث) إطلاق اسم السمع على القبول وهو في القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « ما كانوا يستطيعون السمع » معناه ما كانوا يستطيعون قبول ذلك والعمل به لأن قبول الشيء مرتب على استماعه ومسبب عنه ويجوز أن يكون نفي السمع لانتهاء فائدته فيصير كقولهم أنهم لا إيمان لهم أي لا وفاء إيمان لهم . . . ومنه قول الشاعر

وإن حلفت لا ينقض النأي عهداً فليس لمخضوب البنان يمين

معناه ليس لمخضوب البنان وفاء يمين (الرابع) إطلاق اسم الإيمان على ما نشأ عنه من الطاعة وهو في القرآن كثير . فمن ذلك قوله تعالى « وما كان الله ليضيع إيمانكم » (٣ - فوائد)

معناه ما كان الله ليضيع أجر صلاتكم الى الصخرة قبل النسخ . ومنه قوله تعالى « أفنتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » معناه أفنتعملون ببعض التوراة وهو فداء الأسارى فتجوز بالإيمان عن العمل بما يوافق الكتاب لأنه مسبب عن الإيمان وتترك العمل ببعض وهو قتل اخوانكم واخراجهم من ديارهم . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الإيمان بضغ وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق . جعل القول وامطة الأذى عن الطريق إيمانا لأنها مسببان عن الإيمان

❦ القسم الثالث ❦

اطلاق اسم المسبب على السبب وهو ثمانية أقسام

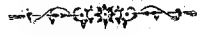
(القسم الأول) اطلاق اسم العقوبة على الاساءة والجنابة . ومنه قوله تعالى « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به » معناه وإن أردتم معاقبة مبيء فعاقبوه بمثل ما بدأكم به من الاساءة فقولوه - وإن عاقبتم - من مجاز التعبير بلفظ الفعل عن ارادته وقوله - بمثل ما عوقبتم به - من مجاز التعبير بلفظ المسبب عن السبب وقوله - فعاقبوا - حقيقة اكتشفها المجازان . وكذلك قوله « ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم نبئ عليه لينضربه الله » فعاقب حقيقة وعوقب به من مجاز تسمية السبب باسم المسبب . ومن هذا النوع قول العرب كما تدبّر تدان معناه كما تفعل تجزى لأن الدين هو الجزاء فتجوز به عن الجنابة لأنه مسبب عنها . . وكذلك قول الشاعر

ولم يثق سوى العدوّان دناهم كما دانوا

معناه جزيناهم بما فعلوا فدناهم حقيقة ودانوا مجاز (القسم الثانى) اطلاق الأكل على الأخذ لما كان الأكل مسيئاً عن الأخذ . ومنه قوله تعالى « ولاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » معناه لا تأخذوا أموالكم بالسبب الباطل كالقمار ونحوه (القسم الثالث) اطلاق اسم الغلبة على المقاتلة التي هي مسبب عنها . ومنه قوله تعالى « إن يكن منكم

عشرون صابرون يَفْلِحُوا مِائَتِينَ » عبر بلفظ الغلبة عن المقاتلة لأن الغلبة مسببة عن المقاتلة (الرابع) اطلاق اسم الرجز على عبادة الأصنام . ومنه قوله تعالى « وَالرَّجْزُ فَاحِشٌ » تجاوز بالرجز وهو العذاب الشديد عن عبادة الأصنام لأن العذاب مسبب عنها (وأما) قوله تعالى « وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ » فهو من مجاز التعبير بلفظ المسبب عن سبب سببه لأن وساوس الشيطان سبب لمعصية الرحمن ومعصية الرحمن سبب لعذاب الديان فبان أن الوسوسة سبب للمعصية والمعصية سبب للعذاب ويجوز أن تحمل الوسوسة نفسها رِجْزاً لمشقتها على أهل الإيمان وكلما اشتدت مشقتها على النفوس فهو رجز . . قال أبو عبيد الرجز والرجس هما العذاب الشديد . وكذلك ما أشبهه (الخامس) اطلاق اسم المغفرة على التوبة . ومنه قوله تعالى « وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِأَذْنِهِ » تجاوز باسم المغفرة عن التوبة (السادس) اطلاق اسم الكبرياء على التملك لأنها مسببة عن الملك . ومنه قوله تعالى « وَتَكُونُ لَكُمْ أَعْيُنٌ عَلَى كُلِّ مَسْجِدٍ » (السابع) اطلاق اسم القوة على السلاح لأن القوة على القتال تكون عنها . ومنه قوله تعالى « وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ » لأن القوة على قتالهم مسببة عن الأسلحة فسميها باسم مسببها أو يكون ذلك من مجاز الحذف تقديره وأعدوا لهم ما استطعتم من أسباب قوة أو من أدوات قوة (الثامن) اطلاق اسم الاعطاء والإيتاء على الالتزام فمن ذلك قوله تعالى « فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ » معناه إذا سلمتم ما التزمتموه بالمعروف لما كان التسليم مسيئاً عن الالتزام عُبر به عنه . ومن ذلك قوله تعالى « وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ » أي إذا التزمتم لهن مهورهن . . ويحتمل أن يكون من مجاز الحذف تقديره إذا آتيت أهلكن مهورهن ولا يدل قوله فانكحوهن باذن أهلن على صحة النكاح بغيرولي لأنه لم يذكر المأذون له ويجوز أن يكون المراد الوكيل ويجوز ويحتمل أن تكون المرأة وحده على الوكيل أولى لأن الغالب في الأنكحة أنه يتولى ذلك الرجال دون النساء فيجب الحمل على الغالب لأن مباشرة المرأة النكاح في غاية التدور فلا يجوز حمل الكلام عليه إذ لا يوجد مثل هذا نظير في كلام العرب من أنهم أرادوا بيان شيء والارشاد الى مصلحة فينبورم بأند

أحواله مع الاستغناء عنه ويهملوا الأغلب مع مسيس الحاجة اليه



— القسم الرابع —

اطلاق اسم الفعل على غير فاعله لما كان سبباً له وهو أربعة أقسام

(الأول) نسبة الفعل الى من كان سبباً له . من ذلك قوله تعالى « قل هو من عند أنفسكم » وهو من عند الله على الحقيقة ولكنه نسب ما أصابهم من قتل اخوتهم الى سببه . ومنه قوله تعالى « فلا أنفسهم يمهّدون » والماهد هو الله على الحقيقة ولكنه نسب اليهم تمهيد المرقد لتسبيهم اليه بالعمل الصالح (الثاني) اطلاق نسبة الفعل على سبب سببه وهو في القرآن كثير . ومنه قوله تعالى « ربّنا من قدّم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار » نسبوا صليّ النار الى سبب سببه لأن الكبراء أمروهم وهم امثلوه والمقدّم على الحقيقة هو الله تعالى وسبب كفرهم أمر رؤسائهم ايهم بالكفر . ومنه « فأخرجهما مما كانا فيه » ومنه قوله تعالى « كما أخرج أيوبكم من الجنة » ومنه « فلا يُخرجنّكما من الجنة فتشقى » المخرج والنازع على الحقيقة هو الله تعالى (الثالث) نسبة الفعل الى الأمر به وهو في القرآن كثير . منه قوله تعالى « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » ومنه « الزانية والزاني فاجلدوا كلّ واحد منهما » ومنه قوله تعالى « فاجلدوهم ثمانين جلدة » فان كان هذا أمراً لاولاة فهو أمر بالامر باقامة الحدود وان كان أمراً لمستوفي الحقوق أو مباشرها فهو حقيقة (فأما) قوله رَجَمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعزاً والغامدية . وقوله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها . فكل ذلك من باب نسبة الفعل الى الأمر به . ومن ذلك قوله تعالى « ونادى فرعون في قومه » أى أمر من ينادى في قومه (الرابع) نسبة الفعل الى الآذن فيه وهو في القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « وأخذنّ منكم ميثاقاً غليظاً » الآخذ على الحقيقة هو الوليّ والمرأة الآذنة فيه وهذا أخذ مجازي

ونسبته اليهن مجازية أيضاً كما ذكرناه . . وقد اختلف في الميثاق فقيل انه العقد وقيل انه قول الولي زوجتك على ما أمر الله به من إمساك بمعروف أو تسريح باحسان . ومنه قوله تعالى « فلا تَعْصُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ » وقوله تعالى « فَإِنْ طَلَّقَهَا فلا تحلُّ له من بعدُ حتى تنكحَ زوجاً غيره » نسب النكاح اليهن لاذنهن فيه وهذا على قول من قال ان المرأة العاقلة البالغة التي لا تنكح نفسها . وأما على قوله من قال انها تنكح نفسها فهو حقيقة فيهن مجاز فيما سواه من

القسم الخامس

الاخبار عن الجماعة بما يتعلق ببعضهم وفي خطابهم بما يتعلق ببعضهم وهو في القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « ثم اتخذتمُ العجلَ من بعده وأتم ظالمون » معناه ثم اتخذ العجل بعض أسلافكم فان جميع الخلف والسلف لم يتخذوا العجل إلهاً وإنما وجد من بعضهم فصار هذا كقول امرئ القيس

فان تقتلوننا نقتلكم وإن تقصدوا لدمٍ نقصد

معناه فان قتلتم بعضنا نقتلكم إذ لا يتصور أن يقتلوه بعد استيعاب جميعهم بالقتل وهذا الباب كله من مجاز الحذف وله قاعدة ينفرع عليها وهي ان كان البعض واحداً كان التقدير وإذا فعل أحدكم . ومثاله قوله تعالى « وإذا قتلتم نفساً » وان كان البعض أكثر من واحد كان التقدير وإذا فعل بعضهم . ومثاله قوله تعالى « وإذا قتلتم يا موسى لن تؤمنن لك حتى نرى الله جهرَةً » وكان القائلون لذلك سبعين ومن زعم أنه نسب الفعل اليهم لانهم رضوا به لا يستقيم قوله لأننا نعلم أنهم لم يتفقوا على الرضى في قتل النفس ولا باتخاذ العجل ولا بقولهم - لن تؤمنن لك حتى نرى الله جهرَةً - ولا بقولهم - لن نصبر على طعام واحد » وأيضاً فان نسبة الفعل الى الراضى به مجاز والى فاعله حقيقة فإذا حمل - على - عليهما كان حملاً على حقيقة غالبية ومجاز مغلوب وذلك لا يجوز

- القسم السادس -

اطلاق اسم البعض على الكل وهو سبعة عشر قسماً

(الأل) التعبير بالقيام عن الصلاة • ومن ذلك قوله تعالى « قم الليل إلا قليلاً » أى صلّ الليل إلا قليلاً • وقوله تعالى « لا تقم فيه أبداً » أى لا تصل فيه أبداً (الثاني) التعبير بالركوع عن الصلاة وهو في قوله تعالى « واركع مع الراكعين » أى صلى مع المصلين • وقوله تعالى « وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون » أى وإذا قيل لهم صلّوا لا يصلون (الثالث) التعبير عنها بالسجود • وذلك في قوله تعالى « ومن الليل فاسجد له » أى فصلّ له • ومنه قوله تعالى « فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم » أى فإذا صلّوا فليكونوا من ورائكم • ومنه قوله تعالى « يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون » أى وهم يصلون لأن التلاوة منهي عنها في السجود الحقيقي فلا يصح المدح فيما نهى عنه (الرابع) التعبير عنها بالقراءة في قوله تعالى « وقرآن الفجر » وفي قوله « فاقروا ما تيسر من القرآن » (الخامس) التعبير عنها بالتسبيح في قوله « وسبحه ليلاً طويلاً » وفي قوله « وسبح بحمد ربك قبل طُلوع الشمس وقبل الغروب » وفي قوله « وسبحوه بُكْرَةً وَأَصِيلاً » وأمثاله في القرآن كثير (السادس) التعبير عنها بالذكر في قوله « واذكُر اسم ربك بُكْرَةً وَأَصِيلاً » وفي قوله « فإذا أمنتم فاذا أُمِنتُمْ فاذكُرُوا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون » معناه فإذا أمنتم فصلوا لله (السابع) التعبير عنها بالاستغفار في قوله « وهم يستغفرون » وحمله بعضهم على الحقيقة (الثامن) التعبير بالذقن عن الوجه في قوله تعالى « يخرجون للذقان سجداً » وفي قوله « يخرجون للذقان يبيكون » أى للوجوه (التاسع) التعبير بالأنف عن الوجه في قوله تعالى « سنسفه على الخراطوم » (العاشر) التعبير بالرقبة عن الجملة في قوله تعالى « فتحرير رقبة » وفي قوله « وفي الرقاب » وفي قوله « فظلت أعناقهم لها خاضعين » فإن هذه الأفعال لا تختص بالرقاب بل تعم الأجساد وكذلك ما أشبهه

(الحادى عشر) التعبير باليدين عن الجملة وهو فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى
 « ذلك بما قدّمتم يداك » (الثانى عشر) التعبير باليمين عن الجملة . ومنه قوله تعالى
 « لأخذنا منه باليمين » (الثالث عشر) التعبير بالمضد عن الجملة فى قوله تعالى « سنشدّ
 عضدك باخيك » (الرابع عشر) التعبير بالأصابع عن الكف والارجل كقوله
 تعالى « فاضربوا منهم فوق الأعناق واضربوا منهم كلّ بنان » (الخامس عشر)
 التعبير بالوجه عن الجسد . ومنه قوله عز وجل « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة »
 ومنه قوله تعالى « وجوه يومئذ عاتلة ناصبة تصلى ناراً حامية » عبر بالوجوه عن
 الأجساد لان العمل والنصب صفتان للأجساد (السادس عشر) التعبير بالمسجد الحرام
 عن الحرم كله فى قوله تعالى « انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد
 عامهم هذا . (ويجوز) أن يكون من مجاز الحذف تقديره فلا يقربوا حرم المسجد
 الحرام (السابع عشر) التعبير بمكة عن الحرم كله فى قوله عليه الصلاة والسلام ان الله
 حرم مكة يوم خلق السموات والأرض لا يُنفرُ صيدها ولا بعض شجرها . ومعلوم أن البلدة
 نفسه لا صيد فيه مباح ولا شجر أيضاً (وأما) قوله تعالى « ثم محابها » فانه تجوز
 بالبيت العتيق عن الحرم كله إذ لا يجوز النحر فيما اتصل بالبيت من المسجد المحيط
 (ويجوز) أن يكون من مجاز الحذف تقديره ثم محابها الى حرم البيت العتيق

- القسم السابع -

اطلاق اسم السكل على البهض وهو أحد عشر قدماً

(الأول) قوله تعالى « واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم » ومعلوم انه لم يرجعهم وانما
 دائر وجوههم وما يبدأ منهم (الثانى) قوله تعالى « فأجلدوهم ثمانين جلدة » (الثالث)
 قوله تعالى « فامسحوا برؤسكم » على قول من قال استيعاب مسح الرأس ليس بواجب
 (الرابع) قوله تعالى « يجعلون أصابعهم فى آذانهم » وانما جعلوا بعض أناملهم (الخامس)

قوله تعالى « ادخلوا مصر » ومعلوم أنهم لم يستوعبوا (السادس) قولهم « خرجت من المسجد » ومثله في القرآن كثير (السابع) وصف البعض بوصف الكل وهو في قوله تعالى « يعلم خائمة الأعين » (الثامن) قوله تعالى « لنسفعن بالنّاصية ناصية كاذبة خاطئة » الخطأ صفة لكل فوصفت به الناصية (وأما) قوله - كاذبة - فالكاذب على الحقيقة هو اللسان ونسبة الكذب الى الانسان من مجاز وصفه بصفة بعضه وتجاوز عن هذا المجاز بان وصفت به الناصية فيكون مجازاً عن مجاز (التاسع) نسبة الظن الى الوجوه في قوله تعالى « تظن أن يفعل بها فاقرة » فان الظن وصف للقلوب على الحقيقة ويضاف الى الأجساد على التجوز فيكون مجازاً عن مجاز (العاشر) وصف الوجوه بالخشوع فان محل الخشوع القلوب ثم توصف به الجملة ثم توصف الوجوه بصفة الجملة (الحادي عشر) وصفها بالرضى في قوله تعالى « لسعيها راضية » وصف لها بصفة القلوب وهذا كله من مجاز القلوب

- القسم الثامن -

في التجوز بوصف الكل بصفة البعض وهو أربعة أقسام

(الأول) من ذلك قوله تعالى « انا منكم وجاهلون » والوجل الخوف ومحل القلب ويدل عليه قوله تعالى « وبشر المحبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم » (الثاني) قوله تعالى « لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً » والرعب انما يملأ القلوب فنسب الى الأجساد ووصف القلوب بالامتلاء مجازاً أيضاً (الثالث) قولك زيدٌ عالمٌ وجاهلٌ وراغبٌ وخائفٌ وآمنٌ ومتفكرٌ وشاكٌ ومتذكرٌ وعاقِلٌ مؤلِنٌ وقاسٍ وقانعٌ فهذه كلها من أوصاف القلوب وقد وصفت بها الجملة (الرابع) قوله تعالى « كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعقلون بشيراً ونذيراً » وصف القرآن بالبشارة والنذارة وكلاهما بعض من أبعاضه لاشتراكه على الأمر والنهي والحدود والحلال والحرام وسائر الأحكام ونسبة البشارة والنذارة اليه مجازية أيضاً

— القسم التاسع —

اطلاق اسم الفعل على مقاربه ومساوقه وهو قسبان

(الأول) قوله تعالى «واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف» معناه
واذا طلقتم النساء فمبارين انقضاء عدّهن وشارفهن فأمسكوهن بمعروف (الثاني) قوله
تعالى «والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً» معناه «والذين يقاربون الوفاة وترك
الأزواج ويشارفونها .. وكذلك ما أشبهه



— القسم العاشر —

اطلاق اسم الشيء على ما كان عليه وهو قسبان

(الأول) من ذلك قوله تعالى «وآتوا اليتامى أموالهم» معناه الذين كانوا يتامى إذ
لا يتم بعد البلوغ (الثاني) قوله تعالى «ولا تمضوا من أن ينكحن أزواجهن» معناه
الذين كانوا أزواجهن لانها زلت في معقل بن يسار وأخته لما حلف أنه لا يزوجه
من زوجها عبدالله بن رواحة

— القسم الحادى عشر —

اطلاق اسم الشيء بما يؤل اليه وهو قسبان

(الأول) من ذلك قوله تعالى «كتب عليكم القصاص في القتلى» أى فمن يقتل
من القتلى (الثاني) قوله تعالى «انى أرانى أعصر خيراً» أى أعصر عبأء .. ومن
ذلك قوله تعالى «ولا بلدوا إلا فجراً كفاراً»

— القسم الثاني عشر —

اطلاق اسم المتوهم على الحق وهو خمسة أقسام

(الأول) من ذلك قوله تعالى «يرونهم مثلهم رأى العين» أى فى ظنكم وحسبانكم
(والثانى) قوله تعالى «وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون» أى فى ظن الناظر اليهم
وحسابه (الثالث) قوله تعالى «والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم» ولم
يضر كالعرجون القديم الا فى الحسبان والظن ورأى العين . . وكذلك تقديره منازل انما
هى منازل من رأى العين فان القمر فى الفلك الأول والمنازل فى الفلك الثامن ولا يتصور
نزوله فى شئ منها وانما يقع ذلك فى نظر الناظرين وحسبان الظانين (الرابع) قوله
تعالى «لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون»
أى يسبحون فى رأى العين فان الناظر الى الفلك يعتقد سالكاً والكواكب جارية
فيه وليس كذلك (الخامس) قوله تعالى «فكان قاب قوسين أو أدنى» أى كان قاب
قوسين أو أدنى فى ظن رائييه وحسابه

— القسم الثالث عشر —

اطلاق اسم الشئ على الشئ الذى يظنه
المعتقد والأمر على خلافه وهو ستة أقسام

(الأول) من ذلك قوله تعالى «ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً» ذكر
ذلك بالنسبة الى ظنهم وزعمهم إذ ليس له ضد ولا نقيض (الثانى) قوله تعالى «أين شركائى»
وليس هذا اثباتاً للشركاء بل هو يتنزل على قول الخصم معناه أين شركائى بزعمكم وقوله
صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه «من عمل عملاً أشرك فيه غيرى تركته لشركى» معناه
تركتك لشركى بزعمه (الثالث) قوله تعالى «ان رسولكم الذى أرسل اليكم لجنون»

لم يقرّ فرعون برسالة موسى عليه السلام بل المعنى بزعمه أنه رسول (الرابع) قوله عز وجل « يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون » ليس هذا إقراراً بتنزيل الذكر وإنما المعنى يا أيها الذي نزل عليه الذكر بزعمه (الخامس) قوله تعالى (١)

❦ القسم الرابع عشر ❦

التضمن وهو أن يُضمن اسماً معنى اسمٍ لاقادة معنى الاسمين
تعديه تعديته في بعض المواطن وهو أربعة أقسام

(الأول) قوله تعالى « حقيقٌ علىّ أن لا أقول على الله إلا الحق » ضمن حقيقاً معنى حريصٍ ليفيد أنه محقق يقول الحق وحريص عليه (الثاني) من التضمن أيضاً أن تُضمن فعلاً معنى فعلٍ آخر لاقادة معنى الفعلين وتعديه أيضاً تعديته في بعض المواطن وهو في القرآن كثير . منه قوله تعالى « لا تُشركْ بي شيئاً » ضمن لا تشرك معنى لا تعدل والعدل التسوية أي لا تسوى بالله شيئاً في العبادة والحجة فانهم عبدوا الأصنام كعبادة الله وجئوها كحب الله ولذلك قال الذين في النار « تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويناكم برب العالمين » وما سوؤوهم به إلا في العبادة والحجة دون أوصاف الكمال ونفوت الجمال والجلال (الثالث) قوله عز وجل « إن كادَتْ تُبْدى به لولا أن ربّنا على قلبها » ضمن لتبدي به معنى لتخبر به أو لتعلم ليفيد الاظهار معنى الاخبار لأن الخبر قد يقع سرّاً غير ظاهر (الرابع) قوله تعالى « عينا يشرب بها عباد الله » ضمن يشرب معنى يروى أو معنى يلتذ ليفيد الشرب والرى أو الشرب والالتذاد جميعاً

القسم الخامس عشر

في مجاز اللزوم وهو ثمانية تحت كل قسم أقسام قد بينها فيه

(الأول) التعبير بالاذن عن المشيئة لأن الغالب أن الاذن في الشيء لا يقع الا بمشيئة الاذن واختياره الملازمة الغالبة مصححة للمجاز . ومن ذلك قوله تعالى « وما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله » أي إلا بمشيئة الله . ويجوز أن يراد في هذا بالاذن أمر التكوين والمعنى وما كان لنفس أن تموت الا بقول الله بموتى . ونظيره « فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم » خذف تقديره فقال لهم الله موتوا فاتوا لدلالة قوله - ثم أحياهم - عليه . ومثله « وما كان لنفس أن تؤمن إلا بأذن الله » ومنه « وأبرئ الأكمة والأبرص وأحي الموتى بأذن الله » أي بمشيئة الله أو بأمر التكوين فان ملازمة المشيئة للأمر غالباً كملازمة مشيئة المريد غالباً (الثاني) التعبير بالاذن عن التيسير والتسهيل وهو في قوله تعالى « والله يدعوك الى الجنة والمغفرة باذنه » أي بتسهيله وتيسيره اذ لا يحسن أن يقال دعوته باذنى ولا قت وقعدت باذنى هذا قول الزمخشري . . ويجوز أن يراد بالاذن ههنا الأمر أى يدعوك الى الجنة والمغفرة بأمره (الثالث) تسمية المسافر بابن السبيل . وذلك في قوله تعالى « وابن السبيل » للملازمة السبيل وهو الطريق كما يلزم الولد أمه . ومنه قيل للطير ابن الماء للملازمة للماء (الرابع) نفي الشيء لانقضاء عمرته وفائدته للزومها عنه غالباً في مثل قوله تعالى « كيف يكون للمشركون عهد » أي وفاء عهد وإتمام عهد فنفي العهد لانقضاء عمرته وهو الوفاء والاتمام . ومنه قوله تعالى « وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقللوا أئمة الكفرانهم لا أيمان لهم » نفي الايمان بعد اثباتها لانقضاء عمرتها وفائدتها وهو البر والوفاء . . ويجوز أن يكون من مجاز الحذف تقديره انهم لا وفاء أيمان لهم (الخامس) اطلاق اسم الرب على الشك للملازمة الشك القلق والاضطراب فان حقيقة الريب قلق النفس بدليل قوله « نترصد بكم ريب المنون » أي مقلقات الدهور . وبدليل قوله عليه الصلاة والسلام في الظبي الحاقف لا يريبه أحد وقوله صلى الله عليه وسلم ان فاطمة بضعة

مَنْ يَرِيْنِي مَا يَرِيْبَهَا •• وَمَنْه قَوْلْ أَبِي ذُوَيْبِ الْهِنْدِي
* أَمِنْ الْمُنُونِ وَرِيْبَهَا تَوَجُّعٌ *

(السادس) التعبير بالمسافة عن الزنا لان السفح صب المني وهو ملازم للجماع غالباً لكنه خص بالزنا إذ لا غرض فيه سوى صب المني بخلاف النكاح فان مقصوده الولد والتعاضد والتناصر بالأختان والأصهار والاولاد والأحفاد • ومثاله قوله تعالى «محصنين غير مسافحين» أي غير مزانين • وقوله تعالى «محصنات غير مسافحات» أي غير مزانيات (السابع) اطلاق اسم المحل على الحال فيه لما بينهما من الملازمة الغالبة كالتعبير باليد عن القدرة والاستيلاء وبالعين عن الادراك وبالصدر عن القلب وبالقلب عن العقل وبالأفواه عن الألسن وبالألسن عن اللغات وبالقرية عن قاطنيتها وبالساحة عن نازلها وبالنادى والندى عن أهلها وبالعائط وهو المكان المنخفض عما يخرج من الانسان لانهم كانوا في الغالب يقضون الحاجة في الأمكنة المنخفضة تسترا عن الناس (أما) التعبير باليد عن القدرة فهو في القرآن كثير من ذلك قوله تعالى «يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى» وقوله تعالى «تبارك الذي بيده الملك» وأما التعبير بالعين عن الادراك فهو في قوله تعالى «أم لهم أعين يُبصرون بها» أي يبصرون بأدراكها أو بنورها (وأما) التعبير بالصدر عن القلب فهو في القرآن كثير • من ذلك قوله تعالى «فلا يكن في صدرك حرج منه» أي في قلبك • ومنه قوله تعالى «وما نحفي صدورهم أكره» (وأما) بالقلب عن العقل فهو في القرآن في موضعين • أحدهما قوله تعالى «إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب» والثاني في قوله تعالى «لهم قلوب لا يفقهون بها» أي لهم عقول لا يفقهون بها • ويجوز أن يكون من مجاز الحذف تقديره لهم قلوب لا يفقهون بعقولها كما في قوله «ولهم آذان لا يسمعون بها» أي لا يسمعون بأسماعها أو بأدراكها (وأما) التعبير بالأفواه عن الألسن فهو في قوله تعالى «من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم» أي بألسنتهم لان القول انما يكون باللسان ومنه قوله تعالى «يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم» (وأما) التعبير بالألسن عن اللغات فهو في القرآن كثير من ذلك قوله تعالى «فانما يسرناه بلسانك» أي بلفتك ومنه • قوله

تعالى « بلسان عربي مبين » أى بكلام عربي مبين (وأما) التعبير بالساحة عن نازلها
ففى قوله تعالى « فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين » معناه فاذا نزل بهم (وأما)
التعبير بالقرية عن قاطنيتها فى قوله تعالى « واسئل القرية التى كنا فيها » (وأما)
التعبير بالنادى عن أهله فى قوله تعالى « فليدع ناديه » (وأما) التعبير بالندى عن
أهله فى قوله « أى الفريقين خيرٌ مقاماً وأحسنُ ندياً » أى أحسن أهل مجلس
(وأما) التعبير بالغائط وهو المكان المنخفض عما يخرج من الانسان فى قوله تعالى
« أوجاء أحدكم من الغائط » . . ومن مجاز الملازمة وهو التعبير بالارادة عن المقاربة لان
من أراد شيئاً قربت مواقمته إياه غالباً وهو فى قوله تعالى « فوجدنا فيها جداراً
يريد أن ينقض فأقامه » أى قارب الانقضاض . ومنه قول الشاعر

يُرِيدُ الرَّمَحُ صَدْرَ أَبِي رِيَّاحٍ وَيَرْغَبُ عَنْ دِمَاءِ بَنِي عَقِيلٍ

(ومنه) التعبير بترك الكلام عن الغضب لان الهجران وترك الكلام يلزمان الغضب
غالباً وهو فى القرآن العظيم فى موضعين . أحدهما قوله تعالى « ولا يكلمهم الله يوم
القيامة ولا يزكهم » والآخر قوله تعالى « ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة »
(ومنه) التجوز بالاياس عن العلم لان الاياس من نقيض المعلوم ملازم للعلم غير
منقلب عنه . من ذلك قوله تعالى « أفلم يئأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس
جميعاً » (ومنه) التعبير بالدخول عن الوطء لان الغالب من الرجل اذا دخل
باصراته انه بطأها لبله عرسها . ومثاله قوله تعالى « وربائبكم اللاتي فى حجوركم من
نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم » . ومنه وصف
الزمان بصفة ما يشتمل عليه ويقع فيه وهو فى القرآن العظيم كثير . من ذلك قوله تعالى
« فذلك يومئذ يومٌ عسيرٌ » وصفه بالعسر والعسر صفةٌ للأحوال الواقعة فى ذلك اليوم
ومنه قوله تعالى « فياخذكم عذابٌ يومٍ عظيمٌ » وصف اليوم بالعظم وهو صفةٌ للعذاب
الواقع فيه . . وأما قوله تعالى « فياخذكم عذاب يوم عقيم » فانه مجاز تشبيه شبه اليوم فى
انقطاع خبره بانقطاع ولادة المقيم . ومنه قوله تعالى « وقال هذا يومٌ عصيبٌ »
وصفه بكونه عصيباً وهو صفةٌ للشر الذى يقع فيه

القسم السادس عشر

التجوز بالمجاز عن المجاز

وهو أن يجعل المجاز المأخوذ عن الحقيقة بمثابة الحقيقة بالنسبة إلى مجاز آخر فيتجوز بالمجاز الأول عن الثاني بعلاقة بينه وبين الثاني . مثال ذلك قوله تعالى « ولكن لا تواعدوهن سرّاً » فانه مجاز عن مجاز فان الوطاء تجوز عنه بالسريانه لا يقع غالباً إلا في السر فلما لازم السر في الغالب سمي سرّاً وتجوز بالسر عن العقد لأنه سبب فيه فالمصحح للمجاز الأول الملازمة والمصحح للمجاز الثاني التعبير باسم المسبب الذي هو السر عن العقد الذي هو سبب كما سمي عقد النكاح نكاحاً لكونه سبباً في النكاح وكذلك سمي العقد سرّاً لأنه سبب في السر الذي هو النكاح فهذا مجاز عن مجاز مع اختلاف المصحح فعني قوله - ولكن لا تواعدوهن سرّاً - لا تواعدوهن عقد نكاح وكذلك قوله « ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله » قال مجاهد « ومن يكفر بلا إله إلا الله فقد حبط عمله فان حمل قوله على ظاهره كان هذا من مجاز المجاز لأن قول لا إله إلا الله مجاز عن تصديق القلب بمدلول هذا اللفظ والتعبير بلا إله إلا الله عن الوحدةانية من مجاز التعبير بالقول عن المقول فيه والأول من مجاز التعبير بلفظ السبب عن المسبب لأن توحيد اللسان مسبب عن توحيد الجنان

القسم السابع عشر

التجوز في الاسماء وهو على سبعة أقسام

(الأول) إطلاق اسم الأسد على الشجاع (الثاني) التجوز بالبحر عن الجواد (الثالث) إطلاق اسم الفوز والحياة على الإيمان والعرفان (الرابع) إطلاق اسم الظلمة والموت على الجهل والضلال (الخامس) إطلاق اسم السراج والنور على الهادي (السادس) إطلاق اسم الخطب على النجمة بآثارها نار الحقد والفضب (السابع) إطلاق اسم الإنسان على تمثاله وكذلك الحيوان والبلدان وقد تقدم جميع أمثلة ذلك إلا الخطب المعبر به عن النجمة فانه في قوله تعالى « حمالة الخطب »

﴿ القسم الثامن عشر ﴾

التجوز في الافعال وهو على عشرة أقسام ونحت كل قسم منها أقسام

(الأول) التجوز بالماضي عن المستقبل تشبيهاً له في التحقيق والعرب تفعل ذلك المفاضلة وهو أن الفعل الماضي إذا أخبر به عن المضارع الذي لم يوجد بعد كان أبلغ وأكثر وأعظم موقعاً وأنغم بياناً لأن الفعل الماضي يعطى من المعنى أنه قد كان وجد وصار من الأمور المقطوعة بكونها وحدوثها . ومنه قوله تعالى « ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا ما شاء الله وكل أتوه داخرين » فانه إنما قال - ففزع - بلفظ الماضي بعد قوله - يُنفخ - وهو مستقبل للاشعار بتحقيق الفزع وثبوته وأنه كائن لا محالة واقع على أهل السموات والأرض لان الفعل الماضي يدل على وجود الفعل بكونه مقطوعاً به . ومن هذا الجنس قوله تعالى « وبرزوا لله جميعاً » فبرزوا بمعنى يبرزون يوم القيامة وإنما جاء به بلفظ الماضي لان ما أخبر الله به لصدقه وصحته فانه قد كان ووجد . ومثل ذلك قوله عزاسمه « أتى أمر الله فلا تستعجلوه » فأتى هنا بمعنى يأتي وإنما حسن فيه لفظ الماضي لصدق إثبات الأمر ودخوله في جملة ما لا بد من حدوثه ووقوعه فصار يأتي بمنزلة أتى ومضى . وكذلك قوله تعالى « ويوم نُسِرُّ الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نُغادر منهم أحداً » فانه إنما قال - وحشرناهم - ماضياً بعد - نُسِرُّ - وترى - وهما مستقبلان للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير والبروز ليعاينوا تلك الأحوال كانه قال وحشرناهم قبل ذلك وهو في القرآن العظيم كثير . قال الشيخ الامام عز الدين بن عبد السلام في كتابه المعروف بالمجاز أكثر ما يكون هذا في الشروط وأجوبتها وقد يجيء في غيرها . مثاله في غير الشرط قوله تعالى « وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأئمي الهين من دون الله » ومنه « ونادى أصحاب الاعراف » ومنه « ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار » ومنه « ونادوا يامالك » ومنه « وقال قرينه هذا ما لدي »

عَتِيدٌ » ومنه « وقالوا الجلودهم » . ومنه « إنا أعدنا للظالمين نارا » . ومنه « وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا » وأمثاله فى القرآن كثيرٌ (وأما) مثاله فى الشرط فقوله تعالى « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا » معناه وإن تكونوا فى ريب . ومنه « وإن تبتم فهو خيرٌ لكم » معناه وإن تتوبوا فهو خيرٌ لكم . ومنه « فإن كنت فى شك مما نزلنا إليك » معناه فإن شك فى شك . ومنه « إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا » معناه إن تكونوا مؤمنين بالله فعليه توكلوا (وأما) فى جواب الشرط فقوله تعالى « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة » . ومنه « ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون » قال الخليل معناه ليظن . ومنه « وإن عدتم عدنا » معناه وإن تعودوا الى قتال محمد عدنا الى نصره والشرط لا يكون إلا مستقبلا والمرتب على المستقبل مستقبلٌ لاحالة وهذا من مجاز التشبيه شبه المستقبل فى الحقيقة وثبوته بالماضى الذى دخل فى الوجود بحيث لا يمكن رفعه (الثنى) التعبير بالمستقبل عن الماضى وهو فى القرآن العظيم كثيرٌ من ذلك قوله تعالى « واتبعوا ما تلو الشياطين على ملك سليمان » . ومنه « فريقا كذبتم وفريقا تقتلون » معناه وفريقا قتلتم . . ويجوز أن يكون القول فى هاتين الآيتين حكاية حال ماضية مثله فى قوله تعالى « تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا » وكما فى قوله تعالى « ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل » . ومنه قوله تعالى « وكانوا يصرون على الحنث العظيم » ومنه « وقد كانوا يدعون الى السجود » ومنه « وإذ تقول للذى أنعم الله عليه » معناه وإذ قالت وهو فى القرآن كثيرٌ (وأما) قصدت العرب بالاخبار عن الفعل الماضى بالمستقبل لأن الاخبار بالفعل المضارع إذا أتى به فى حالة الاخبار عن وجود كان ذلك أبلغ من الاخبار بالفعل الماضى وذلك لأن الفعل المضارع يوضح الحال التى يقع فيها ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها وليس كذلك الفعل الماضى والفرق بينه وبين القسم الذى قبله هو أن الفعل الماضى يخبر به عن المضارع اذا كان الفعل المضارع من الاشياء الهائلة التى لم توجد والأمور المتعاطفة التى لم تحدث فتجعل عند ذلك فيما قد كان وجوده وقع الفراغ من كونه وحدوثه . وأما الفعل المضارع اذا أخبر به عن الماضى فإن الغرض بذلك تبيين هيئة الفعل واستحضار صورته ليكون السامع كأنه

يعاينها ويشاهدها (الثالث) التجوز بلفظ الخبر عن الأمر وهو في القرآن العظيم كثير. من ذلك قوله تعالى « والوالداتُ يرضعنُ أولادهنَّ حولين كاملين » ومنه قوله تعالى « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً » . ومنه قوله تعالى « تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم » معناه آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ولذلك أوجب بالجزم في قوله « يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جناتٍ » ولا يصح أن يكون جواباً للاستفهام في قوله - هل أدلكم - لأن المغفرة وإدخال الجنات لا يترتب على مجرد الدلالة وهذا من مجاز التشبيه شبه الطلب في تأكيده بخبر الصادق الذي لا بد من وقوعه وإذا شبه بالخبر الماضي كان آكد وكذلك الدعاء والأمر والنهي بالخبر الماضي إذا أريد تأكيده ما عبر عنها بالخبر المستقبل فإن بالغت في التأكيد تجوزت عنها بالخبر الماضي (الرابع) التجوز بلفظ الخبر عن الدعاء وهو في القرآن العظيم كثير. من ذلك قوله تعالى « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم » معناه اللهم أغفر لهم . ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم يرحم الله أخى لوطاً لقد كان يأوى إلى ركن شديد . ومن ذلك تشييت العاطس يرحمك الله وفي إجابته يهديكم الله ويصالح بالكم . المعنى اللهم ارحمهم اللهم اهدهم (الخامس) التجوز بلفظ الخبر عن النهي وهو في القرآن كثير. من ذلك قوله تعالى « وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله » معناه ولا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله . ومنه قوله تعالى « لا تعبدون إلا الله » معناه لا تعبدوا إلا الله . ومنه قوله تعالى « لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم » (السادس) التجوز بلفظ الأمر عن الخبر تأكيداً للخبر لأن الأمر للإيجاب فيشبه الخبر به في إيجابه وهو في القرآن في موضعين قوله تعالى « قل من كان في الضلالة فامهد له الرحمن مداً » تقديره قل من كان في الضلالة يمد له الرحمن مداً أو مد له الرحمن مداً الثاني « اتبعوا سبيلنا ونحمل خطاياكم » (السابع) التجوز بجواب الشرط عن الأمر وهو في القرآن العظيم كثير . من ذلك قوله تعالى « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين » معناه عند الجمهور فليغلبوا مائتين . ومنه « وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً » معناه فليغلبوا ألفاً

ومنه « فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين » معناه فليغلبوا مائتين « وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين » معناه فليغلبوا ألفين والمراد به التأكيد لانه خبر تجوز به عن الطلب (الثامن) التجوز بلفظ النهى عن أشياء ليست مرادة بالنهى وانما المراد بها ما يقاربهها أو يلازمها أو تكون مسببة عنه وهو فى القرآن العظيم كثير . فمن ذلك قوله تعالى « وَذَرُوا الْبَيْعَ » نهى عن البيع فى اللفظ وهو مباح وأراد ما يلزم عنه من ترك الواجب . ومنه قوله تعالى « وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » النهى عن الموت نفسه لايصح لانه ينافى التكليف لكنه تجوز به عما يقارنه من الكفر فكأنه قال ولا تكفروا عند موتكم . ومنه « قولهم لا أرىك هاهنا » معناه لا تحضرن فأراك فتجوز برؤيته عن سببها وهو الحضور . ومنه نهى صلى الله عليه وسلم عن البيع على بيع الأخ ليس النهى عن نفس البيع لأنه مجتمع بشرائط الصحة انما النهى عن أذية الأخ المقترنة بالبيع . ومنه النهى عن الخطبة على خطبة الأخ ليس النهى عن الخطبة نفسها وانما النهى عما يلزمها من تأذى الخاطب (التاسع) التجوز بالنهى لمن لا يصح نهيه والمراد به من يصح نهيه وهو فى القرآن كثير . فنه قوله تعالى « وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ » النهى فى اللفظ للعينين والمراد بذلك ذو العينين أى لا تنظر الى غيرهم . ومنه « لا تلهمكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله » النهى فى اللفظ للأموال والأولاد وفى المعنى لذوى الأموال والأولاد . ومنه « لا يفرنك قلب الذين كفروا فى البلاد » النهى فى اللفظ للقلب والمراد به النهى عن الاعتزاز بالقلب . ومنه قوله « فَلَا تَفَرُّنَاكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا » النهى فى اللفظ للحياة الدنيا والمراد به نهى المخاطبين عن الاعتزاز بها . ومنه قوله تعالى « وَلَا تَعْجَبْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ » النهى فى اللفظ للأموال والأولاد وفى المعنى نهى المخاطبين عن الإعجاب بهما . ومنه قوله تعالى « وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فى دِينِ اللَّهِ » النهى للرأفة فى اللفظ وللمخاطبين فى المعنى . ومنه قوله تعالى « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » النهى لضيم الفتنة فى اللفظ وللمخاطبين فى المعنى لا تعرضن لأصابة الفتنة إياكم لسبب تقريرها وترك نكبرها والتقدير واتقوا تقدير فتنة لا تصيبن عقوبتها أو شؤمها أو وبالها الذين ظلموا

منكم خاصة (العاشر) التجوز ينهى من يصح نهيته والنهي في الحقيقة غيره وهو في القرآن العظيم كثير . منه قوله تعالى « وَلَا يَصِدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ » معناه ولا تصدن عن آيات الله بسبب صدهم بإثك . ومنه « فَلَا يَصِدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا » معناه فلا تصدن عنها . ومنه قوله تعالى « وَلَا يَسْتَخْفِنُكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ » معناه ولا تخفن

القسم التاسع عشر

التجوز بالحروف بعضها عن بعض وهو عشرة أقسام

(الأول) - هل - يُتَجَوَزُ بها عن الأمر والنهي والتقدير وهو في القرآن العظيم كثير . . . أما التجوز بها عن الأمر ففي مواضع منها قوله تعالى « فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » معناه أسلموا . ومنه قوله تعالى « فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ » معناه فأنتموها . . . أما التجوز بها في النفي فهو في مواضع منها قوله تعالى « فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ » وقوله تعالى « فَهَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ » معناه فما ترى لهم من باقية فلا يهلك إلا القوم الفاسقون . وقوله تعالى « هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ » معناه ما ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلال ومثل هذا في القرآن كثير . وأما قوله تعالى « هل من مزيد » فقبل أنه نفي الاستزادة معناه لا مزيد في وقيل أنه طلب لها معناه زدني . . . وأما التجوز بها في التقرير فهو في القرآن العظيم في آيتين . أحدهما قوله تعالى « هل عندكم من علم فتخرجوه لنا » الثانية في قوله تعالى « هل لكم مما مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ » (الثاني) - همزة الاستفهام - ويتجوز بها عن النفي وعن الأمر والایجاب والتقرير والتوبيخ . . . أما التجوز بها عن النفي ففي القرآن العظيم منه كثير . . من ذلك قوله تعالى « أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ » معناه لست مكره الناس حتى يكونوا مؤمنين . وقوله تعالى « أَفَأَنْتَ تَقْذُرُ مِنَ الْنَّارِ » معناه لست منقذ من النار . وقوله تعالى « أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى » معناه لست مسمع

الأصم ولا هادى الأعشى ومثله فى القرآن كثير . . وأما التجوز بها فى الإيجاب فهو فى القرآن كثير . فمن ذلك قوله تعالى « أليس الله بكاف عبده » معناه الوعد بكفاية العباد . وقوله « أليس الله بعزير ذى انتقام » وقوله تعالى « أليس ذلك بقادر على أن يحى الموتى » . . ومنها قول جرير

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكَبَ الْمَطَايَا وَأُنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونٌ رَاحَ

وقول الآخر

أَلَسْتُ أَرَى النِّجْمَ الَّذِى هُوَ طَالِعٌ عَلَيْهَا وَهَذَا لِلْمَحِينِ نَافِعٌ

وأما التجوز بها فى التقرير فهو فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَأُمِّى إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ » وقوله تعالى « أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمَ » وقوله تعالى « أَلَمْ تَكُنْ مِنْ حَرِّمِ أُمِّ الْيَتِيمِينَ » . . وأما التجوز بها فى التوبيخ فهو فى القرآن كثير . فمن ذلك قوله تعالى « أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ » وقوله تعالى « أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ » وقوله تعالى « أَتَأْتُمِرُونَ النَّاسَ بِالْبُرِّ وَتُنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ » وقوله تعالى « أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ » (الثالث) التجوز - بى - وله حقيقة تتحقق فى قسمين . أحدهما احتواء جرم على جرم كقوله تعالى « أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ » وقوله تعالى « وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ » الثانى احتواء جرم على معنى كقوله تعالى « فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ » وقوله تعالى « وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ » وكقوله « إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا مَا هُمْ بِبَالِقِيهِ » وأمثاله فى القرآن كثير . . وأما التجوز بها فهو أنواع . الأول أن يحصل المعنى ظرفاً لتعلقه بمعنى آخر وذلك قوله تعالى « وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » وهو طاعته واجتناب معصيته أو القتال فى سبيله ظرفاً لتعلق الجهاد والجهاد قائم بالجهاد . ومن ذلك قوله تعالى « لَا رَيْبَ فِيهِ » ومن ذلك قوله تعالى « وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ لَارِيبَ فِيهَا » جعل الساعة والكتاب ظرفين لتعلق الريب لا لنفس الريب فان الريب حال فى المرتاب . ومنه قوله تعالى « وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ » أى فى توريثهن جعل التوريث محلاً لتعلق الاستفتاء ثم قال « قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِيهِنَّ » أى فى توريثهن فجعل التوريث

محلا لتعلق بيان القتيا وهو قول الملقى • ومنه قوله تعالى « فهدى الله الذين آمنوا لما
اختلفوا فيه من الحق باذنه » جعل الحق محلا لتعلق الاختلاف والاختلاف قائم بالمتخلفين
• ومنه قوله تعالى « فادّارأتم فيها » أى فادّارأتم فى قتلها فجعل القتل محلا لتعلق الدبر
• ومنه قوله تعالى « فذلكن الذى لُمْتُنْنِي فيه » جعل جبه أو مراودته ظرفا لتعلق لومهن
لا لنفس اللوم فان لومهن قائم بهن • • الثانى التجوز بها عن الباء التى للسبب وهى فى
القرآن العظيم كثير • فمن ذلك قوله تعالى « وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به »
أى بسبب ما أخطأتم • ومنه قوله تعالى « وقاتلوا فى سبيل الله » أى بسبب نصرة
سبيل • وكذلك الحب فى الله والبغض فى الله أى بسبب تعظيم الله وله نظائر كثيرة
ولما كان المسبب متعلقا بالسبب فجعل السبب ظرفا لتعلق المسبب • • الثالث من التجوز
به وهو أن يجعل الجرم محلا لتعلق المعنى وهو فى القرآن المجيد كثير • من ذلك قوله
تعالى « ويتفكرون فى خلق السموات والأرض » جعل الأجرام محلا لتعلق الفكر
لا لنفس الفكر فان الفكر قائم بالتفكر • ومنه قوله تعالى « أو لم ينظروا فى ملكوت
السموات والأرض وما خلق الله من شئ » جعل السموات والأرض والخلقات كلها
محلا لتعلق النظر لا لنفس النظر فان الناظر قائم بالنظر حال فيه • ومنه قوله تعالى
« أو لم يتفكروا فى أنفسهم » (الرابع) من التجوز به أن يجعل المعنى محلا للجرم
وهو عكس الأول فتجوز به عن كثرة ما جعل ظرفا مجازا لما كان الحاوى أعظم من
الحوى شبه به ما توالى أو كثر من المعانى ومنه فى القرآن شئ كثير • من ذلك قوله
تعالى « إنا لراك فى ضلال مبين » ومنه « صم بكم فى الظلمات » أى صم وبكم فى
الضلالات • ومنه قوله تعالى « فهم فى ربهم يترددون » ومنه قوله تعالى « ألاإنهم
فى مرتبة من لقاء ربهم » وأما قوله تعالى « إن المتقين فى جنات ونعيم » فى جنات ونهر •
فى جنات وعيون وفواكه • فمن جمع بين الحقيقة والمجاز جعل - فى - بالنسبة الى
الجنان ظرفا حقيقيا وبالنسبة الى العيون والنهر والنعيم ظرفا مجازيا ومن لم يجمع بينهما
يقدر ان المتقين فى جنات وفى نعيم وفى عيون وفى نهر فيكون فى الثانية مجازا محضاً
مبشراً بكثرة النعيم والانهار والعيون والفواكه ويدع الأولى على حقيقتها ولك أن

يُجَمِّلُ الْجَمِيعَ مَجَازاً عَلَى حَذْفِ لَذَاتِ تَقْدِيرِهِ أَنَّ الْمُتَّقِينَ فِي لَذَاتِ جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ فِي لَذَاتِ
جَنَّاتٍ وَعِیُونَ وَفِي لَذَاتِ جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ فِي لَذَاتِ وَفَوَاكِهٍ أَوْ تَقْدِيرُ أَنَّ الْمُتَّقِينَ فِي نَعِيمٍ
جَنَّاتٍ وَعِیُونَ وَفَوَاكِهٍ أَوْ مَا أَشَبَّهُهُ وَلَا تَقْدِيرُ مِثْلَ هَذَا فِي قَوْلِهِ - فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ
إِذْ يَبْقَى التَّقْدِيرُ فِي نَعِيمٍ نَعِيمٍ وَهُوَ سَمِجٌ لَا يَقْدِرُ مِثْلُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ . وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى
« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّجُومُ
وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ » فَظَاهِرُهُ عِنْدَ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ لِحُكْمِهِ فَمَنْ
يَعْتَلِ عَلَى السَّجُودِ الْمَهْجُودِ وَفِيهَا لَا يَعْتَلِ عَلَى الْإِقْنَادِ لِلْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ . وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى
« أَفَى اللَّهِ شَكٌّ » فَالتَّقْدِيرُ فِيهِ أَفَى وَحِدَانِيَةِ اللَّهِ شَكٌّ فَهُوَ مَنْ جَعَلَ الْمَعْنَى ظَرْفًا لِلْمَعْلُوقِ
الْمَعْنَى . وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى « وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ » وَقَوْلُهُ « كُلُّ يَوْمٍ هُوَ
فِي شَأْنٍ » فَلَيْسَ الظَّرْفُ هُنَا مُتَعَلِّقٌ بِجَوْهَرٍ وَلَا عَرَضٍ وَإِنَّمَا هَذَا مِنْ مَجَازِ التَّشْبِيهِ عَنِ
بُكُونِهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَنْ عِلْمِهِ بِمَا فِيهِنَّ لِأَنَّهُ مِنْ حَضَرٍ مَكَانًا لَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ مَا فِيهِ
وَأَمَّا قَوْلُهُ - كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ - فَهُوَ يَشْبَهُ « إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ
فَارِكُونَ » وَكَقَوْلِهِمْ أَنَا فِي شُغْلِكَ وَحَاجَتِكَ وَلَا يَخْفَى وَجْهَ التَّشْبِيهِ فِيهِ (الْخَامِسُ)
التَّجَوُّزُ - بَعْلَى - وَحَقِيقَتُهَا اسْتِمْلَاءُ جَرَمٍ عَلَى جَرَمٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى « وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ »
وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى « تَلْتَمِصُوا عَلَى ظُهُورِهِ » وَأَمَّا مَجَازُهَا فَعَلَى قَسَمَيْنِ . أَحَدُهُمَا التَّجَوُّزُ
عَنِ الثَّبُوتِ وَالِاسْتِقْرَارِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى « أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ » وَقَوْلُهُ تَعَالَى
« قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي » وَقَوْلُهُ « وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى » وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى
« وَإِنَّكَ لَمَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ » وَهَذَا أَيْضاً مِنْ مَجَازِ التَّشْبِيهِ شَبَهُ التَّمَكُّنِ مِنَ الْهُدَى
وَالْأَخْلَاقِ الْعَظِيمَةِ الشَّرِيفَةِ وَالثَّبُوتِ عَلَيْهَا لِمَنْ عَلَا عَلَى دَابَةِ يَصْرَفُهَا كَيْفَ شَاءَ .
الثَّانِي أَنْ يَجْعَلَ الْمَعْنَى عَلَى الْجَرَمِ تَجَوُّزاً كَقَوْلِهِ تَعَالَى « رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ
الْبَيْتِ » وَكَقَوْلِهِ « أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ » وَالْفَرَضُ بِذَلِكَ كَثْرَةُ
الصَّلَاةِ وَالرَّحْمَةِ لِأَنَّ مَا عَلَاكَ وَجَلَّلَكَ فَقَدْ أَحَاطَ بِكَ . وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى « وَأَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكُمْ
الْمَنْ وَالسَّلَوى » فَهُوَ مِنْ نَزُولِ جَرَمٍ عَلَى جَرَمٍ وَلَا يَدْفَعُ فِيهِ مِنْ حَذْفِ تَقْدِيرِهِ وَأَنْزَلْنَاهُ
عَلَى أَشْجَارِكُمْ أَوْ عَلَى مَحَلَّتِكُمْ . وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى « نَخْرُجُ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ » مَعْنَاهُ

نُخرج على نادى قومه أو على محل قومه • ومثله قوله تعالى « اخرجُ عليهن » فعناه اخرج على مجلسهن أو مكائهن • ومثله قوله تعالى « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا » معناه كلما دخل مكانها أو محرابها (السادس) - عن - وهى حقيقة فى مجاوزة جرم عن جرم وتعديته عنه ثم يستعمل فى المعانى على طريق التشبيه كقوله تعالى « ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا » شبه انصراف البصيرة عن تأمل ذكره بانصراف المجاوز عما يجاوز • وكذلك قوله تعالى « فاعرض عنهم » إن حمل على ترك القتال كان المعنى فانصرف عن قتالهم وإن حمل على غيره فعناه تجاوز عن أذيتهم وفى الحديث تجاوز عما تعلم المعنى ترك المؤاخذه لأن المتجاوز عن الشئ تارك له وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم إن الله تجاوز لامتى عما حدثت به أنفسها (السابع) حرف - من - وهى حقيقة فى ابتداء غاية الأمكنة ويتجاوزها عن ابتداء الغاية فى الأزمنة مثل قوله تعالى « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه » فاستعملها غاية فى الأزمنة لشبهها بالامكان وكذلك تجاوزها عن التعليل فى مثل قوله تعالى « بما خطاياهم أغرقوا » أى من أجل خطاياهم أغرقوا لأن ابتداء غاية المعلول صادر عن علة فشبه ذلك بابتداء الغاية بالمكان (الثامن) حرف - ثم - ويستعمل حقيقة فى تراخى الزمان والمكان ثم يتجاوزها فى تراخى بعض الرتب عن بعض بالتباعد المعنوى فشبه التراخى المعنوى بالتراخى الزمانى والمكان وهو فى القرآن العظيم كثير فمن ذلك قوله تعالى « ثم كان من الذين آمنوا » فجاء بهم - للتراخى الذى بين الايمان والعمل الصالح فان الايمان أفضل من جميع أعمال الانسان فهو مترخ فى الفضل عن فك الرقاب وإطعام السفبان فهو مؤخر فى اللفظ مقدم فى الفضيلة والرتبة على تباعد وتراخ يدل على ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل أى الأعمال أفضل قال الايمان بالله قال ثم ماذا قال بر الوالدين قال ثم ماذا قال الجهاد فى سبيل الله ويدل أن - ثم - هاهنا لتراخى الرتب لا لتراخى الزمان لأن الايمان شرط فى اعتبار فك الرقاب وإطعام السفبان فلا يجوز أن يتقدم المشروط على شرط

•• ومنه قال الشاعر

* إن من ساد ثم ساد أبوه *

جاء بتم لتراخ بين السؤددين من الفضل • ومنه قوله تعالى « ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم » على قول بعضهم قال جئ بتم لتفاوت ما بين نعمة التصوير ونعمة السجود لآدم قال فان اسجد الملائكة له أكمل أحسان وأتم إنعام من التصوير • وقدر بعضهم ولقد خلقنا طينتهم ثم صورناكم في ظهر أبيكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم • وقال بعضهم نسبة الخلق والتصوير الينا من مجاز نسبة ما يتعلق بالواحد الى جماعة • ومثله قوله عز وجل « براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين » نسب المعاهدة الى الجماعة والمراد بها معاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم • ومثل قوله تعالى « ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم » نسب النكث الى الكل وانما نكت بعضهم • ومثله قوله تعالى « وقالت اليهود عذري بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله » ولم تقل اليهود كلها ذلك وكذلك النصارى لأن بعضهم قال ذلك وبعضهم قال هو الله وبعضهم قال هو نالك ثلاثة وقال بعضهم هو عبد الله ورسوله فنسب الى الفريقين ما وجد من بعضهم • ومثله قول امرئ القيس

* فان تقتلونا نقتلكم *

(وأما) من يقول إن - ثم - تستعمل في تراخي بعض الاخبار عن بعض فلا يستقيم في هذه الآية ولا في قول الشاعر

* إن من سادتم ساد أبوه *

لأننا نعلم أن الله تعالى ما راخى بين الاخبار في قوله - ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم - وكذلك قول الشاعر - إن من سادتم ساد أبوه - يعلم أنه لم يقل - إن من سادتم - وقف زماناً طويلاً متراخياً ثم قال - ساد أبوه - وان استعمالها في تراخي الأخبار بعيد في استعمال العرب لان التراخي الموجود في كلامهم انما يقع في مداولات الألفاظ لا بين أنفس الألفاظ وهذا انما يصح استعماله في مقالات للاخبار فيها تعاقب إن ثبت أنه قول من يعتمد على قوله في هذا الشأن (التاسع) حرف - الباء - قال سيويه هي للإصاق والاختلاط والإصاق أضرب • أحدها حقيق وهو الصاق جرم بجرم كقولك ألصقت القوس بالغراء والخشبة بالجدار • والثاني مجاز الصاق المعنى بجرم

كقولك لطفت بزيد ورأفتُ بعدرو فكأنك ألصقت اللطف والرأفة به لتعلقهما به
وكقولك مررت بزيد ولا بد فيه من حذف تقديره مررت بمكان زيد أو بمحل زيد
وهو من مجازات التشبيه كأنك ألصقت المرور بالمكان . الثالث الصاق المعنى بالمعنى
كقوله تعالى « أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ » أى النفس مقتولة بقتل النفس
والعين مفقوءة بفقء العين أنى بالبلاء ليكون المسبب وهو القصاص منسوباً الى الجناية
نسبة التشبيه وهو جار فى جميع الأسباب (العاشر) حرفان وهما - لعل - وعسى - وهما
مجاز تشبيه أو تسبب وحقيقتهما الترجى والتوقع فالله سبحانه تعالى وتنزه أن يوصف
بحقيقتهما بل يصح حملهما على مجاز التشبيه والتسبب . أما مجاز التشبيه فلأن معاملته
بالأمر والنهى والوعد والوعيد مشبه بمعاملة ملك عامل عبيده بذلك على رجاء إجابته
فإن كل من سمع الملك يأمر وينهى ويعد ويوعد يرجو اجابة المأمول واثابته لاسيما اذا
كان ذلك الملك كريماً صدوقاً لا يخلف الميعاد . وأما مجاز التسبب فلأن رجاء الاجابة
وما يترتب عليها من الفلاح مسبب عن لين الخطاب وحسن الترغيب والترهيب فكذلك
أمر الرب ونهيه مع وعده وإيعاده يوجبان لكل من سمعهما خوفاً ورجاءاً لا يوجد
مثلهما فى حق غيره . ويحقق ذلك أن الكلام المنفرد لا يتوقع منه اجابة ولا إنابة
والكلام اللين المرغوب يتوقع كل من سمعه الاجابة والانابة فلذلك قيل لموسى ومرون
عليهما السلام « فقولاً له قولاً لنا لعلهُ يَتَذَكَّرُ أو يخشى » لما كان القول اللين سبباً
للتذكر والخشية أمرهما به لتقوم عليه الحجة فهذا الرجاء المتعلق بكلامه . وأما الرجاء
المتعلق بأفعاله فكما فى قوله سبحانه « وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونٍ أَمْهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ
شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لعلكم تشكرون » لما ذكر هذه النعم
الجسام التى لا يتصور وجودها من غيره أردفها بقوله - لعلكم تشكرون - من جهة
أن الشكر مرجو من النعم عليه متوقع منه ولا سيما عند هذه النعم لانه عاملهم بهذه
النعم معاملة الراعى كما عاملهم بالفتن معاملة الفان فوصفه نفسه بكونه راجياً كوصفه
نفسه بكونه فاتناً وكذلك نظائرهُ

— القسم العشرون —

من أقسام المجاز الاستعارة وهي على أربعة أقسام • وقيل على قسمين
وقيل على سبعة أقسام • وقد بينها في الوجه الثالث من الكلام عليها

اعلم وفقنا الله وإياك أن اللفظ إذا استعمل فيما وُضع له فهو حقيقة • وإن استعمل
في غير ما وُضع له فإن لم يكن لمناسبة بينه وبين ما وُضع له فهو الموكّل^(١) • وإن كان لمناسبة
بينهما فإن حسن فيه أدوات التشبيه فهو مجاز التشبيه وإن لم يحسن فيه اظهار أدوات
التشبيه فهو الاستعارة • • وإذا تقرر هذا فالكلام في الاستعارة على وجوه • الأول
هل هي من أنواع المجاز أم لا • • الثاني في حدها • • الثالث في أقسامها • • الرابع
في اشتقاقها • • الخامس فيما تنهأ به الاستعارة وما لا تنهأ • • السادس في الاستعارة
التخييلية • • السابع في الاستعارة المجردة • • الثامن في الاستعارة المرشحة • • التاسع
في الاستعارة الحسنة • • العاشر في الاستعارة القبيحة • • الحادي عشر في بيان ما يُظن
أنه استعارة وليس باستعارة • • الثاني عشر في الاستعارة بالكناية • • الثالث عشر فيما
تنزل به الاستعارة منزلة الحقيقة (أما الأول) فقد اختار الامام نضر الدين رحمه الله
أن الاستعارة ليست من المجاز لعدم النقل وجمهور علماء هذا الشأن عدوها من المجاز
لاستعمال اللفظ في غير ما وُضع له (وأما الثاني) فقد اختلفت عبارات علماء هذا الشأن
في حدها فقال علي بن عيسى الاستعارة استعمال العبارة لغير ما وضعت له في أصل اللغة
وقد أبطل الامام نضر الدين ما قاله ابن عيسى في حد الاستعارة من وجوه أربعة •
الاول أنه يلزم أن يكون كل مجاز لفوى استعارة • الثاني يلزم أن تكون الاعلام المنقولة
من باب المجاز • الثالث استعمال اللفظ في غير معناه للجهل بذلك • الرابع أنه يتناول
الاستعارة التخييلية على ما سيأتي • • وقال قوم الاستعارة جعل الشيء الشيء أو جعل
الشيء للشيء لأجل المبالغة في التشبيه • فالأول كما تقول لقيتُ أسداً وتعنى الشجاع

(١) كذا في الاصل وكتب بهامشه لعله المنقول فليحذر

فقد جعلت الشجاع أسداً فهذا جعل الشيء الشيء • والثاني كقول الشاعر

* إذ أصبحت بيد الشمال زمامها *

وسبأني • • وقال المتقدمون من أرباب هذه الصناعة الاستعارة الاستدلال بالشيء المحسوس على المعنى المعقول • وهذا هو أحد أنواع الاستعارة فان الاستعارة على أقسام وسبأني بيانه • • وقال قوم الاستعارة ادعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طرح المشبه • • وقال الامام نضر الدين رحمه الله الاستعارة ذكر الشيء باسم غيره وإثبات ما لغيره له لأجل المبالغة في التشبيه • فقوله - ذكر الشيء باسم غيره - احترازاً عما اذا صرح بذكر المشبه كقولك زيد أسد فانك ما ذكرت زيدا باسم الأسد بل ذكرته باسمه الخاص فلا جرم أن ذلك لم يكن استعارة • وأما قوله - وإثبات ما لغيره له - ذكره لتدخل فيه الاستعارة التخيلية • وقوله - لأجل المبالغة في التشبيه - ذكره لتمييزه عن المجاز (وأما الثالث) فقد اختلفت عبارات أرباب هذه الصناعة في أقسامها فقال قوم أقسامها أربعة • الاول أن يكون المستعار والمستعار منه محسوسين • الثاني أن يكونا معقولين • الثالث أن يكون المستعار معقولا والمستعار منه محسوسا • الرابع أن يكون على العكس • • أما استعارة المحسوس للمحسوس فهي على قسمين أحدهما أن يكون الاشتراك في الذات والاختلاف في الصفات والثاني أن يكون العكس • فنال الاول أن يكونا حقيقتان تتفاوت إحداها في الفضيلة أو النقص والقوة والضعف فينقل اللفظ الموضوع للاكمل في ذلك النوع الى الانقص • مثاله استعارة الطيران للعدو فانهما يشتركان في الحقيقة وهي الحركة المكانية إلا أن الطيران أسرع من العدو فلما تساوى في الحقيقة واختلفا في القوة والضعف في السرعة لا جرم نقلوا اسم السكامل في السرعة الى الناقص فيها فسموا العدو طياراً • وقد يقع في هذا الجنس ما يظن أنه مستعار ولا يكون كذلك وذلك اذا كانت جهة الاختلاف خارجة عن مفهوم الاسم كقول بعضهم وفي يدك السيف الذي امتنعت به صفة الهدى من ان تدرك فتخزقا

فالظاهر ان الحرق حقيقة في الثوب مجاز في الصفة ولكن التحقيق بأباه لان الشق يستعمل في الحرق فيقال شقت الثوب والشق عيب في الثوب وهذه الملاقاة على وجه

الحقيقة فلما قام الشق مقام الخرق وجب ان يقوم الخرق مقام الشق ظاهراً والا لو كان للخرق مفهوم سوى مفهوم الشق لكان لفظ الخرق مشتركاً بينهما وهو خلاف الاصل فثبت أن الخرق والشق لفظان مترادفان ولما كان الشق حقيقة في الصفة كان الخرق المرادف له حقيقة أيضاً فيه . نعم لوقات خرق الحشمة لم يكن من الحقيقة في شيء لانه ليس هناك شق فهذا الطريق عرفنا أن الخرق ليس اسماً للتعرف من حيث انه لاشق هناك كما تقدم خلاف ما تقدم من حيث أن الشق حاصل في الثوب بل هذه الخصوصية خارجة عن مفهوم لفظ الخرق ولما كانت لفظة الخصوصية التي بها تتميز تفرق أجزاء الحجر بعضها من بعض عن تفرق أجزاء الثوب غير داخلية في مفهوم الخرق كان استعمال الخرق في الموضعين حقيقة ولو قدرنا دخول تلك الخصوصية في الخرق كان استعماله في الحجر على طريق الاستعارة فهذا هو القانون في هذا الباب بعد أن لاتضابق في المثال هذا كله اذا كان الاشتراك في الحقيقة والاختلاف في العوارض والصفات . . وأما اذا كان بالعكس وهو أن يكون الاشتراك في الصفات والاختلاف في الحقيقة فمثل قولهم رأيت شمساً ويريدون انساناً يتهلل وجهه كالشمس فيشاركه في الوصف . . وأما القسم الثاني وهو استعارة اسم شيء معقول لشيء معقول وهذا أيضاً انما يكون في أمرين يشتركان في وصف عديم أو نبوتي وأحدهما بذلك الوصف أولى وفيه أكمل فينزل الناقص منزلة الكامل ثم ان المشتركين إما أن يكونا متعادين أو لا يكونا كذلك فان تعاديا فاما أن يكون التعاند بالثبوت أو الانتفاء أو بالتضاد . مثال الاول استعارة اسم المعدم للموجود أو الموجود للمعدم . أما الأول فعند ما لا يحصل من ذلك الموجود فائدة مطلوبة فيكون ذلك الموجود مشاركا للمعدم في عدم الفائدة لكن المعدم بذلك أولى فيستعار لذلك الموجود اسم المعدم . وأما الثاني فعند ما تكون الآثار المطلوبة من الشيء باقية عند عدم الشيء فيكون عند ذلك المعدم مشاركا للموجود بتلك الفوائد لكن الموجود أولى بذلك فيستعار لذلك المعدم اسم الموجود . وأما اذا كان التعاند بالتضاد حقيقة كان أوظاهراً مثاله تشبيه الجهال بالأموات لأن المقصود بالحياة الادراك والعقل فاذا عدما فقد عُدمت الآثار المطلوبة من الحياة فتصير تلك الحياة مساوية

للموت في عدم الفائدة المطلوبة والموت أولى بذلك فتنزل الحياة منزله . ثم الضدان اذا كانا متقابلين الأشد والأضعف في أحد الطرفين اسم الأزيد وفي الطرف الآخر اسم الأقل . فشرط مساوى التشبيه مثلاً كل من كان أقلّ علماً وأضعف قوة كان أولى أن يستعار له اسم الميت . ولما كان الإدراك أقدم من الفعل في كونه خاصية للإنسان لا جرم كان الأقل علماً أولى باسم الميت أو الجمد من الأقل قوة باسم الحياة فلاشرف علماً أولى بذلك لقوله تعالى «أو من كان ميتاً فأحييناه» هذا اذا كانا متقابلين أما اذا لم يكونا كذلك وهو أن يكوناه وجودين يشتركان في وصف معقول إلا أن ذلك الوصف لأحدهما أولى فيتنزل الناقص منزلة الكامل مثل قولهم فلان لقي الموت اذا كان لقي شيئاً من الشدائد لانها مشاركة للموت في الكراهية لكن الموت أولى بها فتتنزل تلك الشدائد منزلة الموت لاشتراكها في المكروهية وعلى هذا قوله تعالى « ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت » (وأما الثالث) فهو أن يستعار للمعقول اسم المحسوس وهو كاستعارة الحجة للنور الذى هو محسوس بالبصر واستعارة العدل للقسطاس المدرك بحاسة العين (وأما الرابع) فهو استعارة اسم المعقول للمحسوس وهو غير جائز إلا على التأويل الذى نذكره في باب التشبيه إن شاء الله تعالى

﴿ فصل ﴾

وهذه جملة مما احتوى عليه الكتاب العزيز من أقسام الاستعارة وصنوفها نذكرها مفصلة مبينة على حكم ما تقدم من الاقسام الأربعة إذ الغرض من هذا الكتاب معرفة ما تضمنه الكتاب العزيز من أنواع البيان وأصناف البديع وفنون البلاغة وعيون الفصاحة وأجناس التجنيس . أما ما جاء في الكتاب العزيز من استعارة المحسوس للمحسوس فأيات كثيرة منها قوله تعالى « واشتعل الرأس شيباً » إذ المستعار منه النار والمستعار له الشيب والجامع بينهما الانبساط ولكنه في الناري أقوى . وفي هذه الآية ثلاث فوائد أخر غير الاستعارة (الفائدة الأولى) أنه سلك في الآية طريق ما أسند فيه الشيء إلى الشيء وهو لشيء آخر لما بينه وبين الأول من التعلق فيرفع ذكر ما أسند اليه

ويؤتى بالذى الفعل له فى المعنى منصوباً بعده مبيناً أن ذلك الاسناد الى ذلك الأول
انما كان من أجل هذا (الفائدة الثانية) بيان ما بينهما من الاتصال كقولهم طاب
زيد نفساً وتصيب عرقاً وأشباههما فيما تجدد الفعل فيه منقولا عن الشيء الى ما ذلك
الشيء من سببه فاننا نعلم أن الاشتغال للشيب فى المعنى وهو للرأس فى اللفظ كما أن
طاب للنفس وتصيب للعرق وإن أسند الى ما أسند اليه والدليل على أن شرف هذه
الآية بسبب ذلك أننا لو تركنا هذا الطريق وأسندنا الفعل الى الشيب صريحاً فقلنا
اشتعل شيب الرأس أو الشيب فى الرأس لانتفا ذلك الحسن . فان قلت فما السبب فى
ان كان اشتعل اذا استعير للشيب على هذا الوجه كان له هذا الفضل . فنقول السبب
فيه أن يفيد مع لمعان الشيب فى الرأس أنه شمل وشاع وأخذ به من نواحيه وعم بجملته
حتى لم يبق من السواد شيئاً الا القليل فهذه الفائدة لا تحصل اذا قيل اشتعل الشيب
فى الناس لا يوجب اللفظ أكثر من ظهور الشيب فيه . بيانه أنك تقول اشتعل النار
فى البيت فلا يفيد أكثر من اصابها جانباً . ومثاله من التنزيل قوله تعالى . وفجرنا
الارض عيوناً « فالتفجير للعيون فى المعنى لكنه وقع فى اللفظ على الارض ليفيد
أن الارض بالكلية صارت عيوناً (الفائدة الثالثة) تعدية الرأس بالالف واللام
وإفادة معنى الاضافة من غير الاضافة وهو أحد ما أوجب المزية ولو قيل واشتعل
رأس لذهب الحسن . . ومن هذا الباب قوله تعالى « وتركنا بعضهم يمجج فى
بعض » أصل الموج حركة الماء فاستعمل فى حركتهم على سبيل الاستعارة . وقوله
عز وجل « والصبح اذا تنفس » للظهور . . وأما استعارة المحسوس للمحسوس
لشبه عقلى فكقوله تعالى « اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم » المستعار له الريح
والمستعار منه المرأة العقيم والجامع بينهما المنع من ظهور النتيجة . ومنه قوله تعالى
« وآية لهم الليل نسلخ منه النهار » المستعار له ظهور النهار من ظلمة الليل
والمستعار منه ظهور المسلوخ من جلده والجامع أمر عقلى وهو ترتيب أحدهما على
الآخر . ومنه قوله تعالى « فجعلناها حصيداً كأن لم تنم بالامس » أصل الحصيد
للنبات والجامع الهلاك وهو أمر عقلى . وقوله « خامدين » أصل الحمد للنار . ومنه

قوله تعالى « وإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ » وهو أفصح من أن يقال في أصل الكتاب . . وأما استعاره المحسوس للمعقول فكقوله تعالى « بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ » فالنقذف والدمغ مستعاران . ومنه قوله تعالى « صُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أُنِيبُوا يُقْبَلُوا إِلَّا بَجَهْلٍ مِنَ اللَّهِ وَجِبِلٍّ مِنَ النَّاسِ » . ومنه قوله تعالى « فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِمْ » . ومنه قوله تعالى « وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ » وكل خوض دمه الله في القرآن فلفظه مستعار من الخوض في الماء . ومنه قوله تعالى « فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ » استعارة لبيان عما أوحى إليه لظهور ما في الزجاجة عند انصداعها . ومنه قوله تعالى « أَفَنُؤَسِّسُ بَنِيانَهُ » البنيان مستعار وأصله للحيطان . ومنه قوله تعالى « وَيَبْفُونَهَا تَعْوَجًا » الموج مستعار . ومنه قوله تعالى « لَنُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ » وكل ما في القرآن من الظلمات والنور مستعار . ومنه قوله تعالى « فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا » . ومنه قوله تعالى « أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ » الوادي مستعار وكذلك الهيمان وهو على غاية الافصاح . ومنه قوله تعالى « قَالُوا أَتَيْنَا طَائِعِينَ » جعل للسموات والارض قولاً وطاعة . ومنه قوله تعالى « وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ » الآية . . وأما استعارة المعقول للمعقول فنه قوله تعالى « مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا » استعار الزقاة للموت وهما أمران معقولان والجامع عدم ظهور الافعال . ومنه قوله تعالى « وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ » والسكوت والزوال أمران معقولان . . وأما استعارة المعقول للمحسوس فنه قوله تعالى « إِنَّا لَمَّا طِفَى الْمَاءُ سَحَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ » المستعار منه التكبر والمستعار له الماء والجامع الاستعلاء المضر . ومنه قوله تعالى « وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوهَا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَالِيَةٍ » والعنو هاهنا مستعار . ومنه قوله تعالى « تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ » فالغيط الغيظ مستعار . ومنه قوله تعالى « وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتِينَ فَمَعُونَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مَبْصُرَةً » وهو أفصح من مضيئة . ومنه قوله تعالى « حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا » هذا الذي اختاره الامام غفر الدين ومن قبله من المحققين . . وقال قوم الاستعارة على قسمين . الاول ان يعتمد نفس التشبيه وهو أن يشترك شيئان في وصف واحد أحدهما أنقص من الآخر فيعطى الناقص اسم مبالغة في تحقيق

ذلك الوصف له كقولك رأيت أسداً وأنت تنفى رجلاً شجاعاً وعنت لناظية وأنت تنفى امرأة ونحى الأقسام الأربعة وقد تقدمت • أنه نى أن تعتمد لوازمه وهو عند ما تكون جهة الاشتراك وصفاً أما يثبت بكماله في المستعار منه بواسطة شيء آخر فيثبت ذلك الشيء في المستعار له بمبالغة في إثبات المشترك ويسمى استعارة تخيلية كقول لبيد

وغداة ربح قد وزعتُ وقرّةً إذ أصبحتُ بيدِ الشمالِ زِمَامُهَا

استعار اليد للشمال وليس هناك مشاراً إليه يمكن أن يجرى اسم اليد عليه كما أجرى الأسد على الرجل لكنه خيل الى نفسه أن الغداة في تصريف الشمال على حكم طبيعتها كالإنسان المتصرف في بعيده وزمامه ومقادته في يده وتصرف الإنسان إنما يكمل باليد فأنبت لها اليد تحقيقاً للغرض وحكم الزمام في الاستعارة للغداة حكم اليد في استعارتها للشمال • وكذلك قول تأبطشراً يصف سيفاً

إذا هزّه في عظمِ قرنٍ تهلّلتِ نواجذُ أفواهِ المنايا الضواحِكِ

لما شبه المنايا عند هزه السيف بالمسرور وكالفرح والسرور إنما يظهر بالضحك الذي تهلل فيه النواجذ لاجرم أثبتة تحقيقاً للوصف المقصود والافليس للمنايا ما ينقل اليه اسم النواجذ • وكذلك له في الحماسة

سقاءُ الرّدى سيفٌ إذا سُلَّ أو مضتْ اليه ننايا الموتِ من كلِّ مَرَقَدٍ

• • ومن ذلك قوله تعالى « وأخفض لهم جناح الذل من الرحمة » تحقيق هذا الخلاص عن التشبيه فإن من وضع في نفسه أن كل اسم يستعار فلا بد أن يكون هناك شيء تمكن الإشارة اليه تتناوله في حال المجاز كما يتناوله في حال الحقيقة • • وقال ابن الأثير تقسم الاستعارة الى قسمين • الأول يجب استعماله وهو ما كان بينه وبين ما استعير له تشابه وتناسب ونضرب له أمثلة يستدل بها عليه • فن ذلك قوله تعالى « وآية لهم الليل نساخ منه النهار » وهذا الوصف إنما هو على ما يظهر للعين لأعلى حقيقة المعنى لأن الليل والنهار اسمان يقعان على هذا الجو عند إظلامه وإضاءته بغروب الشمس وطلوعها وليس على الحقيقة شيئين ينساخ أحدهما من الآخر إلا أنهما في رأى العين كأنهما كذلك - والنسخ - يكون في الشيء الملتحم ببعضه بعض فلما كانت

هو ادى الصبح عند طلوعه كالمتحمة باعجاز الليل أجرى عليهما اسم السلخ وكان ذلك
لائقاً في بابه وهو أولى من قوله يخرج لأن السلخ أدل على الالتحام المتوهم من
الخراج . الثاني ما لا يجب استعماله وسيأتي بيانه . . وقال قوم الاستعارة على سبعة
أقسام . الأول الاستعارة للمناسبة وهي على أربعة أقسام كما تقدم . الثاني الاستعارة
التخييلية وقد تقدم بيانها . الثالث الاستعارة المجردة . الرابع الاستعارة المرشحة .
الخامس الاستعارة البديعة . السادس الاستعارة القبيحة . السابع الاستعارة في
الكناية وقد بينا متقدماً بعضها وسنبين الباقي إن شاء الله تعالى (الوجه الرابع)
من التقسيم الأول في اشتقاقها وهي مشتقة من العارية التي حقيقته في الاجرام ولهذا
قال ابن الاثير الاستعارة هي أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع الافصاح بالتشبيه واطهاره
وتجئ على اسم المشبه به فمعبر به عن اسم المشبه تجريه عليه كقولك رأيت رجلاً هو
كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواء فتدع ذلك وتقول رأيت أسداً . والسين التي
في الاستعارة ليست سين الالتماس والطلب التي هي في قولهم استعان اذا طلب المعونة
واستجار اذا طلب الجيرة وانما هي كالتى في قوله تعالى « فاستجاب لهم ربهم » . وكقول
الشاعر
* فلم يستجبه عند ذاك محجب *

(الوجه الخامس) فيما تصح منه الاستعارة وفيما لا تصح . . قال الامام غفر الدين وجاعة
من المحققين إن الاسماء على ثلاثة أقسام . اسماء أعلام . واسماء مشتقة . واسماء أجناس . .
فأما الاسماء الأعلام فلا استعارة فيها لأن المشابهة بين الأصل والفرع معتبرة في
الاستعارة وهي غير معتبرة في الأعلام . . وأما الاسماء المشتقة فلا استعارة أيضاً لا تدخلها
دخولاً أولاً وهل تحقق في الفعل أم لا . فنقول الفعل شأنه الدلالة على ثبوت المصدر
لشيء في زمان معين فلا استعارة تقع أولاً في المصدر بواسطة ذلك في الفعل فاذا قلت
نطقت الحال وهذا انما يصح لان الحال مشابهة النطق في الدلالة على الشيء فلا جرم
استعير النطق لتلك الحالة فلا استعارة أولاً واقعة على المصدر بواسطة في الفعل فاذا
الاستعارة في الحقيقة ليست إلا في المصدر فاذا عرفت ذلك تبين لك أن الاسماء المشتقة
أيضاً كذلك فإن الاسم المشتق هو الذي يدل على ثبوت المشتق منه شيء مع عدم

الدلالة على زمان ذلك الثبوت فظهر منه أن الاستعارة إنما تقع وقوعاً أولياً في أسماء
الاجناس . . . وتلخيص هذا الكلام أن المعنى يستعار أولاً بواسطة استعارة اللفظ وأن
الاستعارة تقع في المصدر ثم بواسطة الفعل واستعارة الفعل أما من جهة فاعله كقولك
نطقت الحال بكذا ولعبت به الهموم وأما من جهة مفعوله كقول ابن المعتز

جَمَعَ الحَقُّ لَنَا فِي إِمَامٍ قَتَلَ الجُوعَ وَأَحْيَا السَّامِحَ

أو من جهة مفعوله كقول القطامي

نُقْرِئُهُمْ لِهَذِهِ مَيَّاتٍ نَقَدْتُ بِهَا مَا كَانَ خَاطَ عَلَيْهِ أَكْلُ زَرْدَادٍ

أو لكلهما كقول الحريري

وَأَقْرَى المَسَامِعَ إِمَّا نَطَقْتُ بَيَانًا يَقُودُ الحُرُونَ الشَّمُوسَا

أو من جهة الفاعل والمفعول كقوله تعالى « يَكَادُ البرقُ يُخطفُ أَبْصَارَهُمْ » . . . وقال
ابن الأثير في جامعہ اعلم أن الاستعارة قد جاءت في الأسماء والصفات والأفعال جميعاً
تقول رأيت ليوناً. ولقيت صبا عن الخير. وأضاء الحق. إلا أنه قد استعمل الضرب الثاني
الذي ذكرناه وهو قولنا - زيد أسد - في باب الاستعارة وأورده جماعة من العلماء مثل
قدامة والجاحظ وأبي هلال العسكري والغامبي وأبي محمد بن سنان الخفاجي في تصنيفاتهم
في باب الاستعارة ولم يذكرُوا أن الأصل فيه أنه تشبيه بليغ فما أعلم هل ذلك لخطائه
عليهم أو أنهم عرفوه ولم يذكروه وهو الأصل المقيس عليه في التشبيه الذي أجمع عليه
المحققون من علماء البيان وقد أوردناه نحن في كتابنا هذا في باب الاستعارة تشبيهاً بالقوم
واستئنا بسننهم لأنهم السابقون في هذا الفن بالتصنيف إلا أن موضعه باب التشبيه
فاعرف ذلك (الوجه السادس) الاستعارة التخيلية وقد تقدم الكلام فيها وزيد
ذلك وضوحاً وهو أن علماء البيان قالوا إن أكثر الآيات التي يمسك بها أهل التشبيه
من هذا فمنها قوله تعالى « وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ » أثبت الجناح للذل
استعارة تخيلية . . . روى أن أبا تمام لما نظم قوله (هو حبيب بن أوس الطائي)

لَا تَسْقِي مَاءَ المَلَامِ فَانِي صَبٌّ قَدْ اسْتَعَذَبْتُ مَاءَ بَكَائِي

جاءه رجل بقصعة وقال اعطني قليلاً من ماء الملام فقال أبو تمام لا أعطيكه حتي تأتيني

بريشة من - جناح الذل - فأفحم الرجل • ومن ذلك أيضاً قوله تعالى « سنفرغ لكم أيها الثقلان » • ومنه قوله تعالى « ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً » • ومنه قوله تعالى « إِلَّا أَنْ يَفْقُوتَ أَوْ يَفْقُوتَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ » • ومنه قوله تعالى « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً » وفي القرآن العظيم من ذلك كثير (الوجه السابع) الاستعارة المجردة وهي أن ننظر الى المستعار من غير نظر الى غيره كقوله تعالى « فأذاقها الله لباسَ الجوعِ والخوفِ » وكقول زهير

* لَدَى أَسَدٍ شَاكِيَ السِّلَاحِ مَقْدَفٌ *

لو نظر الى المستعار منه لقال - فكسأهم الله لباس الجوع - ولقال زهير - لدى أسد وافي الخالب. أو وافي البرائن - (الوجه الثامن) الاستعارة المرشحة وهي أن ننظر الى جانب المستعار فتراعى جانبه وتواليه ما يستدعيه وتضم اليه ما يقتضيه مثل قول كثير

* رَمَتْنِي بِسَهْمٍ رِيْشُهُ الْكُحْلُ لَمْ يَضُرْ *

وقول النابغة

* وَصَدْرِي أَرَا حَ اللَّيْلِ عَاذِبٌ كَهْمِي *

المستعار في كل واحد منهما وهو الرمي والازاحة منظوران اليه في لفظي - السهم. والعازب - (الوجه التاسع) الاستعارة البديعة البالغة وهي أن تتضمن المبالغة في التشبيه مع الإيجاز وغالب استعارات الكتاب العزيز كذلك وفي أشعار فصحاء العرب منها كثير (الوجه العاشر) الاستعارة القبيحة وليس في الكتاب العزيز منها شيء وأما في أشعار العرب وغيرهم فكثير • • ومن قبيح الاستعارة قول أبي تمام

سَبْعُونَ أَلْفًا كَأَسَادِ الشَّرِّ نَضِجَتْ أَعْمَارُهُمْ قَبْلَ نَضِجِ الثِّينِ وَالْغَنَبِ

وهذا البيت ليس فيه وجه من وجوه الحسن وقد روي في غير هذه الرواية - نضجت جلودهم قبل - وعلى هذه الرواية ليس في البيت استعارة قبيحة فان القتلى أنضجت الشمس جلودهم كما نضج الثين والغناب • • وكذلك قوله

* أَيَا مَنْ رَمَى قَلْبِي بِسَهْمٍ فَأَدْخَلَ *

أقام - أدخل - مقام أفند • وفي رواية - فأقصدا - وفي رواية - فأنفدا - فعلى

من روى فأقصدا وأنفذا فهي استعارة حسنة .. ومما يزيد الاستعارة حسناً وهو أصل في هذا الباب أن يجمع بين عدة من الاستعارات قصداً لالحاق الشكل بالشكل لاتمام التشبيه كقول امرئ القيس في وصف ليل طويل

فقلت له لما تغطى بصبه وأردف أعجازاً وناءً بكلكل

لما جعل ليل صلباً قد تغطى به بين ذلك فجعل له كلكلاً قد ناء به فاستوفى جملة أركان الشخص وراعى ما يراه الناظر من جميع جوانبه (الوجه الحادى عشر) الاستعارة بالكناية وبيان ما تنزل به الاستعارة بالكناية منزلة الحقيقة .. أما الاستعارة بالكناية فهي اذا لم يصرح بذكر المستعار بل بذكر بعض لوازمه تنبيهاً به عليه كقول أبى ذؤيب واذا المنية أنشبت أظفارها ألفت كل تميمة لا تنفع

فكانه حاول استعارة السبع للنية لكنه لم يصرح بها بل بذكر لوازمها تنبيهاً بها على المقصود (الثانى عشر) ما تنزل به الاستعارة منزلة الحقيقة وهو أن يذكر لفظاً يوهم به أن الاستعارة أصلاً كقول أبى تمام

ويصعد حتى يظن الجهو ل بأن له حاجة في السماء

لما استعار العلو لزيادة العلو في الفضل والقدر ذكره ذكر من يذكر علو مكان .. وكقول ابن العميد

قامت تظللنى من الشمس نفس أعز على من نفسى

قامت تظللنى ومن عجب شمس تظللنى من الشمس

ومدار هذا النوع على التعجب وقد يجي على عكسه كقوله

لا تعجبوا من بلا غلاله قد زرأ زرارؤه على القمر

وهذا إنما يتم بالحكم الجدى بكونه قرأ ليكون من شأنه أن يبلى الكتان (الوجه الثالث عشر) شروط الاستعارة الكاملة .. قال ابن الاثير لابد للاستعارة من ثلاثة أشياء . مستعار . ومستعار منه . ومستعار له . فاللفظ المستعار قد نقل من أصل الى فرع اللابنة والمستعار منه والمستعار له لفظان حمل أحدهما على الآخر فى معنى من المعانى هو حقيقى للمحمول عليه مجازي للمحمول . مثال ذلك قوله تعالى « واشتعل الرأس شيباً » فهذا

مستعار ومستعار منه ومستعار له فالاستعار هو الاشتغال وقد نقل من الاصل الذى هو النار الى الفرع الذى هو الشيب قصداً للإبانة وأما المستعار منه فهو النار والاشتغال لها حقيقة وأما المستعار له فهو الشيب والاشتغال له مجاز

القسم الحادى والعشرون

التشبيه والكلام عليه من وجوه

الاول هل هو من المجاز أو لا . . . الثانى بيان الغرض بالتشبيه . . . الثالث فى حده . . . الرابع فى معرفة الاشياء التى يكون منها التشبيه . . . الخامس فى أقسامه . . . السادس فى ذكر أدوات التشبيه ما يكون بأداة وما يكون بغير أداة . . . السابع فى تشبيه الشيتين بالشيء الواحد . . . الثامن فى ذكر ما حسن به موقع التشبيه . . . التاسع فى الشرط الذى لا يكون التشبيه حسناً الا به . . . العاشر فيما يجوز عكسه من التشبيه وما لا يجوز . . . الحادى عشر التشبيه فى الهيئات التى تقع عليها الحركات . . . الثانى عشر الفرق بين الاستعارة والتشبيه (أما الاول) فالذى عليه جمهور أهل هذه الصناعة أن التشبيه من أنواع المجاز وتصانيفهم كلها تصرح بذلك وتشير اليه . . . وذهب المحققون من متأخري علماء هذه الصناعة وحذاقها الى أن التشبيه ليس من المجاز لانه معنى من المعانى وله حروف وألفاظ تدل عليه وضماً كان الكلام حقيقة أو مجازاً فاذا قلت زيد كالاسد . . . وهذا الخبر كالشمس فى الشهرة . . . وله رأى كالسيف فى المضاء . . . لم يكن مثل نقل اللفظ عن موضوعه فلا يكون مجازاً (وأما الثانى) فالغرض بالتشبيه وفائدته الكشف عن المعنى المقصود مما يكتسب من فضيلة الایجاز والاختصار والدليل على ذلك قولنا زيد أسد فان الغرض بهذا القول أن نبين حال زيد وأنه متصف بشهامة النفس وقوة البطش والشجاعة وغير ذلك مما جرى هذا المجرى إلا إننا لم نجد شيئاً يدل عليه سوى جعلناه شبيهاً بالأسد حيث كانت هذه الصفات مختصة به مقصورة عليه فصار ما قصدناه من هذا القول الكشف

وأين من أن لو قلنا زيد شهم شعاع قوى البطش جزئ الجنان وأشباه ذلك لما قد عرف وعهد من اجتماع هذه الصفات في المشبه به فانه معروف بها مشهور بكونها فيه (وأما الثالث) فقد اختلفت عبارات أهل هذا الشأن في حد فقال قوم حده أن يثبت للمشبه حكماً من أحكام المشبه به... وقال قوم حده الدلالة على اشتراك شيئين في معنى من المعاني وأن أحدهما يسد مسد الآخر وينوبُ منابه سواء كان ذلك حقيقة أو مجازاً أما الحقيقة فهو أن يقال في شيئين أحدهما يشبه الآخر في بعض أوصافه كقولنا - زيد أسد - فهذا القول صواب من حيث العرف وداخل في باب المبالغة الا أنه لم يكن زيد أسد على الحقيقة (وأما الرابع) فقال المحققون من علماء هذا الشأن الاشياء التي يكون منها التشبيه لا يخلو إما أن تكون صفة حقيقية أو حالة اضافية • فاما الأول فلا يخلو إما أن يكون كيفية جفمانية أو نفسانية والاول لا يخلو اما أن تكون صفة محسوسة أو لا تكون محسوسة فان كانت محسوسة فاما أن تكون محسوسة أولاً أو ثانياً والمحسوسات الاول هي مدركات السمع. والبصر. والشم. والذوق. واللمس • فالاشتراك في الكيفية المبصرة مثل تشبيه الورد بالحد لاشتراكهما وكذلك تشبيه الوجه بالنهار والشعر بالليل • والاشتراك في كيفية مسموعة كتشبيه أطيظ الرجل بأصوات الفراريح في قول الشاعر

كأن أصوات من ايفالهن بنا أواخر الميس أصوات الفراريح

التقدير - كأن أصوات أواخر الميس أصوات الفراريح من ايفالهن بنا - فصل بين المضاف والمضاف اليه • والاشتراك في كيفية مذوقة كتشبيه بعض الفواكه الحلوة بالعسل والسكر • والاشتراك في كيفية مشمومة كتشبيه بعض الرياحين برائحة الكافور والمسك والاشتراك في كيفية ملموسة كتشبيه لين ناعم بالخز والحريز والخشن بالمسح من الشعر هذا اذا كان فيه الاشتراك محسوساً أولاً • أما اذا كان محسوساً ثانياً • فالمحسوسات الثانية هي الاشكال • والمقادير • والحركات • والاشكال إما مستقيمة أو مستديرة فالتشبيه لأجل الاشتراك في الاستقامة مثل تشبيه المستوى المنتصب بالرمح والقذ بالقضيب والفصن • وان كان الاشتراك في الاستدارة فكتشبيه الشيء المستدير بالكرة تارة وبالخلقة أخرى • وان كان الاشتراك في المقادير فكتشبيه عظيم الجنة بالجبل والفيل

وان كان في الحركة مع اعتدال الاستقامة فكشبهه الذهاب على الاستقامة بنفوذ السهم
وأما اذا كان الاشتراك في كيفية جفائية غير محسوسة فهو كالاشتراك في الصلابة .
والرخاوة . وأما اذا كان الاشتراك في كيفية نفسانية فهو كالاشتراك في الغرائز والاخلاق
مثل الكرم . والعلم . والقدرة . والعلى . والذكر . والفطنة . واليقظ . والمعرفة .
وأما اذا كان الاشتراك في حالة الاضافية لافي كيفية حقيقية فهو مثل قولك - هذه حجة
كالشمس - فاشتراكهما ليس في شيء من الكيفيات الحقيقية ولكن في أمر إضافي
وهو أن كل واحد منهما مزيل للحجاب . . ثم ان هذه الاضافات قد تكون جلية او قد
تكون خفية وربما يبلغ الجلي في القوة الى أن يقرب من القسم الاول . مثال الجلي
تشبيه الحجة بالشمس . وكذلك قولهم في صفة الكلام ألفاظ كالماء في السلسلة .
والتنسيم في الرقة . وكذلك في الحلاوة . يريدون أن اللفظ اذا لم تتنافر حروفه تنافراً
بثقل على اللسان ولم يكن غريباً حوشياً بل كان . ألوفاً ثم ان القلب يرتاح له والنفس
تشرح به فسرعة وصوله الى النفس صار كالماء الذي يسوغ في الحلق والتنسيم الذي
يسرى في البدن ويتخلل المسالك اللطيفة ولأجل اهتزاز^(١) النفس به أشبه العسل الذي
يلد طعمه ويميل الطبع اليه . . هذا المثال أشد حاجة الى التفسير من تشبيه الحجة بالشمس
ولكنه مع ذلك غير بعيد عن الفهم وأما التوغل في البعد عن الطبع وشدة الحاجة الى
التأويل فكقول من ذكرني المهلب هم كالحلقة المفرغة لايتنى طرفاها ألا ترى أنه لا يفهم
المقصود من ذلك إلا من له طبع يرتفع عن طبع العامة . . ومن وجوه التشبيه أيضاً التشبيه
بالوجه المعقول وهو عندهم أقوى وأظهر من التشبيه بالمحسوس لأن تشبيه المحسوس
بالمحسوس يمكن أن يكون لأجل الاشتراك في وصف محسوس ويمكن أن يكون لأجل
الاشتراك في وصف معقول ويمكن أن يكون لأجلهما جميعاً . مثال الأول تشبيه الخلد
بالورد . ومثال الثاني قوله عليه الصلاة والسلام أيأكم وخضراء الدّ من الحسن الظاهر القبيح
الباطن وهو أمر عقل . وكذلك تشبيه الرجل النبي بالشمس فان النباهة صفة عقلية
وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام أصحابي كالنجوم المعنى به أنه يهتدى بهم في أمور الأديان

كما يهتدى بالنجوم في الالالي المظلمة فالشبه في أمر عقلي • ومثال الثالث تشبيه الشخص
الرفيع القدر الحسن الوجه بالشمس • وأما الاقسام الثلاثة أعني تشبيه المعقول بالمعقول
والمعقول بالمحسوس والمحسوس بالمعقول فيمتنع أن يكون وجه المشابهة غير عقلي لأن وجه
المشابهة لو كان مشتركاً بين الجانبين لكان المعقول الموصوف به محسوساً من ذلك الوجه
وهو محال فثبت أن التشبيه بالوصف المعقول أعم من التشبيه بالوصف المحسوس وإذا
علم هذا وتبين الوجه الذي يكون منه التشبيه تعين ذكر أقسام التشبيه مبنية بنزلة على
ما قدّمناه (وأما الخامس) فقد أطبق جمهور علماء هذه الصناعة على أن أقسامه
أربعة • الاول تشبيه محسوس بمحسوس • الثاني تشبيه معقول بمعقول • الثالث أن
يكون المشبه معقولاً والمشبه به محسوساً • الرابع أن يكون المشبه محسوساً والمشبه به
معقولاً • وقد زاد ابن الاثير قسماً خامساً وسماه غلبة الفروع على الاصول وسيأتي بيانه
• أما الأول وهو تشبيه المحسوس بالمحسوس فكقوله تعالى « والقمر قدرناه منازل حتى
عاد كالأرجون القديم » وقوله تعالى « كأنهم أعجاز نخل خاوية » ومن شرط هذا
النوع أن يكون المشبه والمشبه به مشتركين من وجه مختلفين من وجه ولا يخلو إما أن
يكون اشتراكهما في الذات واختلافهما في الصفات وأما أن يكون بالعكس • فالاول مثل
تشبيه العدو بالطيران لانه ليس الاختلاف بينهما الا بالسرعة وبالبطء • والثاني كتشبيه
الشعر بالليل والوجه بالنهار • • وأما القسم الثاني وهو تشبيه المعقول بالمعقول فهو كتشبيه
الموجود العاري عن الفوائد بالمعدم أو تشبيه الشيء الذي تبقى فوائده بعد عدمه
بالموجود • ومنه قول الشاعر

فرحت وأملى كخطي كواسف وعزى يحاكي سعيه في المكارم

• • وأما القسم الثالث الذي هو تشبيه المعقول بالمحسوس فهو كقوله تعالى « والذين
كفروا أعمالهم كسراب بقيعة » • وقوله « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء
كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً » • وقوله تعالى « مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد
اشتدت به الريح في يوم عاصف » وأيضاً مثل تشبيه الحجة بالشمس وبالنور الذي هو
محسوس بالبصر وليس لأحد أن يقول الحجة أيضاً مسموعة • قلنا المفيد هو المعاني العقلية

الحاصلة في الذهن ووجه المشابهة أن القلب مع الشبه كالبصر مع الظلمة في أن البصر في الظلمة لا يقيد لصاحبه مكنة السى ولو سى فربما دُفع الى الهلاك فتزدى في أهوية ومن الأمثلة تشبيه العدل بالقسطاس . . . وأما القسم الرابع وهو تشبيه المحسوس بالمعقول فهو غير جائز لأن العلوم العقلية مستفادة من الحواس ومنهية اليها ولذلك قيل من فقد حساً فقد علماً وإذا كان المحسوس أصلاً للمعقول فتشبيهه به يكون جعلاً للفرع أصلاً وللأصل فرعاً وهو غير جائز وكذلك لو حاول محاول المبالغة في وصف الشمس بالظهور أو المسك بالطيب فقال الشمس في الظهور كالحةجّة والمسك في الطيب كخلق فلان كان سُخفاً من القول مع أنه قد ورد في الكلام الفصيح وأشعار العرب والمتأخرين

منه ما لا يحصى . فمن ذلك قول بعضهم

وكان النجوم بين دُجاها سنن لاح بينهن ابتداع

.. وكقول بعضهم

ولقد ذكرتك والظلام كأنه يوم النوى وفؤاد من لم يشق

.. وقول بعضهم

كان آبيضاض البدر من تحت غيمه نجاه من البأساء بعد وقوعه

.. وقول التنوخي

أما ترى البرد قد وافت عساكره وعسكر الحر كيف انصاع منطلقا

فانهض بنار الى خم كأنها في العين ظلم وانصاف قد انفقا

جاءت ونحن كقلب الصب حين سلا برداً فصرنا كقلب الصب إذ عشقا

.. وقال آخر

رُبَّ ليلٍ كأنه أملى فيك وقد رُحْتُ عنك بالجرمان

.. وقول صاحب حين أهدى العطر الى القاضى أبى الحسن

يا أيها القاضى الذى نفسى له فى قُربٍ عهدٍ لقائه مُشتاقه

أهديتُ عطراً مثل طيب نثائه فكأنما أهدى له أخلاقه

ومثل هذا فى أشعارهم كثير لا يحصى والذي يجمع بين هذا وبين القواعد العقلية أن

هذه الاشياء المعقولة لتقررهما في الذهن وتخيلها في العقل صارت بمنزلة المحسوسات فلما نزلت منزلة المحسوسات صح التشبيه وقويت وصار المعقول للمبالغة أثبت في النفس وأقوى من المحسوس فصار لذلك أصلاً يشبه به . ومن هذا قوله تعالى « طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رَؤُسُ الشَّيَاطِينِ » ولهذا قال امرؤ القيس يشبه نصول الرماح

* ومسنونة زُرُقٍ كَأَنِّيَابِ أَعْوَالِ *

فانهم وان كانوا لم يشاهدوا الفول وأنيابها لكنهم لما اعتقدوا فيها أى في أنيابها غاية الحدة حسن التشبيه والصحيح أن المحسوس أعرف من التشبيه بالوصف المعقول لثلاثة أوجه . الأول أن أكثر الغرض من التشبيه التخيل الذي يقوم مقام التصديق في الترهيب والترغيب والخيال أقوى على ضبط الكيفيات المحسوسة منه على الأمور الإضافية . الثاني أن الاشتراك في نفس الصفة أسبق من الاشتراك في مقتضاها . الثالث أن المشابهة في الصفة قد تنبغ الى حيث يتوهم أن أحدها الآخر . وأما المشابهة في مقتضى الصفة لا تنبغ الى هذا الحد لأن من المستحيل أن لا يجد العاقل فصلاً بين ما يقتضيه ذوق العسل في نفس الدائق وبين ما يحصل بالكلام المقبول في نفس السامع . . وأما القسم الخامس فقال ابن الاثير ومن أقسام التشبيه قسم يقال له غلبة الفروع على الأصول وهو ضرب من الكلام ظريف لا يكاد يوجد منه شئ الا والغرض به المبالغة . . فما جاء من ذلك قول ذى الرمة

وَرَمَلِ كَأَوْرَاكِ الْعَدَا رَمَى قِطْعَتُهُ إِذَا أَلْبَسْتُهُ الْمَظْلِمَاتِ الْعُنَادِسَ

.. ومثل ذلك قول بعضهم

في طاعة البدري شئ من ملاحظتها وفي القضيبي نصيب من تنهيا

والغرض بهذا النوع المبالغة في وصف المشبه به كأن هذا المعنى ثبت له وصار أصلاً (وأما السادس) في أدوات التشبيه فأدواته أسماء وأفعال وحروف . أما الاسماء فمثل بسكون التاء وتحريكها وشبه بسكون الباء وتحريكها وأشباه ذلك . وأما الأفعال كحسبت وخلت ويحسب ويخال ونظائرها . وأما الحروف فالكاف مفردة وإذا أضيف اليها ما يجري مجرى ذلك وقد نطق بذلك كله الكتاب العزيز والسنة . أما الأسماء فقال الله تعالى

« مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً » . وقال تعالى « مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صررٌ » . وقال تعالى « مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع » . وقال تعالى « فأتوا بسورة من مثله » . وقال تعالى « جزاء من ماقتل من النعم » . وقال تعالى « وأوتوا به متشابهاً » . وقال تعالى « إن البقر تشابه علينا » وفي الحديث الصحيح « فمن أين يكون الشبه والشبه » . وأما الأفعال فكقوله تعالى « يحسبه الظمان ماء » . وقال تعالى « يخيل اليه من سحرهم أنها نسى » . وأما الحروف فكقوله تعالى « كالذي ينفق ماله رثاء الناس » . وقوله تعالى « كرماد اشتدت به الريح » . وقوله تعالى « كدأب آل فرعون » . وأما - كأن - فكقوله تعالى « كأنه رؤس الشياطين » وفي القرآن من هذا كثير . وأما في كلام العرب الفصحاء منهم وأشعارهم فشئ كثير أضربنا عن ذكره لكثرة وشهرته . . وقال ابن الأثير وقد وقع في القرآن العزيز التشبيه بغير أداة في مواضع كثيرة . منها قوله تعالى « صمُّ بُكْمٌ عُمى فهم لا يرجعون » . وقوله تعالى « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة » وهو أبلغ في التشبيه . . قال جمهور علماء هذا الشأن التشبيه يكون بأداة تارة وثارة بغير أداة لكن إذا كان بغير أداة كان أبلغ وأوجز لان قولنا - زيد أسد - يملأ ظاهره من المعنى أنا أخبرنا عن زيد انه أسد وذكرنا أنه هو الا أن حرف التشبيه في ذلك مقدر وإذا قلنا - زيد كأنه أسد - فيكون قد أظهرنا فيه حرف التشبيه الذي كان مخفياً في الاول فيصير حينئذ تشبيهاً لزيد بالاسد والاول كان قد جعل هو الاسد وحرف التشبيه بقدر فيه تقدير آ فمن هذا الوجه كان الأول أبلغ وأشد وقعاً في النفس . وأما كونه أوجز فلأن قولنا - زيد أسد - أخص من قولنا - زيد كأنه الأسد - وان كان المعنيان سواء (وأما السابع) في تشبيه الشيئين بالشيء الواحد اعلم وفقنا الله وإياك أن علماء علم البيان قالوا أصل التشبيه أن يشبه شيئاً بشئ وقد يشبه الشيئين بالشيء الواحد وانما جاز ذلك لان المشبه قد يأخذ صفة من صفات نفسه وصفة غيره ثم يشبههما بشئ آخر كقول الشاعر

صدغ الحبيب وحالي كلاهما كالإيالي

وقد وقع تشبيه الشيئين بالشيء الواحد وانما جاز ذلك لانه لا يخلو الشيطان في تشبيه أحدهما

بالآخر من ثلاثة أقسام • اما تشبيه معنى بمعنى • واما تشبيه معنى بصورة • واما تشبيه صورة بصورة وكل واحد من هذه الاقسام الثلاثة لا يخلو من ثلاثة أقسام • اما تشبيه مفرد بمفرد • واما تشبيه مركب بمركب • واما تشبيه مفرد بمركب • فاما تشبيه المفرد بالمفرد فكقول البعثرى

تسبم وقطوب في ندى ووغى كالغيث والبرق تحت المارض البرد
• ومنه قوله تعالى « وأتل عليهم نبا الذى آتينا آياتنا فانساخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الأرض واتبع هواه فنتله كمثل الڪلب • الآية • واما تشبيه المركب بالمركب فقوله تعالى « إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما تأكل الناس والالعام » الى قوله « كأن لم تن بالأمس » الآية • فشبّه حال الدنيا فى سرعة زوالها وانقراض نعمها بعد الإقبال بحال نبات الأرض وذلك تشبيه معنى بصورة وهو أبدع ما يجى فى هذا القسم • ومثله فى حق المنافقين « مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون » تقديره أن مثل هؤلاء المنافقين كمثل رجل أوقد نارا فى ليلة مظلمة بمفازة فاستضاء بها ما حوله واتقى ما يخاف وأمن فبينما هو كذلك اذ طفئت ناره فبقى مظلماً خائفاً متحيراً وكذلك المنافق اذا أظهر كلمة الايمان استنار بها واعتز بعزها وأمن على نفسه وماله وولده فاذا مات عاد الى الخوف وبقي فى المذاب والنقمة • ويجوز أن يكون المعنى أنهم لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى - عقب ذلك بهذا التمثيل مثل هداهم الذى باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد - والضلالة - التى اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون ثم قال الله - صم بكم عمى - كانت حواسهم ساهية لكن لما سدوا مسامعهم عن الإصاخة الى الحق وأبوا أن ينطقوا به بالسنتهم وأن ينظروا ويتبصروا بعيونهم جملوا كأنما أصابت هذه الحواس منهم الآفات وهذا من عجائب التشبيه وطريقته عند علماء البيان طريقة قولهم - ليوث - للشجران - بحور - للكرام • • وبعض علماء هذه الصناعة يجمعون ما كان على مثال قوله تعالى « صم بكم عمى » استعارة وليس كذلك لأن المستعار منذ كور

•• ومن هذا القسم قول الشاعر

بكيت عليه حين لم يبلغ المنى ولم يرو من ماء الحياة المكدر

ومنه قول المتنبي

كأن الجفون على مقلتي ثياب شققن على ناكِل

• وأما تشبيه المفرد بالمركب فن ذلك قول بعضهم

كأن السهي انسان عين غريقة من الدمع يدوكلما ذرفت ذرفا

(وأما الثامن) في ذكر ما يحسن به موقع التشبيه •• قال أئمة هذا الشأن ان كثرة

التقييدات يعظم بها حسن موقع التشبيه وتكون أدخل في التشبيه من غيرها لانها

عقلية • مثال ذلك قوله تعالى « انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء » الى

قوله « كأن لم تغن بالأمس » وهذه فيها عشر جل قيد بعضها ببعض حتى صارت جملة

واحدة وهي مع ذلك لا يمتنع أن تكون صور الجمل معناها حاصلًا يمكن أن يشار اليها

واحدة واحدة ثم أن التشبيه منتزع من مجموعها من غير أن يمكن فصل بعضها عن

بعض فانك لو حذف منها جملة واحدة من أى موضع كان أخل ذلك بالمعنى من

التشبيه •• وقد يقع من التشبيه مجمل لا يخل اسقاط بعضها بالتشبيه وهي كل جملة

جمعت أغراضاً كثيرة كل واحد منها منفرد بنفسه ولهذا النوع خاصيتان • الأولى أنه

لا يجب فيها الترتيب ألا ترى أنك اذا قلت زيد كالأسد بأساً • والبحر جوداً • والسيوف

مضاء والبدر بهاء • لم يجب عليك أن تحفظ في هذه التشبيهات نظاماً مخصوصاً وهو

كقول بعضهم

يا هلالاً يدعى أبوه هلالاً جلّ باريك في الورى وتعالى

أنت بدرٌ حُسنًا وشمس علوّاً وحُسامٌ حَزماً وبحر نوالاً

•• الثانية اذا سقط البعض فانه لا يتغير حال الباقي كقولهم يصفو ويكدر ويحلو ويمر ولو

تركت ذكر الكدورة والمرارة لو وجدت المعنى في تشبيهك بالماء في الصفاء والعسل في

الحلاوة باقياً على حاله • وقد وقع في بعض الاشعار ما يظن أن فيه تشبيهات بمجموعة

وليس كذلك بل هو تشبيه واحد وذلك كقول الشاعر

كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامةً فلما رَجَوْها أقشمت ونجأت

(وأما التاسع) فهو في الشرط الذي لا يكون التشبيه حسناً إلا به وهو أن يكون التشبيه جلياً ويكون بحال يتبادر الذهن اليه وإلى ادراكه ولا يحتاج إلى إطالة فكرة ولا إمعان نظر فإن الغرض بالتشبيه بيان حسن موقع التشبيه وظهور مزية المشبه بحسن حال المشبه به أو قبحه ولذلك هجنوا تشبيه من شبه الشمس بالمرأة في كف الأشمل وكتشبيه البرق بأصبع السارق في قول بعضهم

أرقت أم نمت لضيءٍ بارقٍ مُؤثلقاً مثلَ الفؤادِ الخافقِ
كأنه لصيغ كُف سارقِ

(وأما العاشر) فيما يجوز عكسه من التشبيه وما لا يجوز . فأما الذي لا يجوز عكسه فكل تشبيه كان الغرض به الحاق الناقص بالزائد مبالغة في إثبات الحكم للناقص فهذا يتمتع عكسه وهو كما إذا شبهت شيئاً أسود بما هو الأصل في شدة السواد كخافقي الغراب والقار امتنع فيه العكس لأن تنزيل الزائد منزلة الناقص تضاد المبالغة في الإثبات . وأما الذي يجوز عكسه فهو الجمع بين شيئين في مطلق الصورة أو الشكل أو اللون فالعكس مستقيم فيه فهو كتشبيه الصبح بغرة الفرس لا لاجل المبالغة في الضياء بل لاجل وقوع منير في مظلم وحصول بياض في سواد مع كون البياض قليلاً بالإضافة إلى السواد وكذلك تشبيه الشمس بالمرأة المجلوة والدينار الخارج من السكة كقول ابن المعتز فهذا حسن مقبول وإن عظم التفاوت بينهما لأنك لم تضع التشبيه على مجرد النور وإنما قصدت إلى مستدير يتلأأ ويلمع ثم خصوص جنس اللون الموجود في المرأة المجلوة والدينار للتخلص من حمى المسبك يوجد في الشمس فأما مقدار النور بأنه زائد أو ناقص والجرم عظيم أو صغير فما لم يتعرض له وعلى هذا خرج قوله تعالى «الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري» الآية فإنه سبحانه وتعالى لم يرد بالتشبيه بهذه الزجاجة الموصوفة بهذه الصفة المشاركة بين نوره وبين نور هذه الزجاجة إذ لامنا سبة بينهما بل كان ذلك من التشبيه الذي ينعكس بل الذي يتعين عكسه (وأما الحادى عشر) في الهيئات التي تقع عليها الحركات فهي عند

أرباب هذا العلم على قسمين . أحدهما أن تعرف تغيرها من الاوصاف كالشكل واللون .
 . الثاني أن تجرد هيئة الحركة حتى لا يراى غيرها . . فن الاول قول ابن المعتز
 والشمس كالمرآة في كفة الأشل

أراد أن يريك مع الاستدارة والاشراق الحركة التي تراها في للشمس اذا أنعمت
 التأمل ثم ما يحصل في نورها من أجل تلك الحركة وذلك أن للشمس حركة متصلة
 دائمة ولنورها بسبب ذلك تموج واضطراب ولا يتحصل هذا الشبه إلا بأن تكون
 المرآة في يد الأشل لان حركته تدوم وتتصل ويكون لها سرعة وبدوام الحركة يتموج
 نور المرآة وتلك حال الشمس لانك ترى شعاعها كأنه يهيم أن ينبسط حتى يفيض من
 جوانبها ثم يبدو له فيرجع من الانبساط الذي تراه الى الانقباض كأنه يجمعه من جوانب
 الدائرة الى الوسط . وقد لمح هذا المعنى ابن سناء الملك في أبيات مما فيها الشمس
 قال فيها

لا كانت الشمس فكم أضدأت صفحة خد كالחסام الصقيل
 وكم صدت بوادى السكرى طيف خيال زارنى من خليل
 تكذب في الوعد وبرهانه أن سراب الفقر منها سليل
 ونحسب التهر حساماً فترتنا ع وتحكى فيه قلب الدليل

ومما يشبه التشبيه الاول وان صور في عين المرآة قول المهاب بن أبى صفرة الوزير

الشمس من مشرقها قد بدت مشرقة ليس لها حاجب
 كأنها بوثقة أحبت يحول فيها ذهب ذائب

وذلك أن الذهب الذائب يتشكل بشكل البوثقة على النار فانه يتحرك فيها حركة على
 العبد الذي وصفت لك ومافى طبع الذهب من النعومة وفي أجزائه من شدة الانصهار
 والتلاحم بمنه أن يقع فيها غليان كما في الماء فيرتفع وسطه ارتفاعاً شديداً وجاته كأنها
 تتحرك بحركة واحدة ويكون فيهما ذكراه من الانبساط الى الجوانب ثم انقباض
 ومنها قوله

كأن في غدرانها حواجبا

أراد ما يبدو في صفحة الماء من أشكال كأنصاف دوائر صغار ثم إنك تراها تمتد امتداداً ينقص من انحائها وتحدبها وكأنها تنتقل من القوس الى الاستواء وذلك أشبه شيء بالحواجب اذا بدت . والثاني ما يكون التشبيه في هيئة الحركة فقط مجردة من كل وصف يقاربها وهناك أيضاً لابد من اخلاط حركات كثيرة في جهات مفرقة مختلفة وكلما كان التقارب أكثر كان التركيب في الهيئة المتحركة أكثر . وقد يقع التشبيه أيضاً بالسكون كقول الاخطل في وصف مصلوب

كأنه عاشقٌ قد مدَّ صفحتهُ يومَ الوداعِ الى توديعِ مُرنحلٍ
أو نائمٍ من نعاسٍ فيه لونه مواصلٌ لمتطيه من الكسلِ

فلطفه بسبب ما فيه من التفصيل ولو قال كأنه مخط من نعاس واقتصر عليه كان قريب التناول . وقد وقع في القرآن العظيم آيات كثيرة شبه فيها الحركات بالحركات والسكون بالسكون . فمن ذلك قوله تعالى « وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرًّا السَّحَابِ » . وقوله « يَكَادُ الْبَرْقُ يُخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ » . وقوله تعالى « يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ » شبه سرعة سير الجبال مع سكون بسرعة سير السحاب مع سكون أيضاً وشبه سرعة وميض البرق بسرعة يد المحتطف وشبه حركة التفاف جرم السماء بحركة التفاف جرم الكتاب بعضه على بعض وكذلك السكون . ومنه قوله تعالى « وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهَوًّا » - والرهو - الساكن شبه ذهاب حركة البحر بذهاب حركة الخيل عند سكونها تقول العرب جاءت الخيل رهواً أى ساكنة فشبه البحر بها وذلك أنه قام فرقاء ساكنين فقال لموسى عليه الصلاة والسلام دع البحر ساكناً قائماً ماؤه كما أخبر الله سبحانه وتعالى « فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فَرَقٍ كَالطُّورِ الْعَظِيمِ » . (وأما الثاني عشر) فهو الفرق بين الاستعارة والتشبيه . ذهب جماعة من أهل هذا الشأن الى أن التشبيه والاستعارة شيان وفرق الحدائق وقالوا إن التشبيه حكم إضافي لابد فيه من ذكر مشبه ومشبه به فانك اذا قلت - رأيت أسداً - فهو استعارة لم تذكر شيئاً حتى تشبهه بالأسد ولو كان تشبيهاً لتعبن أن تقول زيد أسد أو زيد كالأسد ولم يكن غرضك في قولك زيد أسد إلا المبالغة

في مدح زيد بالشجاعة .. فرق ثان أن التشبيه لا يكون إلا بأداة التشبيه غالباً والاستعارة لا تحتاج الى أداة فانك اذا قلت - لعبت به يد الصبا - لم يكن كقولك - فلان له خلق كالصبا - .. فرق ثالث أن الاستعارة أوجز من التشبيه فانك اذا قلت - زيد أسد - أوجز من قولك - زيد في بسالة الأسد - فثبت على هذا التقدير أن التشبيه أحد غرضي الاستعارة

﴿ فصل ﴾

ومنها التمثيل .. قد أطلق علماء هذه الصناعة اسم التشبيه على كل تمثيل منتزع من أمور مجتمعة بتقييد البعض بالبعض وهو قريب من الاستعارة ومنه في القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتُ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ » . وقوله تعالى « مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » الآية . ومن ذلك قوله تعالى « فَتِلْكَ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ » . وقوله تعالى « مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا » الآية ومثله في القرآن كثير .. ومن هذا النوع المثل السائر ومعنى السائر أنه كثر استعماله واستعماله على أن الثاني بمعنى الأول لأن ذكرها على تقدير أن يقال في الواقعة المعينة أنها بمنزلة من قيل له هذا القول والأمثال كلها حكايات لا تغيّر وهي أكثر من أن تحصى وقد صنف العلماء فيها كتباً وشرحوا معانيها واخوض في ذكرها يطول وقصدت الاختصار لا الاكثار .. ومن الامثال السائرة في الكتاب العزيز قوله تعالى « لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ » . وقوله تعالى « وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَمْدَةً وَهِيَ تَمْرٌ مُرٌّ السَّحَابِ » . وقوله تعالى « رِصْفَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ رِصْفَةً » .. ومنه في السنة قوله صلى الله عليه وسلم الآن حمى الوطيس ورسول الله صلى الله عليه وسلم أول من فاه بهذا المثل ثم صار مثلاً سائراً . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم إياكم وخضراء الدّمن . وفي غزون كلامه صلى الله عليه وسلم من هذا كثير . وأما أشعار العرب فقد ورد فيها من ذلك كثير منها ما في البيت مثل واحد ومنها ما في البيت مثلاً ومنها

ما فيه ثلاثة ومنها ما فيه أربعة ومنها ما فيه خمسة ومنها ما فيه ستة .. فأما ما فيه
مثل واحد فكقول أبي فراس

تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن طلب الحسنة لم يُغله المهر
.. وقول أبي تمام

قلو صورت نفسك لم تَرِدْها على ما فيك من كرم الطباع
.. وما جاء من الشعر فيه مثلاً قول بعضهم

الله أنجح ما طلبت به والبر خير حقيقة الرجل
في كل قسم منه مثل قائم بنفسه غير محتاج الى صاحبه .. ومنه قول الحطيئة
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس
.. وقول أبي فراس

ومن لم يوق الله فهو مضيع ومن لم يعز الله فهو ذليل
.. وقول المتنبي

وكل امرئ يولى الجميل محبب وكل مكان يثبت العز طيب
.. وأما ما فيه ثلاثة أمثال فكقول زهير بن أبي سلمى
وفي الحلم إدهان وفي العفو ذلة وفي الصدق منجاة من الشر فاصدق
.. وأما ما فيه أربعة أمثال فكقول بعض العرب

قالهم فضل وطول العيش منقطع والرزق آت ورزق الله منتظر
.. وأما ما فيه خمسة فكقول الشاعر

خاطر نقذ وارثه تجذ واكرم تسذ واقذ نقذ واصغر نعم الأكر
.. وأما ما فيه ستة فكقول ابن الأبندي

نه أحتل واستطل أصبر وعز أهن وول أقبل وقل أسمع ومن أطلع
- والمثل - جمعه أمثال وسمى المثل مثلاً لأنه مائل بخاطر الانسان أى شاخص يتأى
به ويتعظ ويحشى ويرجو والشاخص المنتصب وهو من قولهم طلل مائل أى شاخص
وهذا رسمه اللغوي والذي تقدم في أول الباب حده الصناعي

القسم الثاني والعشرون

من المجاز

الابحاز والاختصار

وهو على قسمين وجيز بلفظه ووجيز بحدف (فأما الوجيز) بانفذه فهو عند أرباب هذه الصناعة أن يكون اللفظ بالتشبيه الى المعنى أقل من القدر المأمود عادة وسبب حسنة أنه يدل على التمكن في الفصاحة والملازمة في البلاغة وحصول ملاذ كثيرة دفعة واحدة واللفظ لا يخلو إما أن يكون مساوياً لعناه وهو المقدر أو أقل منه وهو المقصور . .
أما المقدر فكقوله تعالى : **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ، أمر الله في أول هذه الآية بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ونهى في وسطها عن الفحشاء والمنكر والبغى ووعظ في آخرها وذكر جميع في هذه ضرورياً من البيان وأنواعاً من الإحسان فذكر العدل والإحسان والفحشاء والمنكر بالاثف واللام التي هي الاستغراق أى استغراق الجنس المحتوى على جميع أنواعه وضروره وجع فيها بين الطباق اللفظى والطباق المعنوى أما اللفظى ففى قوله - أن الله يأمر وينهى - . وأما المعنوى ففى قوله - العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى - وقوله - الفحشاء والمنكر والبغى - فإن الثلاثة الأولى أضافت الثلاثة الأولى لان الثلاثة الأولى من الفعل الحسن والثلاثة الأخرى من القبيح فطابق بين الحسن والقبيح مطابقة معنوية ثم بين خصوصية ذوى القربى باعادة الإيضاء عليهم وإيتاء لهم مع أن الأمر بالإحسان قد تناولهم وبدأ بالعدل لانه فرض وتلازم بالإحسان لانه مندوب اليه وقد يجب فاحتوت الآية على حسن النسق وعطف الجمل بعضها على بعض فقدم العدل وعطف عليه الإحسان الذى هو جنس عام وخص منه نوعاً خاصاً وهو إيتاء ذي القربى ثم أتى بالأمر مقدماً وعطف عليه التمهيد بالواو ثم رتب جمل التمهيد كما رتب جمل المأمورات فى العطف بحيث لم يتأخر فى الكلام ما يجب تقديمه ولم يتقدم عليه ما يجب تأخيرده ثم ختم ذلك كله بأمر مستحسن ودعا الى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة فاحتوت الآية على ضروب من المحاسن والقضايا

وأشتات من الاوامر والنوامي والمواعظ والوصايا ما لو بث في اسفار عديدة لما اسفرت
عن وجوه معانيها ولا احتوت على أصولها ومبانيها - كان من لا يشبه خلقه ذاتاً ولا
كلاماً ولا إحكاماً ولا أحكاماً. وفي القرآن العظيم من هذا النمط كثير وقد وقع آيات
كثيرة قلت حروفها وكثرت معانيها وظهرت دلائل الاعجاز فيها مثل قوله تعالى «فأما
تخافن من قوم خيانة فأنبذ إليهم على سواء» وقوله تعالى «ومن يطلع الله رسوله
ويخشى الله ويتق الله فؤادك هم الفازون» وقوله تعالى «من كفر فعليه كفره»
وقوله تعالى «قتل الانسان ما أكفره» ومن ذلك في السنة كثير كقوله صلى الله
عليه وسلم الاعمال بالنيات والمجالس بالامانات. وكقوله الضعيف أمير الركب يعني أنه
ينبغي متابعته في السير كما ينبغي متابعة أمير الركب وقد صرح بذلك في قوله صلى الله
عليه وسلم سيروا سير أضعفكم. ومن ذلك في أشعار العرب وخطبهم كثير وكثرته
وشهرته أغنت عن ذكره (وأما المقصور) فاما أن يكون من نقصان لفظه عن معناه
لاحتمال لفظه معان كثيرة أو لا يكون كذلك. الثاني كما في قوله تعالى «خذ العفو
وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین» وكذلك قوله تعالى «أولئك لهم الأمن وهم
مهتدون» وكقوله تعالى «ولكم في القصاص حياة» وهذا أحسن من قولهم القتل
أننى للقتل لوجوه سبعة. الاول أن قولهم القتل أننى للقتل في ظاهره متناقض لانه جعل
حقيقة الشئ منافية لنفسه وان قيل ان المراد منه ان كل واحد من افراد هذا النوع
ينفى غيره فهو أيضاً ليس أننى للقتل قصاصاً بل ادعى له وانما يصح اذا خصص فقبل
القتل قصاصاً أننى للقتل فيصير كلاماً طويلاً مع أن التقييدات بأسرها حاصلة في الآية.
الثاني أن القتل قصاصاً لأننى للقتل ظلماً من حيث انه قتل بل من حيث أنه قصاص
وهذه الجملة غير معتبرة في كلامهم. الثالث أن حصول الحياة هو المقصود الاصلى وانى
القتل انما يراد لحصول الحياة والتنصيب على الغرض الاصلى أولى من التنصيب على
غيره. الرابع أن التكرار عيب وهو موجود في كلامهم دون الآية. الخامس أن
حروف - في القصاص حياة - اثنا عشر وحروف - القتل أننى للقتل - أربعة عشر.
السادس أنه ليس في كلامهم كلمة يجمع فيها حرفان متلاصقان متحركان الا في موضع

واحد بل ليس فيها الاسباب حقيقة متوالية وقد عرف أن ذلك مما ينقص من سلاسة الكلام بخلاف الآية . السابع أن الدافع لصدور القتل عن الانسان كراهته لذلك وصارفه القوى عنه حتى انه ربما يعلم أنه لو قُتل قُتل ثم لا يرتدع وإنما رادعه القوى هو إما الطمع في الثواب أو الذكر الجليل وإذا كان كذلك فليس أنفى الاسباب للقتل هو القتل بل الانفى لذلك هو الصارف القوى . وقوله تعالى - في القصاص حياة - لم يجعل القصاص مقتضياً للحياة على الإطلاق بل الحياة مذكورة والسبب فيه ان شرعية القصاص تكون رادعة عن الاقدام على القتل غالباً . ثم لتعلم أن في هذا التذكير فائدة أخرى لطيفة وهي أن الانسان اذا علم أنه اذا قُتل قُتل ارتدع بذلك عن القتل فلم صاحبه فصارت حياة هذا الموهوم قتله في المستقبل مستفادة بالقصاص وصار كأنه قد حي في بقى عمره ولذلك وجب التذكير وامتنع التعريف من جهة أن التعريف يقتضى أن تكون الحياة قد كانت بالقصاص من أصلها وليس الأمر كذلك . ومثل هذا التذكير قوله تعالى « وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ » وفائدة التذكير أن الحريص لا يندب وأن يكون حياً وحرصه لا يكون على الحياة الماضية والراهنة بل على الحياة المستقبلية ولما لم يكن الحرص متعلقاً بالحياة على الإطلاق بل بالحياة في بعض الاحوال لا جرم جاءت بالفظ التذكير . . . واعلم أن للتذكير في قوله تعالى - في القصاص حياة - فائدة أخرى وهي أن الرجل قد يرتدع بالقصاص حتى لا يقدم على القتل لكن من الجائز أن لا يكون للانسان عدو فيقصد قتله حتى يمتعه خوف القصاص وحينئذ لا تكون حياة ذلك الانسان لأجل الخوف من القصاص وما دخل الخصوص في هذه القصة وجب أن يقال حياة ولا يقال الحياة وكذلك يقال شفاء ولا يقال الشفاء في قوله تعالى « يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ » حيث لم يكن شفاء للجميع . . . ومن بديع هذا النوع أن أبا جعفر المنصور سأل . . . عن بن زيا أيا أحب اليك دولتنا أو دولة بنى أمية فقال ذلك اليك ومفتاه أن زيادة هذه المحبة وتقصانها بيدك لانها على قدر احسانك . والفرق بين هذا القسم وبين المتقدم وهو أن يكون نقصان النظم لاجل احتمال معان كثيرة وذلك كاللفظ المشترك أو الذى له مجازات أو حقيقة ومجاز اذا

أريدت معانيه كما في قوله تعالى « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ » والصلاة من الله تعالى رحمة ومن الملائكة استغفار . وكذلك قوله تعالى « إِنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ » والسجود من الناس وضع الجبهة على الأرض وهو حقيقة شرعية وأيضاً الخشوع وهو حقيقة لغوية ومن غير الناس الانقياد لمنع الله تعالى وهو مجاز . ومن ذلك قول المتنبي وأظلم أهل الظلم من بات حاسداً لمن بات في نعمائه يتقلب

وهذا يحتمل ثلاثة معان . الأول من بات في نعماء المحسود . الثاني من بات في نعماء الحاسد . والثالث من بات في نعماء غير الحاسد والمحسود فيكون ذلك مدحاً للذي يبيت في نعمائه ويبيته أن كل أحد يتمكن من تحصيل تلك النعمة بمدح هذا المنعم فيكون حينئذ بمن أنعم عليه (وأما الوجيز بالحذف) فالكلام عليه من وجوه . الأول المعنى الذي حسن الحذف من أجله . الثاني في فائدته . الثالث في شرطه . الرابع في أقسامه . الخامس في توابعه . السادس فيما يقبح منه . . أما الأول فإن المعنى الذي حسن الحذف من أجله طاب الإيجاز والاختصار وتحصيل المعنى الكثير في اللفظ القليل . . وأما الثاني فقائدته زيادة لذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف وكلما كان الشعور بالمحذوف أعسر كان الالتذاز به أشد وأكثر وكان ذلك أحسن . . وأما الثالث فنشرطه أن يكون في اللفظ دلالة على المحذوف وإلا لم يتمكن من معرفته فيكون اللفظ مخملاً بالفهم وتلك الدلالة قد تحصل من أعراب اللفظ وذلك كما إذا كان منصوباً فيعلم أنه لا بد له من ناصب وإذا لم يكن ظاهراً لم يكن بُد من أن يكون مقدراً وذلك كقولنا - أهلاً وسهلاً ومرحباً - ومعناه وجدت أهلاً وسلكت سهلاً وصادفت رُحباً . ومنه في القرآن كثير كقوله تعالى « الحمد لله » على قراءة من قرأ بالنصب . وقوله تعالى « واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام » والتقدير أحمد الحمد أو أقرأ الحمد واحفظوا الأرحام . وقوله تعالى « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » وقوله تعالى « ملة إبراهيم » وفي القرآن منه كثير وفي الكلام النصيح منه كثير وكثرته نفى عن ذكره . غير أن سيويه ذكر منه أشياء جعلها حجة في الباب . من ذلك

قُولُ الْعَرَبِ - اللَّهُمَّ ضَبْعًا وَذَنْبًا - أَيْ اجْعَلْ فِيهَا ضَبْعًا وَذَنْبًا . وَقَوْلُ بَعْضِهِمْ حِينَ قِيلَ لَهُ لَمْ أَفْسِدْتُمْ مَكَانَكُمْ فَقَالَ - الصِّيَانُ بَأْبَى - أَيْ لَمْ الصِّيَانُ . وَمِنْهُ مَا قَدَمْنَاهُ أَوَّلًا وَهُوَ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْجَبًا . وَقَدْ تَحْصُلُ تِلْكَ الدَّلَالَةُ بِالنَّظَرِ فِي الْمَعْنَى وَالْعِلْمُ بِأَنَّهُ إِنَّمَا يَتِمُّ بِمَحْذُوفٍ مُقَدَّرٍ وَهَذَا يَكُونُ أَحْسَنَ مِنَ الْأَوَّلِ لَزِيَادَةِ غَمُوضِهِ كَمَا فِي قَوْلِهِمْ فَلَانِ يَحِلُّ وَيَرْبُطُ وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ يَحِلُّ الْأُمُورَ وَيَرْبِطُهَا أَيْ ذُو تَصَرُّفٍ . وَقَدْ عَقَدَ بَعْضُ عُلَمَاءِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ عَقْدًا فَقَالَ الْفِعْلُ الْمَحْذُوفُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَفْرَدًا أَوْ مُرَكَّبًا فَإِنْ كَانَ مَفْرَدًا فَسَيَأْتِي بَيَانُهُ وَإِنْ كَانَ مُرَكَّبًا فَيَأْتِي أَنْ يَكُونَ كَلَامًا مُفِيدًا أَوْ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ الْأَوَّلُ أَنْ يَكُونَ كَلَامًا مُفِيدًا وَهَذَا أَحْسَنُ وَالْكَلَامُ الْمُنْفِيدُ الْمَحْذُوفُ قَدْ يَكُونُ قَلِيلًا وَهُوَ عَلَى وَجْهَيْنِ . أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ الْمَحْذُوفُ اسْتِفْهَامًا وَيُسَمَّى مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ اسْتِثْنَاءً وَهَذَا إِمَّا أَنْ يَكُونَ بِإِعَادَةِ اسْمٍ أَوْ صِفَةٍ أَوَّلًا يَكُونُ كَذَلِكَ أَمَّا الَّذِي بِإِعَادَةِ اسْمٍ فَكَمَا إِذَا أَعْقَبَ اسْمٌ مِنْ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ عَنْهُ فَكَقَوْلِنَا أَحْسَنْتَ إِلَى زَيْدٍ زَيْدٌ أَحَقُّ بِإِحْسَانِكَ . وَقَوْلِنَا - زَيْدٌ أَحَقُّ بِإِحْسَانِكَ - جَوَابٌ عَنْ سُؤَالٍ كَأَنَّهُ قِيلَ وَمَا وَجْهُ الْإِحْسَانِ إِلَى زَيْدٍ فَقِيلَ زَيْدٌ أَحَقُّ بِإِحْسَانِكَ فَيَكُونُ هَذَا السُّؤَالُ مَحْذُوفًا . . . وَأَمَّا الَّذِي بِإِعَادَةِ صِفَةٍ فَكَقَوْلِنَا أَحْسَنْتَ إِلَى زَيْدٍ صَدِيقُكَ الْقَدِيمُ هُوَ أَحَقُّ بِذَلِكَ . تَقْدِيرُهُ وَمَا وَجْهُ الْإِحْسَانِ إِلَى زَيْدٍ فَقَوْلُ - لِأَنَّهُ صَدِيقُكَ الْقَدِيمُ - وَهَذَا أَحْسَنُ مِنْ إِعَادَةِ الْاسْمِ لِإِشْتِمَالِهِ عَلَى سَبَبِ الْإِحْسَانِ . . . وَأَمَّا الَّذِي لَيْسَ كَذَلِكَ فَكَقَوْلُهُ تَعَالَى « أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ » إِلَى قَوْلِهِ « وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » فَقَوْلُهُ - أُولَئِكَ عَلَى هَدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ - اسْتِثْنَاءٌ وَهُوَ جَوَابُ اسْئَالٍ مُقَدَّرٍ كَأَنَّهُ قِيلَ وَمَا يَحْصُلُ لَهُؤُلَاءِ الْمَوْصُوفِينَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ فَقِيلَ أَنَّهُمْ عَلَى هَدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ مُفْلِحُونَ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى « إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ » فَقَوْلُهُ - قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ - جَوَابٌ عَنْ سُؤَالٍ كَأَنَّهُ قِيلَ وَمَا فُعِلَ بِهَذَا فَقِيلَ قِيلَ لَهُ ادْخُلِ الْجَنَّةَ وَإِنَّمَا لَمْ يَقُلْ قِيلَ لَهُ لِأَنَّهُ ذَلِكَ مَعْلُومٌ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى « قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ » فَإِنْ قُرِئَ « فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ » لَمْ يَكُنْ فِيهِ اسْتِثْنَاءٌ وَإِنْ قُرِئَ سَوْفَ تَعْمَلُونَ كَانَ ذَلِكَ كَأَنَّهُ قِيلَ وَمَا يَكُونُ إِذَا عَمِلْنَا نَحْنُ عَلَى مَكَانَتِنَا وَعَمِلْتَ أَنْتَ عَلَى مَكَانَتِكَ

فَقِيلَ « سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ » . وَثَانِيهَا أَنْ لَا يَكُونَ الْمُحْذَوْفُ اسْتِفْهَامًا
وَذَلِكَ كَمَا إِذَا كَانَ مَسِيئًا وَقَدْ دَلَّ عَلَيْهِ سَبِيهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى « وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعَرْشِ »
إِذْ قَصَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ « كَأَنَّهُ قَالَ وَمَا كُنْتَ مِنَ
الشَّاهِدِينَ لِمَا جَرَى لِمُوسَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَسَبَبَ هَذَا الْوَحْيِ أَنَا أَنشَأْنَا
قُرُونًا إِلَى زَمَانِكَ فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَيْ مَدَّةُ الْفَتْرَةِ فَتَسَى مَا كَانَ جَرَى
فَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ فَيَكُونُ الْمُحْذَوْفُ هُوَ السَّبَبُ وَالْمَذْكُورُ الدَّالُّ عَلَيْهِ هُوَ سَبِيهِ . وَكَذَلِكَ
قَوْلُهُ تَعَالَى « وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا » . . (وَأَمَّا الرَّابِعُ فِي أَقْسَامِهِ)
أَمَّا أَقْسَامُهُ فَقَدْ تَظَاهَرَتْ أَقْوَالُ أَرْبَابِ عِلْمِ الْبَيَانِ عَلَى أَنَّ الْمُحْذَوْفَاتِ عَلَى قَسْمَيْنِ حَسَنَةٍ
وَقَبِيحَةٍ . أَمَّا الْقَبِيحَةُ فَهِيَ أَنْ يَخْلُ الْمُحْذَوْفُ بِالْمَعْنَى أَوْ يَحْطِ عَنْ رَتْبِهِ وَسَيَأْتِي بَيَانُهُ
• وَأَمَّا الْحَسَنَةُ فَهِيَ عَلَى قَسْمَيْنِ . جَلٍّ • وَمُفْرَدَاتٍ • فَأَمَّا الْجَلُّ فَهِيَ عَلَى قَسْمَيْنِ .
مَوْجِزَةٍ • وَمُطَوَّلَةٍ • . فَاَلْمَوْجِزَةُ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى « وَاللَّائِي يَدَّيْنِ مِنَ الْحَيْضِ مِنْ نِسَائِكُمْ
إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ » تَقْدِيرُهُ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ فَعِدَّتُهُنَّ
كَذَلِكَ • وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْفَصْلِ الَّذِي قَبْلَ هَذَا مِنْ نَظَائِرِهِ كَثِيرٌ وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ
مُشْحُونٌ بِهِ • . وَأَمَّا الْجُلُ الْمُطَوَّلَةُ فَكَقَوْلُهُ تَعَالَى « إِذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ »
الْآيَةُ . فَأَعْقَبَهُ بِقَوْلِهِ حِكَايَةً عَنْهَا « قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ »
تَقْدِيرُهُ فَأَخَذَ الْكِتَابَ فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ فَرَأَتْهُ الْمَرْأَةُ بَلْقَيْسَ وَقَرَأَتْهُ - وَقَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ -
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى « يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا » فِيهِ مُحْذَوْفٌ
مُطَوَّلٌ تَقْدِيرُهُ فَلَمَّا وُلِدَ يَحْيَى وَنَشَأَ وَتَرَعَرَعَ قَلْنَا لَهُ - يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ -
• . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ « لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ
حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى قَالَ يَا هَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا إِلَّا تَتَّبِعُنِي أَفْعَصِيتَ
أَمْرِي » تَقْدِيرُهُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى وَوَجَدَهُمْ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ - قَالَ يَا هَرُونَ - • وَمِنْ
ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى « فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي » إِلَى قَوْلِهِ « قَالَ
نَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا » • وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى « أَفَنُشْرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ
فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ » فِيهِ مُحْذَوْفٌ تَقْدِيرُهُ أَفَنُ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ كَمَنْ أَقْبَى
(١٠ - فَوَائِدُ)

قلبه وتركه على ظلمة من كفره ودل على المحذوف قوله تعالى «فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ
عن ذكر الله» وذلك في القرآن العظيم كثير جداً (وأما المفردات) فهي ثلاثة
أقسام • أسماء • وأفعال • وحروف • أما الأسماء فهي أنواع • الأول حذف الفاعل
وقد اختلف في حذفه فنص على منع حذفه ابن جني وكثير من النحويين والحق
جوازه إذا وجد ما يدل عليه كقوله تعالى «كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ» تقديره إذا بلغت
الروح التراقي • ومنه قوله تعالى «حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ» تقديره حتى توارت الشمس
ومن ذلك قوله تعالى «فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ» تقديره فلما جاء الرسول سليمان • الثاني
حذف المفعول وهو على ثلاثة أقسام • الأول حذفه من كل فعل ليس له مفعول معين
بل يكون المقصود من الكلام بيان حال الفاعل فقط • ومنه قوله تعالى «هَلْ يَسْتَوِي
الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» أي هل يستوي ذو العلم ومن لا علم له • وفي مثل
هذا يتعين أن لا يُعدى الفعل لفظاً ولا تقديرًا ويكون حاله كحال غير المتعدى فان عدتيه
تخصه بما تعدى به إليه فينقص الغرض • ومن ذلك المحذوف من الأفعال التي لها مفعول
معين وحذفه لأمر • الأول أن يكون المراد بيان حال الفاعل وأن ذلك دأبه لا بيان
حال المفعول • مثاله قوله تعالى «وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ
يَسْقُونَ» إلى قوله «فَسَقَى لَهُمَا» حذف المفعول من أربعة مواضع إذ لو أضافه إلى
الغنم مثلاً لتوهم أن الإنكار إنما جاء من ذود الغنم لا من مطلق الذود كما تقول مالك
نمض أخاك • وكل محل بالمقصود ومثله قول الشاعر

هُمْ خَلَطُونَا بِالْفُوسِ وَالْجُؤَا إِلَى حِجْرَاتٍ أَدْفَنْتُ وَأَظَلَّتْ

أراد الْجُؤَا وَأَظَلَّتَا وَأَدْفَنْتَا فحذف فكأنه قد أبهم أمره ولم يقصد شيئاً يقع عليه فلو
قال أدفنا وأظلتا لكان الأمر مختصاً بهم وبطل الغرض • الثاني أن يكون المقصود
ذكره إلا أنك لا تذكره إيهاماً بأنك لا تقصد ذكره كقول البحرى

شَجْوُ حُسَّادِهِ وَغَيْظُ عُدَاةٍ أَنْ يَرَى مُبْصَرٌ وَيَسْمَعُ وَاعٍ

المعنى أن يرى مبصرٌ محاسنه ويسمع واعٍ أخباره • • الثالث أن يحذف لكونه مبيناً
كقولك - أصغيتُ إليك - أي أذنى • و - أغضيتُ عنك - أي جفنى • • وقال

ابن الاثير حذف المفاعيل على قسمين . الاول حذف مفاعيل غلب حذفها على اثباتها كفعول المشيئة والارادة في باب الشرط وباب لو أو كفعول الاقسام . فأما حذف مفعول المشيئة والارادة في باب لو وباب الشرط ففي القرآن العظيم منه كثير . منها قوله تعالى « ولو شاء الله ما اقتتلوا » تقديره ولو شاء الله أن لا يقتتلوا ما اقتتلوا فحذف مفعول المشيئة لدلالة ما بعده عليه . ومنه قوله تعالى « ولو شاء لهداكم » تقديره ولو شاء الله هدايتكم كلكم لهداكم أجمعين . ومنه قوله تعالى « ولو شاء الله ما فعلوه » ومثله في القرآن كثير . وقد^(١) ومنه قوله تعالى « لو أردنا أن نتخذ لهم آياتاً لاتخذناه من لدنا » . ومنه قوله تعالى « لو أراد الله أن يتخذ ولداً » . . . وقد ظهر مفعول المشيئة في قول الشاعر

ولو شئت أن أبكي دماً لبكيتك عليك ولكن ساحة الصبر أوسع

.. وأما حذف مفعول الافساد فنه قوله تعالى « إن الله لا يحب المفسدين » . وقوله تعالى « وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون » . وقوله تعالى « يفسدون في الأرض ولا يصلحون » . وقوله تعالى « ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها » وهو كثير . . . الثاني ما يحذف لدلالة السياق عليه . فنه قوله تعالى « يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » تقديره ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الله القابض الباسط . وقوله تعالى « وما يخادعون إلا أنفسهم وما يشعرون » تقديره وما يشعرون أنهم لا أنفسهم يخادعون ونحوه (ونذكر) هاهنا قاعدة يبنى عليها حكم الفاعل والمفعول وهو أن العرب ينظرون الى مقصود الافادة في هذا الباب ونحوه فان كان المقصود نسبة الفعل الى الفاعل اقتصروا عليه فقالوا - فلان يعطى ويمنع ويصل ويقطع . والله يحيي ويميت - لانه ليس الغرض ذكر المعطى والمنوع والموصول والمقطوع والحيا والمات ولكن الغرض وصف الفاعل بهذه الافعال . فان كان الغرض ذكر المفعول لا غير لم يتعروضوا للفاعل كقوله تعالى

(١) كذا في الأصل .. والظاهر أنه أراد وأما حذف مفعول الارادة في باب

الشرط وباب لو ففي القرآن منه كثير ومنه الخ

« قَتَلَ الْخِرَاصُونَ » • وقوله تعالى « قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ » • وقوله تعالى « كَتَبُوا كَمَا كَتَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ » • وقوله تعالى « أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَتَبُوا » • وقوله تعالى « لِنَعْلَمَ بِمَا قَالُوا » ليس الغرض من هذا ذكر السكابت ولا القاتل ولا اللاعن ولا المبسل وإنما الغرض نسبة القتل واللعن والسكبت والابسال الى المذكورين • وان تعلق الغرض بالفاعل والمفعول أتوا بهما كقوله تعالى « خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ » • وقوله « وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ » • وقوله « بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ » • وقوله « فَبِمَا نَقْضُهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ » • • ومن ذلك حذف ضمائر الموصولات • ومنه قوله تعالى « أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا » تقديره أهذا الذي بعثه الله رسولاً • وقوله تعالى « إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ » تقديره إنكم وما تعبدونه أو تعبدونهم • وقوله تعالى « وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ » تقديره وما ذرأه • وقوله تعالى « وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ » تقديره خلقه الله • ومنه في القرآن العظيم كثير • • الثالث حذف المضاف تارة والمضاف اليه أخرى وإقامة أحدهما مقام الآخر • • أما حذف المضاف فكقوله تعالى « وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا » وكذلك « إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ » أي فتحت سُدُودُهُمْ • وربما نكرت المحذوف كما في قوله « فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ » يريد من أثر حافر فرس الرسول • • ومنه قول الشاعر

إذا قامت تَضَوُّعُ الْمَسْكُ مِنْهُمَا نَسِيمُ الصَّبَا جَاءَتْ بِرِيَا الْقَرْنِ نَفْلِ

• • وأما حذف المضاف اليه فهو أقل استعمالاً • ومنه قوله تعالى « اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ مَنْ بَعْدُ » أي من قبل ذلك ومن بعده • • الرابع حذف الصفة تارة وحذف الموصوف أخرى • أما حذف الصفة فكقوله النبي صلى الله عليه وسلم لا صلاة لرجل المسجد إلا في المسجد • أي لا صلاة تامة أو كاملة • وأما حذف الموصوف فأكثره في النداء والمصدر • • أما النداء ففي قوله تعالى « يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ » تقديره يا أيها الرجل الساحر • وكذلك « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » تقديره يا أيها القوم الذين آمنوا • وقوله تعالى « يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ » تقديره يا أيها القوم المؤمنون • • وأما المصدر فكقوله تعالى

« وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا » وقد يحى في غير النداء كما في قول البحرى

في أخضر ماس على اصفر يحال في صبغه ورس

يريد على فرس أصفر . . الخامس حذف الشرط تارة وحذف الجزاء أخرى واقامة
أحدهما مقام الآخر . . أما حذف الشرط فكقوله تعالى « يا عبادى الذين آمنوا إن
أرضى واسعة » أى فإذا كنتم فى أرض لا تتمكنوا فيها من عبادتى فأبى فاعبدون فى
غيرها . وقوله تعالى « فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية » أى فإن
لم يخلق فعليه فدية . . وأما حذف جزاء الشرط فكقوله تعالى « قل أرايتم ان كان
من عند الله وكفرتم به » معناه ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين .
ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى « إن الله لا يهدي القوم الظالمين » . . السادس
حذف القسم تارة وجوابه أخرى . . أما حذف القسم فكقولك لأضربن زيداً أى
والله لأضربن زيداً وكقوله تعالى « وإن منكم إلا واردها » تقديره وإن منكم والله
إلا واردها . ولهذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله لن يرد النار إلا تحلة القسم . ومنه
قوله تعالى « لتبأون فى أموالكم وأنفسكم » . وقوله تعالى « لتزبن الجحيم » وهو فى
القرآن العظيم كثير . . أما حذف جواب القسم فكقوله تعالى « والشفع والوتر
والليل إذا يسر هل فى ذلك قسم لذى حجر » معناه وحق هذه لأعذبن هؤلاء .
يدل على المحذوف قوله تعالى « ألم تر كيف فعل ربك بعاد » . وقوله تعالى « ق والقرآن
المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجب » معنى
- ق والقرآن المجيد - لتبعثن ويدل على ذلك قوله « أإذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع
بعيد » . . السابع حذف جواب - لو - وهو فى القرآن كثير . من ذلك
قوله تعالى « ولو ترى إذ فرعوا فلا قوت وأخذوا من مكان قريب » . تقديره
لأريت أمراً هائلاً ونحو ذلك . وكذلك قوله تعالى « لو أن لى بكم قوة أو آوى الى
ركن شديد » تقديره لمنعتكم ونحو ذلك . وكذلك قوله تعالى « ولو أن قرآناً
ُسرت به الجبال » تقديره لكان هذا القرآن . . الثامن حذف جواب - لولا -
كقوله تعالى « ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم » تقديره لمسا

أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ سِتْرَ هَذِهِ الْفَاحِشَةِ . وكذلك قوله تعالى « ولولا فضلُ اللهِ عليكم وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ » تقديره لمعجل لكم العذاب . ويدل على المحذوف في هاتين الآيتين ما تقدمهما . . التاسع حذف جواب - لما - وهو في القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « فلما أَسْلَمَا وَتَأْتَاهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْتَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا » تقديره كان ما كان من اغتباطهما بما أنعم الله عليهما من دفع ذلك البلاء . . العاشر حذف جواب - أمّا - كقوله تعالى « فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ » تقديره فيقال لهم - أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ - . . الحادى عشر حذف جواب - اذا - كقوله تعالى « وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ » تقديره - وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ - أعرضوا - وما تأتيتهم من آية من آيات ربهم إِلَّا كَانُوا أَيْضًا عَنْهَا مُعْرِضِينَ - (قال المصنف عفا الله عنه) هذه الأجوبة المحذوفة بعضها يصلح أن يكون في باب حذف الجمل وبعضها يصلح أن يكون في باب الافعال لكن الأئمة أوردوها هكذا فأوردناها كما أوردوها والمتأمل اللوذعى لا يخفى عليه ذلك . . الثانى عشر حذف المبتدأ تارة والخبر أخرى . . أما حذف المبتدأ فكقول المستهل - الهلال والله - معناه هذا الهلال . وكذلك قول من شتم رائحة طيبة - المسك والله - وكذلك من رأى شخصاً فقال - عبدُ الله ورب الكعبة - أى هذا عبد الله . وحذف المبتدأ في القرآن العظيم كثير . منه قوله تعالى « وَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ » تقديره فقالوا - هذا ساحر كذاب - ومنه « إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ » وقالوا أساطيرُ الأولين . . وأما حذف الخبر فكقول بعضهم - خرجتُ فاذا السبع - تقديره قائمٌ أو رايض . وهو في القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ » والمحصناتُ من المؤمناتِ » تقديره والمحصنات من المؤمنات كذلك وقول الله تعالى « فَصَبْرٌ جَمِيلٌ » شاهد للوجهين يجوز أن يكون من باب حذف الخبر ومن باب حذف المبتدأ فإن جعلته من حذف المبتدأ كان التقدير قائماً أو قائماً صبر جميل وإن جعلته من باب حذف الخبر يكون التقدير

فصبر جميل أجل . . . وقد يحذفان جملة وهو قليل . ومنه قوله تعالى « واللاتى يئسن من المحيض من نسائكم إن اربنتم فعدنهن ثلاثة أشهر واللاتى لم يحضن » تقديره واللاتى لم يحضن فعدنهن ثلاثة أشهر (وأما الأفعال) فحذفها على قسمين . الأول ما دل على حذفه بيان مفعوله كما فى قوله تعالى « ناقة الله وسقياها » وكقول النبي صلى الله عليه وسلم لجابر وقد تزوج - هلا بكرة أتباعها وتلاعبك - أى هلا تزوجت جارية بكرة . وكذلك قولهم - أهلك والليل - أى أدرك أهلك وبادر الليل . ومنه فى القرآن كثير . الثانى ما لا يدل عليه مفعوله ولكن يعرف بالنظر كقوله تعالى « وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا » . وقوله تعالى « ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم » معناه فقيل فقد جئتمونا . وكذلك « ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم » وكذلك « فأجمعوا أمركم وشركاءكم » والمراد فأجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم . وكذلك قوله تعالى « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب » أى فاضربوا رقابهم ضربا . وكذلك قوله تعالى « وقال الملك اتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم » تقديره فأتوه به - فلما كلمه - (وأما) حذف فعل الأمر فله مثال واحد كقوله تعالى « انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة » . وقوله تعالى « أفغير الله أبنتى حكما » تقديره قل - أفغير الله أبنتى حكما - (وأما الحروف) أعنى حذف الحروف التى لها معان وليست حروف الهجاء التى تكلم النحويون على اثباتها وحذفها وابدالها لأنهم أرادوا بذلك تصحيح الألفاظ وردّها الى أصولها وليس هذا من غرضنا فى هذا الكتاب انما غرضنا الحروف التى يفيد حذفها واثباتها معنى لم يكن . . . وهى عند علماء البيان على قسمين . مفردة ومركبة (فالمفردة) مثل - الواو - التى حذفها مع ما فيه من الإيجاز يجعل للكلام بلاغة ويكون فى معناه أشد وذلك لأن اثباتها يقتضى تغاير المعطوف والمعطوف عليه فاذا حذفت أشعر ذلك بأن الكل كالشئ الواحد . ومن ذلك قول أنس بن مالك رضى الله عنه - كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينامون ثم يصلون لا يتوضئون - أثبت الواو أدل على عدم الوضوء من قوله - لا يتوضئون - . ومن هذا النوع قوله تعالى « يا أيها الذين

آمنوا لا تتخذوا ببطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً وذكوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم » تقديره ولا يألونكم خبالاً وقد بدت البغضاء . . وقد ثبت الواو فيما من شأنه أن لا يكون فيه واو فيكون ذلك أيضاً أبلغ وأحسن كما في قوله تعالى « وما أهلكتنا من قرية إلا ولها كتابٌ معلوم » (وأما المركب) فكثير وهو على أقسام . الاول حذف - لا - في قوله تعالى « تالله تفتأ تذكر يوسف » تقديره لا تفتأ تذكر يوسف أى لا تبرح . ومنه قوله تعالى « وعلى الذين يطبقونه فدية طعام مسكين » تقديره وعلى الذين لا يطبقونه على قول بعض المفسرين . ومثله في القرآن العظيم كثير . ومنه قول امرئ القيس

فقلتُ يمينَ الله أبرحُ قاعداً ولو قطعوا رأسي لذيكَ وأرْصالي

معناه لا أبرح قاعداً . الثاني حذف - لو - وهو في قوله تعالى « ما آخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كلُّ إله بما خلق ولعلَّ بعضهم على بعضٍ » تقديره لو كان معه آلهة لذهب كل إله بما خلق . وقوله تعالى « وما كنت تتلون من قبله من كتاب ولا تحطه ببصيرتك إذا لا ترتاب المبطلون » معناه لو فعلت ذلك لا ترتاب المبطلون . ومن هذا النوع قول الشاعر

لو كنتُ من مازنٍ لم تستبحِ أبلي بنو الأقيطة من ذهلٍ بنِ شيبانا
إذا لقامَ بنصرى معشرُ خُشنٍ عند الحفيظة إن ذو لؤثة لانا

تقديره إذا لو كنت منهم لقام بنصرى

(الحذف الفصيح) وسبب قبحه اخلاله بالمعنى . قال ابن الأثير ومن الحذف أيضاً المخل بالمعنى وهو يُطلق على ما يحذف من أصل اللفظ وهو اسقاط بعض حروفه ولا يجوز استعماله في القرآن العظيم ولا في التأليف لكونه يجوز في الشعر لأن العرب قد أوردته في أشعارها واستعماته في كلامها فحذفت بعض الالفاظ استخفافاً حذفاً لا يخل بالباقي وتعرّض بالشبهة . فمنها قول علقمة

كانَ ابريقهم ظبيُّ على شرفٍ مُفدماً بسبا الكتانِ ملثومٌ

فقوله - بسبا الكتان - يريد بسباب الكتان . وكذلك قول لبيد

* دَرَسَ الْمَنَّا بِمَتَالَعِ فَأَيَّانِ *

أراد المنازل • وعلى نحو من هذا جاء قول أبي دؤاد

يَذَرِينَ جَنْدَلَ جَابِرٍ بِجَنُوبِهَا فَكَأَنَّمَا تُذَكِّي سَنَابِكُهَا الْحَبَا

أراد الجباحب - والجباحب - طائر على مثال الجندب الصغير يُرى منه نور ضعيف ليلاً • وهذا وأمثاله قليل جداً وإياك أيها المؤلف أن تستعمله في كلامك وإن كان جائزاً وقد ورد في أشعار العرب مثله (قال المصنف عفا الله عنه) هذا الذي ذكره ابن الأثير فيه نظر لانه قد صح عن ابن عباس وجاعة من أ كابر الصحابة والسلف الصالح أن هذه الحروف التي في أوائل السور كل حرف منها دال على كلمة مُحذَفُ أَكثرها ودل هذا المنطوق به على المحذوف • وقالوا ان معنى « أَمْ » أنا الله الملك • وقالوا في « كَيْمَعَصَّ » أن الكاف من كافٍ والهاء من هاد • واستدلوا على ذلك بأن العرب استغنت بذكر حرف من الكلمة عن ذكرها في كثير من كلامها وأشعارها ففهمتم المراد من ذلك الحرف • ومنه قول الشاعر

جَارِيَةٌ قَدْ وَعَدَتْنِي أَنْ تَأْتِيَنِي تَذْهَنُ رَأْسِي أَوْ تَقْلِي أَوْ تَأْتِي

أراد أن تأتي وتذهن رأسه وتقلي أو تمسح • وقال آخر

نَادَوْهُمْ أَنْ تُلْجَمُوا الْآتَا قَالُوا جَمِيعاً كُلُّهُمْ الْآفَا

•• وقال آخر

قَاتُ لَهَا الْآقْفَى قَالَتْ قَاف لَا تَحْسِبْنِي أَنَا نَسِينَا الْإِلْحَافَ

أى قف أنت • ومثل هذا في أشعار العرب وكلامهم كثير وإذا كثرت استعماله كان من الكلام الفصيح معدوداً وحسن في التركيب وكلما بعمد غور الكلمة واستعجم معناها كان فهمه بأول وهلة دليلاً على صحة الأفهام وجودة الفرائز وسلامة الطبع وحسن موقع اللفظ به

﴿ فصل ﴾

ومن أنواع المحذوف أن يكون اللفظ مركباً ولكن ليس بكلام وذلك كقولته

(١١ - فوائد)

تعالى « قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس » تقديره وجعنا له لنجعله آية للناس فيكون المحذوف ههنا هو السبب والدال عليه هو سببه . . . وقد يكون بعكس هذا كما في قوله تعالى « فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » تقديره واذا أردت قراءة القرآن فالمحذوف هنا الارادة وهي سبب القراءة ويجوز أن يكون التقدير واذا قرأت القرآن وحضرك الشيطان فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم

٥ - القسم الثالث والعشرون

(في التقديم والتأخير . والكلام عليه من وجوه ثلاثة)

الاول في ذكر المعنى الذى أتى به من أجله . الثانى فى هل هو من المجاز أم لا . الثالث فى أقسامه (أما الاول) فانهم أتوا به دلالة على تمكّنهم فى الفصاحة وملكتهم للكلام وتلمعهم به وتصرفهم فيه على حكم ما يختارونه وانقياده لهم لقوة ملكتهم فيه وفى معانيه ثقة بصفاء اذهانهم وغرضهم فيه أن يكون اللفظ وجيزاً بليغاً وله فى النفوس حسن موقع وعدوبة مذاق (وأما الثانى) فقد اختلف أرباب علم البيان فيه . . . فقال قوم هو من المجاز لأن فيه تقديم مارتبه التأخير كالتقول وتأخير مارتبه التقديم كالفعل والمفعول به فى نقل كل واحد منهما على رتبته وحقه . . . وقال قوم ليس هو من المجاز لأن المجاز نقل مما وضع له الى ما لم يوضع له (وأما الثالث) فقال علماء هذا الشأن أقسامه أربعة . . . وقالوا التقديم والتأخير لا يخلو إما أن يكون موجباً لزيادة فى المعنى أو لا يكون كذلك وإما أن يكون ما قدم الاول به التقديم أو الاولى به التأخير أو يتكافأ الامران فيه . . . أما الاول فهو ما يلزم فيه زيادة معنى فلا يخلو إما أن يكون المقصود بتقديمه زيادة المعنى خاصة كقوله تعالى « إياك نعبد وإياك نستعين » فان المقصود بتقديم - إياك - تعظيم الله سبحانه وتعالى والإهتمام بذكره مع افادة اختصاص العبادة والاستعانة بالله تعالى لبصير الكلام حسناً متناسقاً ولو قال نعبدك ونستعينك لم يكن الكلام متناسقاً . . . وكذلك

قوله تعالى « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » فان هذا مع افادته ان نظرها لا يكون الا الى الله تعالى يفيد في جودة انتظام الكلام . وكذلك قوله تعالى « وألثفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق » . وأما ما يراد بتقديمه زيادة المعنى فقط . فانه تقديم المفعول في قوله تعالى « قل أفقر الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون » . وكذلك « هل الله فاعبد » وكن من الشاكرين « فان المراد هاهنا بتقديم المفعول لتخصيصه بالعبادة ولو أخره ما أفاد ذلك فانه لو قيل ضربت زيدا لم يشعر ذلك باختصاص زيد بالضرب ولا كذلك لو قيل زيد أضربت . ومنه تقديم الخبر على المبتدأ كما في قوله تعالى « وظنوا أنهم ما نعمتهم حصونهم من الله » ولو قال وظنوا أن حصونهم من الله ما نعمتهم لما أشعر بزيادة وثوقهم بنعمها إياهم . وكذلك « أراغب أنت عن آلهي يا إبراهيم » ولو قال أنت راغب عنها ما أفاد زيادة الإنكار على إبراهيم بالرغبة عنها . وكذلك « واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخته أبصار الذين كفروا » ولم يقل فاذا أبصار الذين كفروا شاخته وكان يستغنى عن الضمير لأن هذا لا يفيد اختصاص الذين كفروا بالشخص ولا اختصاص الذين كفروا بالضمير . وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم في البحر - هو الطهور ماؤه الحل ميتته - . وكذا تقديم الظرف في الهيئات كقوله تعالى « إن الينا إيابهم ثم إن عاينا حسابهم » . . . وتقديم الجار والمجرور كقوله تعالى « له الملك وله الحمد » فان هذا يفيد اختصاص ذلك بالله تعالى . . . وأما اذا كان الظرف في النفي فان تقديمه يفيد تفضيل المنفى عنه كما في قوله تعالى « لا فيها غول » ولا هم عنها ينزفون « أي ليس في خمر الجنة ما في خمر غيرها من الغول . وأما تأخيرها فانما يفيد النفي فقط كما في قوله تعالى « ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه » وكذلك اذا قلت لا عيب في الدار كان معناه نفي العيب عن الدار واذا قلت لا في الدار عيب كان معناه انها تفضل على غيرها بعدم العيب . . . وأما الثاني فهو ما لا يلزم تقديمه زيادة في المعنى ومع ذلك يكون تقديمه أحسن وهذا انما يكون كذلك لانه يتعاقب بالتقدم والمتأخر أو لأمر خارج عنهما . والذي لأمر يتعلق بهما اما أن يكون ذلك بالنسبة الى شيء خارج عنهما أولا يكون كذلك . فالاول كما اذا كان التقدم أدل على قدرة الخالق من التأخير كقوله تعالى « فمنهم من

يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع . والثاني
 اما ان يكون المتقدم تأثير في وجود المتأخر أو لا يكون كذلك ^(١) . والثاني كما اذا كان
 المتقدم أكثر وجوباً كما في قوله تعالى « فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق
 بالخيرات باذن الله » والاول اما أن يكون المتقدم في الوجود المتأخر بالذات أو بالعرض .
 أما الذي بالذات فكما في قوله تعالى « وأنزلنا من السماء ماء طهوراً لنحْيي به بلدة ميتة
 ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناساً كثيراً » فانه قدم الانعام لان صلاح حالها سبب لصلاح
 حال الناس . وأما الذي بالعرض فكما في قوله تعالى « إياك نعبد وإياك نستعين » فانه
 قدم العبادة لانها وسيلة الى تحصيل الاستعانة . وأما الذي يكون كذلك لأمر خارج
 عن المتقدم والمتأخر فاما أن يكون ذلك لأجل كلام تقدم أو لا يكون كذلك . والذي
 لأجل الكلام المتقدم إما أن يكون لتعلق المذكور أولاً به أو لتعلقه هو بالمدكور أولاً
 . والاول كما في قوله تعالى « وما يعزبُ عن ربك من مثقالِ ذرَّةٍ في الأرض ولا
 في السماء » فانه قدم الأرض - لأن هذا بعد قوله تعالى « ولا تعملون من عملٍ إلا
 كنا عليكم شهوداً اذ تُفيضون فيه » وهذا الخطاب لأهل الأرض وعملهم يكون في
 الأرض . والثاني إما أن يكون ذلك لما يتعلق بمعنى الكلام الاول أو بلفظه . والمتعلق
 بمعناه كما في قوله تعالى « فمنهم شقي وسعيد » فانه قدم الشقي لان المراد بهذا وما قبله
 التخييف . والمتعلق بلفظه كما في قوله تعالى « فأما الذين شقوا ففي النار » ثم قال
 « وأما الذين سعدوا ففي الجنة » فان تقديم حال الاشقياء هاهنا لأجل تقديمه أولاً
 الشقي . والذي يكون كذلك لا لأجل المتقدم اما أن يكون لأجل حال في الكلام نفسه
 أو لا يكون كذلك . والثاني كما في قوله تعالى « يَهْبُ لمن يشاءِ إِنَّانا وَيَهْبُ لمن يشاءِ
 الذُّكُورَ » فان تقديم الاناث هنا انما كان لأن المقصود بيان أن الخلق كله بمشيئته
 سبحانه وتعالى لا على وفق العباد . والاول كما اذا كان يتم بذلك السجع وذلك كما في
 هذه الآية وكما في قوله تعالى « خذوه فغلّوه ثم الجحيم صلّوه » ولو قال ثم صلّوه
 الجحيم لأفاد المعنى ولكن كان يفوت السجع فلذلك كان الاحسن تقديم الجحيم . وقيل

ان هذه الصورة تفيد أيضاً الاختصاص كما في القسم الاول . . قال الامام غفر الدين وهو الذي يظهر لي وان منعه الآخرون فهذه أسباب عشرة . وقد يجتمع في شيء واحد عدة منها فيكون تقديمه أولى واذا تعارضت أسباب روعي أقواها وان تساوت كان المتكلم باختيار في تقديم أى الامرين معاً . وأما الثالث فهو الذى لا يلزم تقديمه زيادة في المعنى ويكون الاحسن تأخيره فاذا قدم كان ذلك مفاضلة معنوية وذلك كتقديم الصفة على الموصوف والعلّة على المعلول ونحو ذلك . وهذا لا يمكن وروده في القرآن لركنك وسماجته . مثاله قول الفرزدق

وما مثله في الناس إلا مُملِكَا أبو أمه حتى أبوه يُقاربه
معناه وما مثله في الناس حتى يقاربه إلا مُملِكَا أبو أمه أبوه . وقال أيضاً
الى مُلِكٍ ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كليب تُصاهره
معناه الى ملك أبوه ما أمه من محارب أى ما أم أبيه منهم . وقال أيضاً
وليس خراسان الذى كان خالد بها أسدٌ اذ كان سيفاً أميرها

معناه ليست خراسان بالبلدة التى كان خالد بها سيفاً اذ كان أسد أميرها . والغرض مدح خالد وذم أسد لتولى بعده (وأما الرابع) فهو ما يتكافأ تقديمه وتأخيره وهذا كالحال فانه يقدم كقولك - جاء راكباً زيد - ويؤخر كقولك - جاء زيد راكباً - وهما سواء . وكذلك المستثنى كقولنا - ما قام إلا زيداً أحد . وما قام أحد إلا زيداً - . وقد وقع في الكتاب العزيز آيات فيها تقديم وتأخير جارية على نط ما تقدم . من ذلك قوله تعالى « حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها » . وقوله تعالى « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر » على قول من قال إن الذكر هاهنا القرآن . . وقال بعض العلماء في قوله تعالى « ولقد هممت به ولولا أن رأى برهان ربه » أن في الكلام تقديماً وتأخيراً تقديره ولقد هممت به ولولا أن رأى برهان ربه هم بها وهذا حسنٌ لكن في تأويله قلق ولا يضطر الى هذا التأويل إلا على قول من قال ان الانبياء معصومون من الكبائر والصغائر . وأما على قول من قال ان الصغائر يجوز وقوعها منهم فلا يضطر الى هذا التقديم والتأخير . . ومنه أيضاً قوله تعالى « اقتربت »

الساعةُ وانشقَّ القمرُ • وقوله تعالى « فجماعهُ غُذاءٌ أَحوى » والتقدير فجماعهُ أَحوى
غذاء • ومنه قول الشاعر

طافَ الخيالُ وأين منكِ لَمَما فارْجِعْ لَزَوْركِ بالسلامِ سلاما

تقديره طاف الخيال لَمَما وأين منك • وقال الفرزدق

فُفِّقْها مَنْ لَمْ تَتَلْهُ سَيوفنا بأسِافِنا هَامَ الملوِكِ القَمامِ

تقديره نفلقها مَنْ لَمْ تَتَلْهُ سَيوفنا ومن لَمْ تَتَلْهُ سَيوفنا - وهما - لتنبية تقديره تنبهوا
لهذا المعنى • وإنما دعاه الى التقديم والتأخير ايقاع اللبس على السامع وجهه - له من
باب الالفاز

❦ القسم الرابع والعشرون ❦

في الجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظة واحدة

والجمع بينهما عندهم رآه مجازاً لانه استعمال اللفظ في غير ما وضع له فانه وضع للحقيقة
وحداهم استعمال فيها وفي المجاز • وله أمثلة

أحدها في قوله تعالى « أوأنتك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين »
- ولعنة الله - ابعاد - ولعنة الملائكة والناس - دعاؤهم بالابعاد وقد جمعهما في لفظة
واحدة ومن لا يرى ذلك يقدر أوأنتك عليهم لعنة الله ولعنة الملائكة فيكون من مجاز
الحذف • والثاني منه قوله تعالى « ان الله وملائكته يُصَلُّون على النبي » - الصلاة -
حقيقة في الدعاء مجاز في اجابة الدعاء لان الاجابة مسببة عن الدعاء فصلاة الملائكة
حقيقة لانها دعاء وصلاة الله من مجاز التعبير بلفظ السبب الذي هو الدعاء عن السبب
الذي هو الاجابة وقد جمع بينهما في قوله - ان الله وملائكته يصلون على النبي -
فيكون الضمير في - يصلون - لله والملائكة وجمعه معهم في الضمير مستكره فان رسول
الله صلى الله عليه وسلم أنكرك على بعض خطباء العرب قوله - ومن يعصهما فمقو غوي -

وقال بش خطيب القوم أنت • وقد جمع بينهما عليه الصلاة والسلام في قوله - أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما - في قوله عليه الصلاة والسلام - فإن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم - وإنما أنكر على الأصحابي الجمع لاعتقاده التسوية بينهما والرسول عليه الصلاة والسلام آمنٌ من ذلك • ومن لا يرى الجمع بين الحقيقة والمجاز يقدر أن الله يصلي على النبي وملائكته يصلون على النبي فيكون يصلون على النبي حقيقة في حق الملائكة ويكون يصلي المقدرة مجازاً في حق الله • وكذلك القول في قوله تعالى « هو الذي يصلي عليكم وملائكته » في الجمع بين الحقيقة والمجاز وافرادهما • ومثل هذا قوله تعالى « والله ورسوله أحقُّ أن يُرضوه » لو قال أحقُّ أن يرضوهما لكان جامعاً بين الله ورسوله في الضمير وبين الحقيقة والمجاز فإن رضى الرسول عليه الصلاة والسلام حقيقى ورضى الله تعالى مجازى • ومن لا يرى ذلك يقول والله أحقُّ أن يرضوه ورسوله أحقُّ أن يرضوه كقول الشاعر

نحنُ بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأيُ مختلفُ

وهذه الاربعة وعشرون قصبا التي ذكرناها من أقسام المجاز تحت كل قسم منها أقسام كثيرة يعرف ذلك من تأملها ونظر فيها • وحيث انتهى الكلام في الفصاحة والبلاغة والحقيقة والمجاز فلنأخذ في ذكر ما تضمنه الكتاب العزيز من فنون البلاغة وعيون الفصاحة وضروب علم البيان وبدائع البديع وأجناس التجنيس • • ولنبداً من ذلك فيما يتعلق بالمعاني ثم نتلوه بما يتعلق بالالفاظ والاعتماد في ذلك معونة الله تعالى وتوفيقه وتيسيره وهدايته الى الصواب والارشاد الى ما يؤدى الى جزيل الثواب وحسن المآب • • أما ما يختص بالمعاني فينقسم الى أقسام

قسم القسم الأول

(التناسب • ويسمى التشابه أيضاً)

وهو ترتيب المعاني المتأخية التي تتلام ولا تتنافر • والقرآن العظيم كله متناسب

لا تنافر فيه ولا تباين .. ومنه قول النابغة

الرفق يُنُّ والأناةُ سعادةٌ فاستأن في رفق تنالُ نجاحا

والباسُ عِمَاقَاتُ يُعَقِّبُ رَاحَةً ولرُبَّ مَطْعَمَةٍ تَعُودُ ذِباحا

ويسمى التشابه أيضاً .. وقيل التشابه أن تكون الالفاظ غير متباينة ولكن متقاربة في الجزالة والمثانة والدقة والسلاسة وتكون المعاني مناسبة لالفاظها . من غير أن يكسب الالفظ الشريف المعنى السخيف أو على الضد بل يصاغان معاً صياغة تتناسب وتلائم حتى لا يكون الكلام كما قيل

وبعض قريض القوم أولادُ علةٍ يُكلُّ لسانَ الناطقِ المتحفظِ

(قال المصنف عفا الله عنه) المناسبة عند أرباب هذا الشأن على قسمين . معنوية . ولفظية . فالمعنوية أن يتدعى المتكلم بمعنى ثم يتم كلامه بما يناسبه في المعنى دون اللفظ . ومنه قوله تعالى « وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا » أخبر سبحانه في فاصلة الآية بأنه قوى عزيز ليدل على أن تلك الرياح التي أصابت المشركين ليست اتفاقاً وليست هي من أنواع السحر بل هي من إرساله على أعدائه كعادته وسنته في أمثاله من نصره لعباده المؤمنين مرة بالقتال كيوم بدر ومرة بالريح كيوم الأحزاب ومرة بالرعب كبنى النضير وأن النصر من عند الله لا من عند غيره ولهذا لم ينصرهم حين خالفوا نبينهم يوم أحد وحين أعجبتهم كثرتهم يوم حنين وبعد ذلك كانت الماقبة لهم . وقد صرح سبحانه وتعالى في قوله « وما النصر إلا من عند الله » . وقوله تعالى « إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَانْ يَخْذَلْكُمْ فَلاَ مَنْ دُونِ الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِهِ » ولو اقتصر على الآية ولم يذكر فيها - والله قوى عزيز - لحظي هذا المعنى وغض والتبس الأمر فيه وأشكل .. وأما المناسبة اللفظية فهي أيضاً على قسمين . تامة . وغير تامة . فالتامة أن تكون الكلمات مع الإبراز مقفاة . والاخرى ليست بمقفاة فالتقفية غير لازمة للمناسبة .. فن المناسبة التي ليست بمقفاة قوله تعالى « ق وَالْقُرْآنِ الْحَمِيدِ لَمْ يَجِئْهُمُ الْمُنْذَرُ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ » وما سوى هذه التامة كقوله سبحانه وتعالى « ن وَالْقَلَمِ وما يَسْطُرُونَ ما أُنْتِ

بسمِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ « .. ومن التامة في السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يرقى به الحسن والحسين عليهما السلام أعيد كما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة فقال صلى الله عليه وسلم - لامة - ولم يقل لامة . وقوله صلى الله عليه وسلم - مرحباً بالوفد غير خزايا ولا ندامى بحسن المناسبة . ومثله قوله صلى الله عليه وسلم - ارجعن مأزورات غير مأجورات والمستعمل - موزورات - لانه من الوزر غير مهموز فلفظ به صلى الله عليه وسلم لما كان المناسبة اللفظية التامة . وأما ما جاء من السنة الغير مقفاة فكقوله صلى الله عليه وسلم ان أحبكم الى وأقربكم في مجالس يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً الموطون أكنافاً فناسب صلى الله عليه وسلم بين - أخلاق وأكناف - مناسبة أبراز دون تفقية . ومما جمع بين المناسبتين قوله صلى الله عليه وسلم في بعض أدعيته اللهم اني أسألك رحمة تهدي بها قاي . وتجمع بها أمرى . وتلم بها شعنى . وتصلح بها غائبي . وترفع بها شاهدى . ونزكى بها علمى . وتلهينى بها رشدى . وترد بها الفى . وتعصنى بها من كل سوء اللهم انى أسألك الفوز فى القضاء . ومنزل الشهداء . وعيش السعداء . والنصر على الاعداء فناسب صلى الله عليه وسلم بين - قاي وأمرى - مناسبة غير تامة بالزنة دون التفقية ثم ناسب بين - الشهداء والسعداء - مناسبة تامة بالزنة والتفقية

القسم الثانى

(التكميل)

وهو أن يأتى المتكلم أو الشاعر بمعنى من معانى المدح أو غيره من فون النظم والنثر ثم يرى مدحه فيه اقتصاد وقصور عن الغرض وانه يحتاج الى تكميل بزيده بياناً وإيضاحاً فيكمله بمعنى آخر . فن ذلك قوله تعالى « فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه » أدلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين » فانظر الى هذه البلاغة فانه سبحانه

وتعالى علم وهو أعلم أنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين وإن كانت صفة مدح
إذ وصفهم بالرياضة لآخوانهم المؤمنين والافتقار لأمهم كان المدح غير كامل فكمل
مدحهم بأن وصفهم بالعزة على الكافرين فأثنى بوصفهم بالامتناع منهم والغلبة لهم
• وكذلك قوله تعالى « محمدٌ رسولُ اللهِ والذين معه أشداء على الكفارِ رحماء بينهم »
• ومثاله من النظم قول كثير عزة

ولو أن عزة خاصمت شمس الضحى في الحن عند موفق لقضى لها

القسم الثالث

(التقديم)

وهو أن تردف الكلام بكلمة ترفع عنه اللبس وتقربه إلى الفهم وتزيل عنه الوهم
وتقرره في النفس • فمن ذلك قوله تعالى « ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم »
• وقوله تعالى « ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة » ومثاله في
القرآن كثير • ومثله قول امرئ القيس

كان قلوب الطير رطباً ويأساً لدى وكرها العناب والحشف البالي
• • وقال آخر

كان قلوب الطير حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذي لم يتقب
تم المعنى بقوله - الحشف البالي • والجزع الذي لم يتقب -

القسم الرابع

(التقديم)

وهو آلة الحصر ومظنة الاحاطة بالشيء • مثل قوله تعالى « والله خلق كل دابة من

ماء ففهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ، الى قوله « ما يشاء »
 ومنه قوله تعالى « له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً » . ومثله
 في القرآن كثيرٌ وخصوصاً في سورة براءة . ومثله في كلام العرب قول زهير بن أبي سلمى
 وأعلم ما في اليوم والامس قباهُ ولكنى عن علم ما في غدٍ كعمى
 . . وذكر ابن الأثير في جامعه أن أرباب علم البيان لم يريدوا بالتقسيم القسمة العقلية
 كما يذهب اليه المتكلمون فإن القسمة العقلية تقتضى أشياء مستحيلة كما قالوا الجواهر
 لا يخلو إما أن تكون مجتمعة أو مفترقة أو لا مجتمعة ولا مفترقة أو مجتمعة ومفترقة معاً أو
 بعضها مجتمع وبعضها مفترق ألا ترى أن هذه القسمة صحيحة من حيث العقل لاستيفاء
 الاقسام جميعها وان كان من جملتها ما يستحيل وجوده فان الشئ لا يكون مجتمعاً مفترقاً
 في حالة واحدة . وانما أرادوا بالتقسيم ما يقتضيه المعنى مما يمكن وجوده وهو أن يأتى
 المؤلف الى جميع أقسام الكلم المحتملة فيستوفى غير تارك منها قسماً واحداً . فن ذلك
 قوله تعالى « ثم أوزننا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم
 مقتصد ومنهم سابقٌ بالخيرات باذن الله » فانه لا يخلو العالم جميعه من هذا التقسيم
 إما عاصٍ ظالم لنفسه وإما مطيع مبادر الى الخيرات وإما مقتصد بينهما وهذا من أصح
 التقسيمات وأكملها فاعرفه . . ومن هذا المعنى قوله تعالى « وكنتم أزواجاً ثلاثة
 فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة والسابقون السابقون »
 الآية . اعلم أن هذه الآية مماثلة في المعنى لما سبق ذكره - وأصحاب المشئمة - هم
 الظالمون لأنفسهم - وأصحاب الميمنة - هم المقتصدون - والسابقون - هم السابقون
 بالخيرات . وعلى نحو من ذلك جاء قوله تعالى « هو الذى يرىكم البرق خوفاً وطمعاً »
 ألا ترى الى براعة هذه القسمة فان الناس عند رؤية البرق بين خائف وطماع وليس لهم
 ثالث . وكان جماعة من أرباب هذه الصناعة المنتصبين فى صدرها يعجبون بقول بعض
 العرب فى هذا المعنى ويقولون ان ذلك من أصح التقسيمات وهو قوله - النعم ثلاث .
 نعمة فى حال كونها . ونعمة ترجى مستقبله . ونعمة تأتى غير محتسبة . فأبقى الله عليك
 ما أنت فيه . وحقق ظنك بما ترجيه . وتفضل عليك بما لم تحسبه . فقالوا انه ليس فى

أقسام النعم التي يقع الانتفاع بها قسم رابع سوى ما ذكره الاعرابي وهذا القول فاسد وهو أن في أقسام النعم التي قسمها ههنا نقصاً لا بد منه وزيادة لاحاجة إليها أما النقص فإغفاله ذكر النعمة الماضية وأما الزيادة فقوله بعد النعمة المستقبلية التي تأتي غير محتسبة وهذا خطأ فإن النعمة التي تأتي غير محتسبة هي داخلية في قسم المستقبلية وذلك أن النعمة المستقبلية تنقسم إلى قسمين . أحدهما يرجي حصوله ويتوقع بلوغه . والآخر لا يحسب ولا يشعر بوجوده . فقوله - ونعمة تأتي غير محتسبة - يوهم أن هذا القسم غير المستقبل وهو داخل في جماته ولو قال - ونعمة مستقبلية - من غير أن يقول - ونعمة تأتي غير محتسبة - لكان قوله كافياً إذ النعمة التي ترنجي والنعمة التي لا تحسب يدخلان تحت قسم المستقبل وكان ينبغي أن يقول - النعم ثلاث . نعمة ماضية . ونعمة حال كونها . ونعمة تأتي مستقبلية . فأحسن الله آثار النعمة الماضية وأبقى عليك النعمة التي أنت فيها ووفر حظك من النعمة التي تستقبلها - ألا تراه لو قال ذلك لكان قد طبّق به مفصل الخطاب فافهم ما ذكرناه وقس عليه . . . وقف اعرابي على مجلس الحسن فقال رحم الله من أعطى من سعة . أو آسى من كفاف . أو آثر من قلة فقال الحسن ماترك لأحد عذراً فانصرف الاعرابي بخير كثير . . . ومن هذا الضرب ما ذكره أبو هلال العسكري في كتابه وذلك أنه أخذ على جيل قوله

لو أن في قافي كقدرِ قلامةٍ حُباً وِسلتكِ أو أتتكِ رسائلِي

فقال أبو هلال إن إتيان الرسائل داخل في جملة الوصل . وليس الأمر كما وقع له فإن جيلاً إنما أراد بقوله - وِسلتكِ - أي أتيتك زائراً أو قاصداً أو كنت راسلتك مراسلة والوصل لا يخرج عن هذين القسمين إما رسالة أو زيارة . . . وقال ابن الأثير ومن أعجب ما شاهدته في هذا الباب ما ذكره أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغامبي وهو قول العباس بن الاحنف

وِصالكم هجرٌ وهجرٌكم قِلاٌ وعطفكم صدٌّ وسلمٌكم حربٌ

ثم روى المشار إليه عن أبي القاسم الأمدى أنه قال إن بعض نقدة الكلام من البلاء لما سمع هذا البيت قال والله هذا أحسن من تقسيمات أفلطس . ومن العجب كيف

ذكر الغامى ذلك فى كتابه وفاته النظر فيه مع تقدمه فى هذه الصناعة • وأعجب منهما
جيماً استحسان ناقد الكلام لهذا التقسيم ألا ترى أن هذا البيت بنى عليه شئ آخر
من جنسه فانه لو أضيف اليه بيت غيره فقليل

وَلَيْنُكُمْ عُنْفٌ وَقُرْبُكُمْ نَوًى وَإِعْطَاؤُكُمْ مِّنْغٍ وَمُصِيقُكُمْ كَذِبٌ

لجاز ذلك ويحتمل أن يزداد على هذا البيت بيت آخر ثالث ورابع ولو كان التقسيم فى
البيت الاول صحيحاً لما احتمل أن يضاف اليه شئ آخر البتة لأن من صحة التقسيم أن
لا يحتمل الزيادة • • ومن نحو هذا قول بعضهم فى حق مكسورين فى الحرب فمن بين
جريح مضرّج بدماؤه • وهارب لا ياتفت الى ورائه فان الجريح قد يكون هارباً والهارب
قد يكون جريحاً ولو قال - فمن بين قتيل ومأسور وناج - لصح له التقسيم لأن المكسورين
فى الحرب الذين دارت عليهم الدائرة لا يخرجون عن هذه الاقسام الثلاثة فاما قتيل أو
مأسور أو ناج وأما الجريح فانه يدخل فى جملة الناجى والمأسور لأن كلا منهما يجوز أن
يكون جريحاً وأن لا يكون فاعرف ذلك وقس عليه

— القسم الخامس —

(المؤاخاة)

وهى على قسمين • الاول المؤاخاة فى المعانى • الثانى المؤاخاة فى الالفاظ ويكون
للكلام بها رونق لأن النفس يعرض لها عند الشعور شئ يُطلع الى مناسبة فلا يرد
إلا بعد تشوف ولا كذلك المبين فذلك يقبح ذكر الشئ مع مبينه فى المعنى المذكور
فيه • ولذلك قبح قول الكميث

أَمْ هَلْ ظَعَانٌ بِالْعَلْيَاءِ رَافِعَةً وَقَدْ تَكَامَلَ مِنْهَا الدُّلُّ وَالشَّنْبُ

فان - الدل والشنب - لا مناسبة بينهما • وكذلك يقبح الشئ مع مبينه فى البناء • ولذلك
قبح قول أبى تلم

مُثَقِّفَاتٍ سَلْبْنَ الْعُرْبَ سَعَرَتْهَا وَالرُّؤْمَ رَقَّتْهَا وَالْعَاشِقَ الْقَصْفَا
 وكان ينبغي أن يقول - والعشاق قصفها - لكن منعه الوزن والقافية فلذلك لا يعاب هذا
 على الشاعر كما يعاب على الناثر اذ المجال للناثر متسع . . . وما استقبح قول أبي نواس
 أَلَا يَا ابْنَ الْذِينَ فَتَوَا فَتَاوَا أَمَّا وَاللَّهِ مَا مَاتُوا لَتَبَقَى
 وما لك فاعلمن فيها مقام إذا استكملت آجالاً ورزقا
 وكان ينبغي أن يقول - وأرزاقاً - واعلم أن استقبح تباين المباني دون استقبح تباين
 المعاني (قال المصنف عفا الله عنه) التباين في المباني ليس بمستقبح وقد ورد في القرآن
 للعظيم منه كثير . ومن ذلك قوله تعالى « خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَهُمْ وَأَبْصَارِهِمْ »
 . وكذلك قوله تعالى « حَتَّى إِذَا مَا جَاؤَهُمْ هَاشِدٌ عَلَيْهِمْ سَمِعَهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجَلُودُهُمْ » الآية

- القسم السادس -

(الاعتراض والحشو)

وهو أن يدخل في خلال الكلام كلمة تزيد اللفظ تمكناً وتفيد معنى آخر مع أن
 اللفظ يستقل بدونها ويلتزم بغيرها مثل قوله عز وجل « لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ
 شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ » . وقوله تعالى « وَلَا تَكْرَهُوا قِتْيَا تَكُمُ عَلَى الْبَغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا »
 أو لم يردن ولكن أفاد قوله - إن أردن تحصناً - الاعلام بترغيب الشرع في التحصين
 وأنه مطلوبه . ومنه قوله تعالى « وَادْخُلِي يَدُكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ
 سُوءٍ » . وقوله تعالى « وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ » (قال المصنف
 عفا الله عنه) قال ابن الأثير في كتابه الموسوم بالجامع الكبير الاعتراض الصناعي عند
 أرباب علم البيان على قسمين . الأول لا يأتي في الكلام إلا لقائدة وهو جار مجرى
 التوكيد في كلام العرب . والقسم الآخر أن يأتي في الكلام لغير فائدة فاما أن يكون
 دخوله في التأليف تخروجه منه وإما أن يؤثر في التأليف نقصاً وفي المعنى فساداً

فالأول وهو الذى يأتى فى الكلام لفائدة . فنه قوله تعالى « فلا أقسم بمواقع النجوم
وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون » هذا كلام فيه اعتراضان
أحدهما قوله - وإنه لقسم لو تعلمون عظيم - لانه اعترض بين القسم الذى هو - فلا
أقسم بمواقع النجوم - وبين جوابه الذى هو - إنه لقرآن كريم - وفى نفس هذا
الاعتراض اعتراض آخر بين الموصوف الذى هو - قسم - وبين صفته التى هى - عظيم -
وهو قوله تعالى - لو تعلمون - فذلك اعتراض ولو جاء الكلام غير معترض فيه
لوجب أن يكون فلا أقسم بمواقع النجوم انه لقرآن كريم وفائدة هذا الاعتراض بين
القسم وجوابه انما هو تعظيم لشأن المقسم به فى نفس السامع . ألا ترى الى قوله تعالى
- لو تعلمون عظيم - كيف هذا الاعتراض بين الصفة والموصوف وذلك أوقع فى
النفس لتعظيم المقسم به أى انه من عظيم الشأن ونخامة الأمر بحيث لو علم ذلك لوفى
حقه من التعظيم . . ومن ذلك قوله تعالى « ووصينا الانسان بوالديه إحساناً حماتهُ
أُمهُ » الى « ولوالديك » الآية . ألا ترى الى هذا الاعتراض الذى طبق مفصل
البلاغة فانه لم يوث به الا لفائدة كبيرة وذلك انه لما وصى بالوالدين ذكر ما تكبده
الأم من المشاق والمتاعب فى حمل الولد مما لا يتكفاه الوالد . ومن ثم قال النبي صلى الله
عليه وسلم للذى سأله فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي قال أمك قال ثم
من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أبوك . وفى رواية أمك ثم أمك ثم
أباك ثم أدناك فإدناك . . ومما جاء على هذا الاسلوب قوله تعالى « واذ قتلتم نفساً
فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون » الى قوله « تعقلون » فقوله تعالى
- والله مخرج ما كنتم تكتمون - اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وفائدة أن
يقرر فى أنفس المخاطبين وقلوب السامعين أن تدارؤبني اسرائيل فى قتل تلك النفس
لم يكن نافعاً لهم فى اخفائه وكنائه لان الله تعالى مظهر لذلك ومخرجه ولو جاء الكلام
خالياً من هذا الاعتراض لكان - واذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها فقلنا اضربوه ببعضها -
ولا يخفى على العارف بهذه الصناعة الفرق بين ذلك وبين كونه معترضاً فيه . . ومن
هذا الجنس قول النابغة

لعمري وما عمري على بهينٍ لقد نطقتُ بطلاً على الاقارع
فقوله - وما عمري على بهين - من محوده ونادره لما فيه من تفخيم المقسم به . . وعلى
نحو من هذا جاء قول كثير

لو أن الباخرين وأنت منهم رأوك تعلموا منك المطالا
فقوله - وأنت منهم - من الاعتراض الذي يؤكده المعنى المقصود ويزداد به مزية
ونبلا وفائدته هنا أن التصريح بما هو المراد يثبت في النفس ويقرره في الازهان . .
وقال بعضهم لعبد الله بن طاهر وهو أحسن ما قيل في هذا الباب

إن الثمانين وبلغتها قد أخرجت سمعي إلى ترجمان
وأمثاله كثيرة . . وأما الثاني وهو الذي يأتي في الكلام لغير فائدة فهو ضربان .
الاول أن يكون دخوله في التأليف كخروجه منه لا يؤثر حسناً ولا قبحاً . . فمن ذلك
قول النابغة

يقول رجالٌ يجهلون خليقتي لعلّ زياداً لا أبالك غافلُ
فقوله - لا أبالك - اعتراض لا فائدة فيه وليس مؤثراً في هذا البيت حسناً ولا قبحاً
(الضرب الثاني منه) وهو الذي يكون مؤثراً في الكلام نقصاً وفي المعنى فساداً .
ومنه قول بعضهم

فقد وأبيك بين لي عشاءً بوشكٍ فراقهم صرّدٌ يصيحُ
فإن في هذا البيت من ردئ الاعتراض ما اذكره وهو الفصل بين - قد - والفعل
الذي هو - بين - وذلك فيسبغ لقوة اتصال - قد - بما تدخل عليه من الافعال ألا
تراها تعدّ مع الفعل كالجزم منه ولذلك دخلت اللام المراد بها توكيد الفعل على - قد -
في قوله تعالى « ولقد أوحى اليك وإلى الذين من قبلك » . وفي قوله تعالى « ولقد
علموا لمن اشتراه » . . وقول الشاعر وهو الفراء السلمي

وهذا أجمعٌ رجلي بها حذر الموتِ وإنى لغرورُ
إلا أنه إذا فصل بين - قد - والفعل بالقسم فإن ذلك لا بأس به نحو قولك - قد والله

كان ذلك • وقد ^(١) جاء هذا البيت لا خفاء بقبحه •• ومن بديع الاعتراض قول المتنبي

ويحتقر الدنيا احتقار مجرب يرى أن ما فيها وحاشاك فاتيا
وهذا البيت حشو • يصلح أن يكون من باب الحشو ويصلح أن يكون من باب الاحتراس
(قال المصنف عفا الله عنه) ذكر أسامة في بديعه أن الحشو غير المفيد أن تأتي في
الكلام بالفاظ زائدة ليس فيها فائدة مثل قول النابغة
توهمت آيات لها فعرفتها لست أعوام وذا العام سابع
•• وقال آخر

نأت سلمى فعاودنى صداع الرأس والوصب
فقوله - الرأس - حشو لا فائدة فيه لأن الصداع لا يكون إلا في الرأس •• وفي الحماسة
أنبي فتى لم تذر الشمس طالعة يوماً من الدهر إلا ضرراً أو نفماً
فقوله - طالعة - حشو لا فائدة فيه لأن قولهم ذرّت الشمس أى طلعت (قال المصنف
عفا الله عنه) وهذه الكلمات التي ذكرها ليست بزائدة بل لها معان •• فقوله - لست
أعوام وذا العام سابع - فليس بزائد وقد ورد مثله في القرآن وهو قوله تعالى
« ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة » وإنما قال ذلك الذي
تقدم بيانه في باب التقييم وهو رفع اللبس وتقرير المعنى في النفس •• وأما قوله - صداع
الرأس - فهو من الإصابة والشيء ومثل ذلك يتهى في سائر الاعضاء •• وأما قوله - تذر
الشمس طالعة - فهما وإن كانا بمعنى واحد فالعرب من عاداتها أن تكرر لفظين بمعنى
واحد للتأكيد •• كقول الشاعر

* وهند أتى من دونه النأى والبعد *

•• ومنه قوله تعالى « فهمل الكافرين أمهلهم رويداً » •• والذي اقتضاه قول
أسامة وغيره من العلماء أن الحشو على قسمين • قبيح وحسن • فالقبيح ما أشار إليه
أسامة • والحسن ما أشار إليه غيره والله أعلم

(١) يياض بالاصل

- القسم السابع -

(الالتفات)

وهو نقل الكلام من حالة الى حالة أخرى وأرباب هذا الشأن فيه على ثلاثة مذاهب ذهب قوم أنه على ثلاثة أقسام . الأول الانتقال من الغيبة الى الحضور ومن الحضور الى الغيبة كقوله تعالى « مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينِ » وعكسه الذين أنعمت عليهم غير المفضوب عليهم « ولم يقل غير الذين غضبت عليهم . وكذلك قوله تعالى « سبحانه الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » . وقوله تعالى « وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً » . وقوله تعالى « وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا لقد جنتم شيئاً إذًا » ومثله في القرآن كثير ولا يخلو شيء من ذلك من حكم جزئية تليق بذلك الكلام الخاص كما في هذا الموضع وأن القول اذا اشتدل على سوء أدب على عظيم كان الأولى التعبير عنه بلفظ الغائب إذ الاقدام على ذلك قدّام الحاضر أخش وأكثر جرأة والجناب العظيم ينبغي أن يحاشى من ذلك . يبين ذلك قوله تعالى - وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا لقد جنتم شيئاً إذًا - ثم لما أن أراد توبيخهم على هذا القول عبّر عنه بالحضور لأن توبيخ الحاضر أبغ في الاهانة . . الثاني الالتفات من الماضي الى المضارع كقوله تعالى « قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين » . وكذلك قوله تعالى « أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرّجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور » . . الثالث الالتفات من الماضي الى المستقبل وبالعكس كقوله تعالى « فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق » . وقوله تعالى « والله الذي أرسل الرياح فتبهرق سحاباً فسقناه الى بلد مينة فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور » . وقوله تعالى « ويوم يُنفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض » .

وقوله تعالى « وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَخُسِفْنَاَهُمْ فَلَمْ يُفَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا » • وقوله تعالى « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ » ما في السموات • وقوله تعالى « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ » ولا يخلو هذا عن حكمة كما في هذه الآية فإن الكفر لما كان من شأنه إذا حصل أن يستقر حكمه عبر عنه بالماضي ليفيد ذلك مع كونه باقياً أنه قد مضى عليه زمان ولا كذلك الصد عن سبيل الله فإن حكمه انما يثبت حال حصوله لعنى بذلك فهو في كل وقت كافر ما لم يأت بالآيمان ولا كذلك الصد عن سبيل الله ومع ذلك فإن الفعل المستقبل فيه إشعار بالكثير فيكون قوله - ويصدون عن سبيل الله - مشعراً بأنهم في كل وقت كذلك • ولا كذلك لو قال وصدوا لأن ذلك يكون مشعراً بأن صداهم قد انقطع • • وذهب قوم الى أن الالتفات اذا انقطع الكلام يعقبه بجملة ملاقية اياه في المعنى ليكون تمجيداً له على جهة المثل والدعاء أو غيرهما كقوله تعالى « وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا » ومن هذا النوع قول جرير

* مجازيعُ عندَ البأسِ والحرُّ يصبرُ *

• • وذهب قوم الى أن الالتفات هو أن تذكر معنى فتتوهم أن السامع اعترضه شك في ذلك أو في سببه أو علته فتذكر ما يزيل شكك كقول الاخطل

تبيينُ صلاتِ الحربِ منّا ومنهمُ اذا ما التقينا والمسلم يأذنُ

فتبين بقوله - والمسلم يأذن - كيفية ظهور المحارب منه والصحيح القول الاول وما ذكره بعده يجوز أن يكون من أنواع الالتفات • • ومن بديعه قوله تعالى « يَوْسُفُ اعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ » خاطب يوسف بأعرض عن هذا والتفت الى زليخا • ومنه أيضاً قوله عز وجل « حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَبَ بِهَمِّهِمْ رَجْحَ طَيْبَةٍ » • • ومن بديع ما جاء منه في النظم قول امرئ القيس

تطاوَلَ لِيْلُكَ بِالْأَمْدِ وَنَامَ الْخَلْيُ وَلَمْ تَرَقُدِ
وَبَاتَ وَبَاتَتْ لَهُ لَيْلَةٌ كَلَيْلَةِ ذِي الْعَازِ الْأَرْمَدِ
وَذَلِكَ عَنِ خَيْرٍ جَاءَنِي وَخَبَرْتُهُ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ

(قال المصنف عفا الله عنه) ذكر ابن الاثير في جامعه أن الالتفات على ثمانية أقسام
 ٠٠ الاول الرجوع من الغيبة الى الخطاب كقوله تعالى « الحمد لله رب العالمين » الى
 قوله « اياك نعبدُ وإياك نستعين » وانما فعل ذلك لفوائد وهي انه لما ذكر الحقيق بالحمد
 وأجرى عليه تلك الصفات العظام من الربوبية العامة والملك الخاص فعلم المعامُ معلوم
 عظيم الشأن حقيق بالخضوع له والاستعانة به في المهمات فخطب ذلك المعلوم الموصوف
 بتلك الصفات فقيل - اياك نعبد وإياك نستعين - يامن هذه صفاته ٠ والفائدة الأخرى
 أن قوله - اياك نعبد وإياك نستعين - ليس العدول فيه اتساعاً وانما عدل اليه لأن الحمد
 دون العبادة فانك تحمد نظيرك ولا تعبده فلما كان الحال كذلك استعمل لفظ الحمد
 لئوسطه مع الغيبة في الخبر فقال - الحمد لله - ولم يقل لك ولما صار الى العبادة التي هي
 أقصى الطاعات قال - اياك نعبد - تصرّحاً بها وتقرباً منه عزاسمه بالانتهاء الى محدوده
 منها وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال - صراط الذين أنعمت عليهم - فصرح
 بالخطاب لما ذكر النعمة ثم قال - غير المغضوب عليهم - ولم يقل غير الذين غضبت عليهم
 لأن الاول موضع التقرب الى الله بذكر النعمة فلما صار الى ذكر الغضب قال - غير
 المغضوب عليهم - فجاء باللفظ منحرفاً به عن ذكر الغضب فأسند النعمة اليه لفظاً وزوى
 عنه لفظ الغضب تحنناً ولطفاً ٠٠ ومن هذا الجنس قوله تعالى « الحمد لله الذي لم يتخذ
 ولداً » وشبهه ٠٠ الثاني الرجوع من الخطاب الى الغيبة كقوله عز وجل « هو الذي
 يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم برح طينة وفرحوا بها »
 الآية صرف الكلام هنا من خطاب المواجهة الى الغيبة وانما فعل ذلك وهو أنه
 ذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها كالخبر لهم ويستدعي منهم الانكار عاينهم والتقييح لفعلهم
 ولو قال - حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بكم - وساق الخطاب الى آخر الآية لذهبت
 تلك الفائدة التي أنتجها خطاب الغيبة ٠٠ ومن ذلك قوله تعالى « إن هذه أمتكم
 أمة واحدة وأنا ربكم فاقنوا ففقطوا أمرهم بينهم » الاصل أن يعطف على الفعل
 الاول الا أنه صرف الكلام من الخطاب الى الغيبة على طريقة الالتفات كأنه ينعي
 عليهم ما أفسدوه الى قوم آخرين ويبيح عليهم ما فعلوه ويقول ألا ترون الي عظيم

ما ارتكب هؤلاء في دين الله فجعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً وذلك من أجل الاختلاف فيهم وتباينهم ثم توعدهم بعد ذلك بأن هؤلاء الفرق المختلفة إليه يرجعون فهو مجازيهم على ما فعلوه . . . ومما يخطر في هذا السلك أيضاً قوله تعالى « يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً الذي له ملكُ السموات والأرض » الى « وكلمته » الآية . فانه انما قال « قَامِنُوا بِاللَّهِ رَبِّي » حيث قال أولاً - إني رسول الله اليكم - لكي تجرى عليه الصفات التي أجريت عليه وليعلم أن الذي وجب الايمان به والاتباع له هو هذا الشخص المستقبل بأنه النبي الأُمِّي الذي يؤمن بالله وكلماته كأنما من كان أنا أو غيري اضطراراً للنصفة وبعداً للتعصب لنفسه فقرر أولاً في صدر الآية بأنه رسول الله الى الناس وأثبت ذلك في أنفسهم ثم أخرج كلامه من الخطاب الى الغيبة لغرضين كبيرين قد ذكرتهما .

• الاول اجراء تلك الصفات عليه . الثاني الخروج من تهمة العصية لنفسه فافهم ذلك .

• الثالث الرجوع من الفعل المستقبل الى فعل الامر فعل ذلك تعظيماً لمن أجرى عليه الفعل المستقبل وتفخيماً لأمره وبالضد من ذلك في حق من أجرى عليه فعل الأمر .

فما جاء من ذلك قوله تعالى « قالوا يا هودُ ما جئتنا ببينةٍ وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين » الى قوله « ما تشركون » الآية . فانه انما قال - أشهدُ الله واشهدُوا - ولم يقل - وأشهدكم ليكون موازياً له ومعناه لان إشهاد الله على البراءة من الشرك صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده وأما اشهادهم فما هو إلا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم ولذلك عدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الامر كما تقول لارجل تهكماً به واستهانة - أشهد على أني أحبك - وأمثال هذا كثير فاعرفه . . الرابع الرجوع من خطاب التنبيه الى خطاب الجمع ومن خطاب الجمع الى خطاب الواحد . فن ذلك قوله تعالى « وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصرَ بيوتاً واجعلوا بيوتهما قبلةً واقموا الصلاة وبشرا المؤمنين » ^(١) فانه توسع في هذا الخطاب فتى ثم جمع ثم وحد فخطب موسى وهارون في ذلك عليهما السلام بالتبوء والاختيار في ذلك مما يفوض الى ثم ساق

(١) بهامش الاصل ما نصه . . . لعله خطاب لهما ولهم كتبه أبو الوفا

الخطاب لهما ولقومهما بأنخاذ المساجد وإقامة الصلاة لأن ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى صلى الله عليه وسلم بالبشارة التي هي الغرض تعظيماً له وتفخياً لأمره لانه الرسول على الحقيقة . . ومن هذا النحو قوله تعالى حكاية عن حبيب النجار « وما لى لا أعبدُ الذى فَطَرَنى واليه تُرْجَعُونَ » هذا عدول عن خطاب الواحد الى خطاب الجماعة وإتمام الكلام عن خطاب نفسه الى خطابهم لانه أفرد الكلام لهم في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم لتلطفه بهم ومداراتهم فان ذلك أدخل في إحاض النصيح حيث لا يريد لهم الا ما يريد لنفسه وقد وضع قوله - وما لى لا أعبد الذى فطرني - موضع قوله وما لكم لا تعبدون الذى فطركم الا ترى الى قوله « واليه ترجعون » ولولا أنه قصد ذلك لقال الذى فطرني واليه أرجع وقد ساقه ذلك المساق الى أن قال « إني آمنتُ بربكم فاسمعون » يريد فاسمعوا قولي وأطيعون فقد نهتكم على الصحيح الذى لا معدل عنه لان العبادة لا تصح الا لمن منه مبدؤكم واليه ترجعون . . الخامس الاخبار عن الفعل الماضى بالمضارع وهو قسم من الالتفات لطيف المأخذ دقيق المغزى (اعلم) ان الفعل المضارع اذا أتى به فى حالة الاخبار عن وجود كان ذلك أبلغ من الاخبار بالفعل الماضى وذلك لان الفعل المضارع يوضح الحال التى يقع فيها ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يسمعها ويشاهدها وليس كذلك الفعل الماضى . . فمأجاء منه قوله تعالى « والله الذى أرسل الرياح فتثيرُ سُحَاباً فُسُقِنَاه الى بَلَدٍ مِيتٍ فَأَحْيَيْنَا به الارضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ » فانه انما قيل - تثير - مضارعاً وما قبله وما بعده ماضٍ لذلك المعنى الذى أشرنا اليه وهو حكاية الحال الذى يقع فيها إثارة الريح للسحاب واستحضار تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة وهكذا يفعلون بكل فعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب أو تهمل المخاطب أو غير ذلك . . ومنه قول تأبطشراً

لَقِيتُ الْغُولَ تَهْوِيْ نَحْوِ وَجْهِى بِقَنْزٍ كَالصَّحِيفَةِ مَحْصَحَانِ

فَأَضْرِبُهَا بِلَا دَهْشٍ نَحْرَتِ صَرِيحاً لِلْيَدَيْنِ وَاللِّجْرَانِ

لانه قصد أن يصور صورة الحال التى تشجع فيها على ضرب الغول كأنه يُبصرهم ويطاعهم على كنهها مشاهدة لا تعجب من جراته على ذلك الغول وثباته عند تلك الشدة ولو قال

فضربتها لزال تلك الفائدة التي ذكرناها ونبينا عليها . ومن ذلك قوله تعالى « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فنصبه الأرض مخضرةً إن الله لطيفٌ خبير » ألا ترى كيف عدل عن لفظ الماضي هاهنا إلى المضارع فقال - فنصبح الأرض مخضرة - وذلك لافادة بقاء المطر زماناً بعد زمان كما قال - أنعم على فلان عام كذا فأرواح وأغدو شاكرآ - ولو قال فرحت وغدوت شاكرآ له لم يقع ذلك الموقع فافهم ما أشرنا إليه . السادس الاخبار بالفعل الماضي عن المضارع وهو عكس ما تقدم ذكره وفائدته أن الفعل الماضي اذا أخبر به عن الفعل المضارع الذي لم يوجد كان أبلغ وآكد وأعظم موقعاً وأنغم شأننا لان الفعل الماضي يعطى من المعنى أنه قد كان ووجد وحدث وصار من الامور المقطوع بكونها وحدوثها . والفرق بينه وبين الاخبار بالفعل المضارع عن الماضي هو أن الفعل الماضي يخبر به عن المضارع اذا كان الفعل المضارع من الاشياء الهائلة التي لم توجد والامور المتعاطفة التي تحدث فيجعل عند ذلك مما قد كان ووُجد ووقع الفراغ من كونه وحدوثه . وأما الفعل المضارع اذا أخبر به عن الفعل الماضي فان الغرض بذلك شيان هيئة الفعل واستحضار صورته ليكون السامع كأنه يعاينها ويشاهدها . فنرى الاخبار بالفعل الماضي عن المضارع قوله تعالى « ويوم يُنفخ في الصورِ ففزع من في السموات ومن في الارض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين » فانه انما قال - ففزع - بلفظ الماضي بعد قوله - ينفخ - وهو مستقبل للاشعار بتحقيق الفزع وثبوته وانه كائن لا محالة واقع على أهل السموات والارض لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعاً به . ومنه قوله تعالى « وبرزوا لله جميعاً » فبرزوا بمعنى يبرزون يوم القيامة وانما جيء به بلفظ الماضي لان ما أخبر الله به لصدقه وصحته كأنه قد كان ووجد . ومثل ذلك قوله عز وجل « أتى أمرُ الله فلا تستعجلوه » فان - أتى - هاهنا بمعنى أتى وانما حسن فيه لفظ الماضي لصدق اثبات الامر ودخوله في جملة ما لا بد من حدوثه ووقوعه فصار يأتي بمنزلة قد أتى ومضى . وكذلك قوله تعالى « ويوم نُسيرُ الجبال وترى الارض بارزةً وحشرناهم فلم نُغادر منهم أحداً » فانه انما قال - وحشرناهم - ماضياً بعد - نسير - وترى - وهما مستعملان للدلالة على أن حشرهم

قبل التسيير والبروز ليعاينوا تلك الاهوال كأنه قال وحشرناهم قبل ذلك .. السابع
الاخبار باسم المفعول عن الفعل المضارع وانما فعل ذلك لتضمنه معنى الفعل الماضي وقد
سبق الكلام عليه .. فن ذلك قوله تعالى « إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب
الآخرة ذلك يومٌ مجموعٌ له الناسُ وذلك يومٌ مشهودٌ » فانه انما آراسم المفعول هاهنا
على الفعل المضارع لما فيه من الدلالة على ثبات معنى الجمع وأنه لابد من أن يكون ميعاد
مضروباً لجمع الناس وأنه الموصوف بهذه الصفة وان شئت فوازن بينه وبين قوله تعالى
« يومَ يجمعكم ليومِ الجمعِ ذلك يومُ التغابنِ » فانك تعثر على صحة ما قلت .. الثامن
عكس الظاهر وهو أن العرب قد توسعوا في كلامهم وتجاوزوا الى غاية فيذكر كلاماً
يدل ظاهره على معنى وهم يريدون به معنى آخر عكسه وخلافه والاصل في ذلك أنك
تذكر كلاماً يعطى معناه أنه نفي لصفة شيء قد كان وهو نفي الموصوف أنه ما كان أصلاً
.. فن ذلك قول علي رضي الله عنه في وصفه مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه لا تأتي فئاته أى لا تداع فظاهر ذلك أن ثم فئات غير أنها لا تداع وليس المراد
ذلك بل المراد أنه لم يكن ثم فئات أصلاً فتداع وهذا مثل قول الشاعر

* لا ترى الضبَّ بها ينجحُرُ *

أى ليس بها ضب فينجحُر

القسم الثامن

(الحمل على المعنى)

وذلك كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث وتصور معنى الواحد للجماعة والجماعة للواحد
وحمل الثاني على لفظ الاول أصلاً كان ذلك اللفظ أو فرعاً أو غير ذلك .. وقد ورد
في القرآن العظيم وفصيح الكلام منشوراً ومنظوماً من ذلك كثير .. فأما تأنيث

المذكر فكقوله تعالى « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة »
والمراد به آدم عليه السلام وأنت زدّا الى النفس وقرئ في الشواذ من نفس واحد
.. ومنه قوله تعالى « واذ قالت الملائكة » والقائل جبريل عليه السلام وله نظائر
كثيرة في القرآن .. ومنه قول الشاعر

أبوك خليفةٌ ولدتهُ أخرى وأنت خليفةٌ ذاك الكمال

.. وقال آخر

* طول الليالي أسرعُ في نقضي *

.. وقال آخر

أتهجرُ بيتاً بالحجازٍ تَلَفَعْتَ به الخوفُ والأعداءُ من كلِّ جانب

.. وقال آخر

يا أيها الراكبُ المُرْجِي مَطِيَّتُهُ سائلُ بني أسدٍ ما هذه الصَّوْتُ

فانه ذهب بالصوت الى الاستغاثة وذهب الآخر بالخوف الى المخافة .. وأما تذكر
المؤنث فقد كثر عن العرب تأنيث فعل المضاف المذكر اذا كانت اضافته الى مؤنث
فكان المضاف بعض المضاف اليه أو به أو منه ولذلك قرئ قوله تعالى « لا تنفَعُ نفساً
إيمانها » بالتأنيث فأنث فعل الايمان اذ كان من النفس وبها . وأمثال هذا كثير في
القرآن .. ومنه قول الشاعر

لما أتى خبرُ الزبيرِ تواضعتُ سورُ المدينةِ والجبالُ الخشعُ

.. وقول الآخر

* كما شرقتْ صدرُ القنّازِ من الدّم *

٥- القسم التاسع -

(الزيادة في البناء)

وهو أن يقصد المتكلم معنى يغير عنه لفظتان إحداهما أزيد بناء من الأخرى فيذكر الكلمة التي تزيد حروفها عن الأخرى قصداً منه إلى الزيادة في ذلك المعنى الذي عبر عنه ولهذا إن اعشوشب واخشوشن في المعنى أكثر وأبلغ من خشن وأعشب ولهذا وقعت الزيادة بالتشديد أيضاً فإن ستر أبلغ من سائر وغفار أبلغ من غافر ولهذا قال سبحانه وتعالى « استغفروا ربكم إنه كان غفاراً » . ومنه قوله تعالى « وكان الله على كل شيء مقتدرًا » يدل عن قادر إلى مقتدر ليشعر بالزيادة على زيادة قدرة الله تعالى والبيان عن عظم شأنه . . ومن هذا المعنى قول أبي نواس

ف عفوت عن عفوة مقتدر أحات له نعم فأنعاه

والعرب عادت أن تزيد في بناء الاسم ليشعر بزيادة المعنى الدال عليه . . قال الزمخشري رحمه الله رأيت أعرابياً بالحجاز يسوق جملاً عليه شقذف فقلت ما اسم هذا فقال شقذف ثم مررنا جبل عليه كجاوة فقلت ما اسم هذا فقال شقذاف فزاد فيه لكون الكجاوة أكبر وأعلى في القدر والنتيجة . وقد رجح بعض أهل المعاني « الرحمن على الرحيم » لما فيه من زيادة البناء وهو الألف . ومثل هذا في كلام العرب كثير ليس هذا موضع استقصائه

- القسم العاشر -

(الاطالة والاسهاب . ويسمى الاطناب . والكلام عليهما من وجوه)

الاول في ذكر الغرض الذي أتى بهما من أجله . الثاني في حقيقتهما ومجازهما .

الثالث في اختلاف علماء البيان فيهما • الرابع فيما يستحسن فيهما وما يستنبج •
الخامس في أقسامهما • السادس في الفرق بينهما (أما الاول) فإن العرب جرت سنتهم
على ذلك في خطبهم ومخاطباتهم ومفاخراتهم ومقالاتهم يقصدون بذلك اظهار قدرتهم
على الكلام وتوسيعهم في النثر والنظام فيوجزون تارة ويطنلون أخرى هذا في الحقيقة
وأما في الجاز فترادهم الدلالة على قوة مشاهدة المعنى المجازى •• وقال ابن الاثير أنى
بالاطلة والاطناب للمبالغة والمبالغة تنقسم الى أقسام كثيرة وقد سبق ذكر شئ منها
كالإخبار بالفعل الماضى عن المضارع وبالمضارع عن الماضى ومن جملة أقسام المبالغة
الاطناب وفائدته زيادة التصور للمعنى المقصود إما حقيقة أو مجازاً وهو على الحقيقة
ضرب من ضروب التأكيد (وأما الثانى) فحقيقة الاطالة الامتداد والاسترسال وأصله
في الاجرام •• وأما الاطناب فحقيقته لغة الزيادة والمبالغة وأما حقيقته الصناعية فهو
زيادة في اللفظ لتقوية المعنى •• فأما ما جاء من ذلك على سبيل الحقيقة فقوله تعالى
« ما جعلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلِيلَيْنِ فِي جَوْفِهِ » فإن الفائدة في قوله - في جوفه -
كالفائدة في قوله - القلوب التى فى الصدور - وذلك لما يحصل للسامع من زيادة التصور
المطلوب عليه لانه اذا سمع صور لنفسه جوفاً يشغل على قليلين وكان ذلك أسرع الى
الانكار •• وأما الذى جاء منه على سبيل المجاز فنه • قوله تعالى « فانها لا تسمى الأبصار »
ولكن تسمى القلوب التى فى الصدور » ففائدة ذكر - الصدور - هاهنا أنه قد يعرف أن
العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو مصاب الحديقة بما يطمس نورها واستعماله فى القلب
استعارة ومثل فلما أريد اثبات ما هو بخلاف المتعارف من نسبة العمى الى القلوب حقيقة
ونفيه عن الأبصار احتاج هذا الأمر الى زيادة تصوير وتعريف ليتقرر أن مكان العمى
إنما هو القلوب لا الأبصار • وهذا نوع من أنواع البيان عظيم الاطائف كثير المحاسن
(وأما الثالث) فقد اختلف علماء البيان فيهما فقال المحققون انهما متغايران •• وقال
أبو هلال العسكري الاطلة والاطناب سواء وهما عنده ضد اليجاز ووافقه جمهور الائمة •
وقال أبو هلال أيضاً فى كتابه الاطناب فى الكلام انما هو بيان والبيان لا يكون إلا بالانواع
وأفضل الكلام أبينه والايجاز للاخواس والاطناب يشترك فيه الخواص والعوام ولهذا

أُتنب في الحذب السلطانية لفهام الرعايا . وكما أن الإيجاز له مواضع فكذلك الاطناب له مواضع والحاجة الى الإيجاز في موضعه كاللحاجة الى الاطناب في موضعه . قال النبي صلى الله عليه وسلم - خاطبوا الناس على قدر عقولهم - ومن استعمل الإيجاز في موضع الاطناب والاطناب في موضع الإيجاز فقد أخطأ فلا شك أن الكتب الصادرة عن السلطان في الامور العظيمة في الفتوح وتفخيم مواقع النعم المتجددة أو في الترغيب في الطاعة والتحذير من العصيان وغير ذلك ينبغي أن تكون مشبعة مستقصاة . وأما كتاب المهلب الى الحجاج في فتح الازارقة وهو - الحمد لله الذي كفى الاسلام فقد ما سواه وجعل الحمد متصلاً بنعمه وقضى أن لا يقطع المزيد من فضله حتى ينقطع الشكر من خلقه ثم انا وعدونا على حالين مختلفين نرى فيهم ما يسرنا أكثر مما يسوؤنا ويروون فينا ما يسوؤهم أكثر مما يسرهم فلم يزل ذلك دأبنا ودأبهم ينصرنا الله ويخذلهم ويمحصنا ويمحقهم حتى باغ الكتاب أجله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين - فإما حسن هذا الكتاب لكونه في موضعه . وأما لو كُتب الى العامة وقد تطلعت نفوسهم الى معرفة ذلك الفتح العظيم وتصرفت بهم ظنونهم في أمره لجاء في أقبح صورة عندهم وأعجبها . واعلم أن الاطناب بلاغة والتطويل عيٌّ فإن الاطناب بمنزلة سلوك طريق بعيدة تحتوى على زيادة فائدة بما تأخذ النفس منه من اللذة والتطويل بمنزلة شكوك ما يبعد جهلاً بما يفوت فهذا حكاية كلام أبي هلال العسكري . . . وقد ذكر ابن الاثير في جامعه على قول أبي هلال مأخذاً فقال أما قول أبي هلال الاطناب في الكلام انما هو بيان فإن البيان في أصل اللغة هو الظهور والوضوح فيكون الاطناب على قوله ظهوراً في الكلام ووضوحاً لا غير ويلزم على ذلك أن كل كلام ظاهر واضح اطناباً سواء كان ذلك الكلام إيجازاً أو غيره من أصناف علم البيان وهذا مما لم يذهب اليه أحد لأن أبا هلال قد جعل الاطناب وصفاً من الاوصاف التي يشترك فيها جميع ضروب الكلام وذلك أن البيان وصف يعم كل كلام ظاهر واضح من إيجاز أو تطويل أو تكرير أو غير ذلك وليس الامر كما وقع له بل الاطناب نوع واحد من أنواع الكلام فإن أصله في وضع اللغة من أُننب في الكلام اذا بالغ فيه كما تقدم (الرابع) فيبايستحسن

ففيهما وما يستقبح . أما الذي يستقبح منهما فهو أن يُطنب فيما لا ينبغي فيه الاطناب ويطول فيما ينبغي فيه الاجاز أو يطول فيما ليس في اطالته فائدة ولا فيه زيادة معنى كما روى أن رجلاً استدعى لأداء شهادة على نكاح فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وأشهد أني كنت في يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا في الدار الفلانية (ووصفها) من الحارة الفلانية (ووصفها) وسمى الساكنين بها من البلد الفلاني وقت كذا من النهار وقد طرق الباب غلام وذكر جنسه وأوصافه وحكاية تطول جداً . . وهذا النوع من الاطالة ليس في القرآن العظيم منه شيء . وأما الذي يستحسن منهما فهو اطالة الكلام وترديده لتقوية المعنى في النفس وتعظيمه والبيان قوة الملكة في التأمل بالكلام أو لكون المخاطب لا يصل الكلام الموجز الى فهمه فهو محتاج الى بسط الكلام واتساعه حتى يفهم (الخامس) في أقسامهما . أما أقسام الاسهاب والاطناب فقد اختلف فيه علماء علم البيان فقالوا لا يخلو إما أن يكون في جملة واحدة أو في جل . . فأما الذي في جملة واحدة فعلى قسمين . حقيقة ومجاز . أما الحقيقة فقد يكون معنى اللفظ الزائد هو معنى المذكور ويكون مغايراً له . أما الأول فكقوله تعالى « فاذا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ وَحُمَاتِ الْأَرْضِ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتْ دَكَّةً وَاحِدَةً » . وكقوله تعالى « أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى » . وكقوله تعالى « تلك عشرة كاملة » . وأما الثاني فكقوله تعالى « ما جعل الله لرجلٍ من قلوبين في جوفه » . وكقوله تعالى « إذ تَأْقُونَهُ بِأَسْئِمِكُمْ وتقولون بأفواههم » . وكقوله تعالى « نَحَرٌ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ مِنْ فَوْقِهِمْ » . . وأما المجاز فكقوله تعالى « فانها لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ » واستعمال هذا مجازاً أحسن . . وأما الذي في الجمل فأقسامه أربعة . الاول أن تذكر أشياء كل واحد منها يخص بما لولاه لكان المفهوم من الكل واحداً كقول أبي تمام

مِنْ مَنَّةٍ مَشْهُورَةٍ وَصَنِيعَةٍ بِكَرٍّ وَإِحْسَانٍ أَعْرَ حَجَلٍ

ولو قال - من منة وصنيعة واحسان - كان المعنى واحداً . وكذلك قوله

ولمَّا سَجَّيَاتٍ تُصِيفُ صُيُوفُهُ وَبُرْجِي مَرْجَبِهِ وَيُسَالُ سَائِلُهُ
وكل هذه دلالة على زيادة كرمه .. والثاني الاثبات والنفي وهو أن يذكر الشيء اثباتاً
ونفيّاً مع زيادة لولاها لكان ذلك تكراراً وتناقضاً كقوله تعالى « ولكنّا أَكْثَرُ
النّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ » . وكذلك
قوله تعالى « لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ » مع قوله « إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَآرَبَاتِ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ » .. الثالث أن تذكر الشيء ثم
تضرب له أمثالا تشتهى كقول البحترى يصف امرأة

ذاتُ حُسْنٍ لَوْ اسْتَزَادَتْ مِنَ الْحُسْنِ إِلَيْهِ لَمَّا أَصَابَتْ مَرْيَدًا
فهي كالشمس بهجة والقضيب اللدن قدأ والرّيم طرفاً وجيدا
.. وكذلك قوله

تَرَدَّدَ فِي مُحَلَّتِي سُودَدٍ سَمَاحًا مَرْجَاً وَبَاسًا مَهِيَا
وَكَالسَيْفِ إِنْ جَشَّتْهُ صَارِخًا وَكَالْبَحْرِ إِنْ جَشَّتْهُ مُسْتَبِيَا

.. الرابع الاستقصاء في ذكر أوصاف الشيء للمدح أو الذم. ونحوها كقول بعضهم
لأعلا الورى قدراً وأوفرهم حجباً وأرشدهم رأياً وأسمحهم يداً
.. وأما الاطالة فهي على قسمين . حسنة . وقبيحة . كما تقدم .. فأما الحسنة فهي
على قسمين . الاول منها ما يكون بسطاً للكلام واتساعاً فيه كما ورد في القرآن العظيم
مثل قصة يوسف عليه الصلاة والسلام بطولها وقصة أصحاب الكهف بذكر فروعها
وأصولها وقصة الخضر مع موسى عليهما الصلاة والسلام وكثرت فوائد محمولها وقصة
ذي القرنين بطول مقولها وقصة موسى مع فرعون وكثرة فصولها . الثاني أن لا تكون
الاطالة بسبب تكرار اللفظ وهنحن نذكر أقسامه ونبيّن ان شاء الله تعالى (السادس)
في الفرق بينهما . والفرق بينهما أن الاطناب على سائر أحواله بلاغة والتطويل بعضه
عنى وركاكة .. وقال ابن الاثير الاطناب للخواص والاطالة للعوام . وهذا يحتاج الى
تفصيل وقد تقدم

القسم الحادى عشر

(التكرار والكلام فيه من وجوه)

الأول في حقيقته . الثانى في ذكر الفائدة التى أتى به من أجلها . الثالث في أقسامه . الرابع في ذكر ما يتبها فيه التكرار الحسن منه والقيح (أما الأول) حقيقة التكرار أن يأتى المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء كان اللفظ متفق المعنى أو مختلفاً أو يأتى بمعنى ثم يعيده وهذا من شرطه اتفاق المعنى الأول والثانى فإن كان متحداً الاتفاق والمعانى فالفائدة في إثباته تأكيده ذلك الأمر وتقريره في النفس وكذلك إذا كان المعنى متحداً . وإن كان اللفظان متفقان والمعنى مختلف فالفائدة في الاتيان به الدلالة على المعنيين المختلفين (وأما الثالث) فأقسامه ثلاثة . الأول ما يتكرر لفظه ومعناه متحد . الثانى ما يتكرر لفظه ومعناه مختلف . الثالث ما يتكرر معنى لا لفظاً . . . أما ما يتكرر لفظه ومعناه متحد فنه قوله تعالى « فقتل كيف قذر ثم قتل كيف قذر » . وكقوله تعالى « أولئك الذين كفروا برّبهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » . كرر - أولئك - وكذلك قوله تعالى « أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » . وكذلك قوله تعالى « فلما أن أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لِّهِمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمَصْلُوحِينَ » . كرر - أن - في أربعة مواضع تأكيده . وكذلك قوله تعالى « قل إني أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ » ومثله في القرآن كثير . . . ومن هذا النوع قول الشاعر

* أَلَا يَا سَلَمَى ثُمَّ اسْلَمَى نَمَّتْ اسْلَمَى *

والغرض من هذا المبالغة في الدعاء لها بالسلامة . وقد يكرر القول طلباً لدوام تذكر الارهاب كما كرر في سورة الرحمن « فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ » وقد يكرر اللفظ

ايضاً ليتصل أول الكلام بآخره اتصالاً جيداً كما في قوله تعالى « ثم إن ربك للذين
 عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ »
 • ومن ذلك الآية التي قبل هذه الآية • ومن ذلك قوله تعالى « إني رأيتُ أحدَ عشرَ
 كوكباً والشمسَ والقمرَ رأيتُهُم لى ساجدين » • • وأما ما تكرر لفظه ومعناه مختلف
 فيه قوله تعالى « وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحَقِّقَ
 الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ » فان المقصود بقوله - يحق الحق - بيان ارادته وبقوله
 - ليحق الحق - الثانية لقطع دابر الكافرين ونصر المؤمنين عليهم • وكذلك قوله
 تعالى « لَا أُعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أُعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا تُعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ
 عَابِدُونَ مَا أُعْبُدُ » معناه لا أعبد في المستقبل ما تعبدونه أنتم الآن ولا أنتم تعبدون في
 المستقبل ما أنا عابده ولا أعبد قط ألستم حتى أكون الآن عابداً لما تعبدون ولا أنتم
 عبيتم قط إلهي حتى تكونوا له الآن عابدين • • ومن ذلك قوله تعالى « وإذا طلقتم
 النساءَ فبلغنَّ أَجَلَهُنَّ فَأَسْكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ » الى قوله في
 الآية الأخرى التي بعدها « وإذا طلقتم النساءَ فابغنَّ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضَاوُهُنَّ » فكرر
 - باغن - لاختلاف البلوغين • • وأما قوله تعالى « وقانا اهبطوا ببعضكم لبعض عدوٍّ » ثم
 قال « قانا اهبطوا منها جميعاً » فقد قيل إنه من باب تكرير اللفظ والمعنى وقيل هو من باب
 تكرير اللفظ لا المعنى لاختلاف الهبوطين فان الهبوط الأول كان من الجنة الى سماء الدنيا
 والهبوط الثاني كان من سماء الدنيا الى الارض وفي القرآن العظيم من هذين القسمين
 كثير • • وأما تكرار المعنى دون اللفظ فهو إما أن يكون بين المعنيين مخالفة ما أو
 لا يكون كذلك • والذي يكون بينهما مخالفة إما أن يكون أحدهما أعم أو لا يكون
 كذلك • فأما ما يكون أحدهما أعم فكقوله تعالى « ولتكن منكم أمةٌ يدعون الى
 الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » فان الدعوى الى الخير أعم من الأمر
 بالمعروف • وكذلك قوله تعالى « فيهما فاكهةٌ ونخلٌ ورُمَّانٌ » وكذلك قوله تعالى
 « حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى » ومثاله في الشعر كثير • قال الشاعر
 إذا أكلوا الحمى وفرت لحومهم وإن هدما مجددي بنيت لهم مجداً

وإن ضيموا عهدى حفظتُ عهدَهُمْ وإن هم هَوَّأ نَحْي هَوَيْتُ لَهُمْ رُشْدَا
والفرض بهذا زيادة تأكيده الخاص .. وأما الذى لا يكون أحد المعنيين أعم فكقول
حاطب بن أبى بلتعة - والله يا رسول الله ما فعلتُ ذلك كُفْراً ولا ارتداداً عن دين
ولا رضى بالكفر بعد الاسلام .. وأما الذى لا يكون بين المعنيين مخالفة فكقوله تعالى
« وَإِنْ تَمَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَفَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » . وكذلك قوله تعالى
« فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ » .. وكذلك
قول الشاعر

نَزَلْتُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ شَاتِيَاً بعيداً عن الأوطانِ في زمنِ المَحَلِ
فَإِذَا لَبِى إِكْرَامُهُمْ وَافْتِقَادُهُمْ وإِحْسَانُهُمْ حَتَّى حَسِبْتُهُمْ أَهْلِي

هذا ما يكون من التكرار لفائدة .. وقال ابن الأثير فى جامع التكرار فى المعنى على
قسمين • مفيد • وغير مفيد • فافيد نوعان • الاول اذا كان التكرار فى المعنى يدل
على معنيين مختلفين كدلالاته على الجنس والعدد وهو من باب التكرير مشكل لانه
يسبق الى الوهم أنه تكرير محض يدل على معنى واحد فقط وليس كذلك .. فما جاء
منه قوله تعالى « وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهِينَ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ » ألا ترى أن
العرب انما جمعت بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندى رجال
ثلاثة وأفراس أربعة لأن المعدود عار عن الدلالة على العدد المخصوص • فأما رجل
ورجلان وفرس وفرسان فعدودات فالفائدة اذاً فى قوله - إلهين اثنين • وإله واحد -
هو أن الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية يدل على الجنسية والعدد المخصوص فاذا
أريدت الدلالة على أن المعنى به واحد منهما وكان الذى يساق اليه الحديث هو العدد
شَفِيع بما يؤكده فدل به على أن القصد اليه والعناية به ألا ترى أنك لو قلت - انما هو
إله - ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل أنك تثبت الالهية لا الوحدانية وهذا باب من
باب تكرير المعانى وعمر المسلك دقيق المغزى وبه تحل مسائل مشكلات من التكرير
فاعرفة .. ومن هذا النحو اذا كان التكرير فى المعنى يدل على معنيين أحدهما خاص
والآخر عام كقوله تعالى « وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ »
(١٥ - فوائد)

ويُنهَوْنُ عن التكرار الآية فان الأمر بالمعروف داخل تحت الدعاء الى الخير لأن
الأمر بالمعروف خاص والخير عام فكل أمر بالمعروف خير وليس كل خير أمراً بالمعروف
لأن الخير أنواع كثيرة من جللتها الأمر بالمعروف . ففائدة التكرير هاهنا أنه ذكر
الخاص هاهنا ذكر العام للتنبيه عايه لفضله كقوله تعالى « حافظوا على الصلوات والصلوة
الوسطى » الآية . وأمثال ذلك كثيرة فاعرفها . . النوع الثاني من الضرب الاول من
القسم الثاني اذا كان التكرير في المعنى بدل على معنى واحد وقد سبق مثاله في أول
هذا الباب كقولك أظن ولا تعصني لأن الأمر بالطاعة نهى عن المعصية . والفائدة
في ذلك تثبيت الطاعة في نفس المخاطب وتقرير لها في قلبه . والكلام في هذا الموضع
من التكرير كالكلام في الموضع الذي قبله من تكرير اللفظ والمعنى اذا كان المراد به
عرضاً واحداً فاعرفه . . الضرب الثاني من القسم الثاني في تكرير المعنى دون اللفظ وهو
غير المفيد . فن ذلك قول ابن هاني انغربي

سارت به صنع القصاصد مُرَدّاً فكأنما كانت صباً وقبولا

فكانه قد قال - فكأنما كانت صباً - لأن الصبا هي القبول . وليس ذلك مثل
التكرير في قوله تعالى - حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى - فيما يرجع الى تكرير
اللفظ والمعنى ولا مثل التكرير في قوله تعالى - ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير
ويأمرون بالمعروف - فيما يرجع الى تكرير المعنى دون اللفظ لأن كل واحدة من هاتين
الآيتين يشغل على معنيين خاص وعام . وقول ابن هاني - صباً وقبولا - لا يعطى
إلا معنى واحداً لا غير وهذا لا يخفى على العارف بصناعة التأليف . . ومن هذا النحو
قول الصابي في كتاب - وصل كتابك بعد تأخير وإبطاء وانتظار له واستبطاء فان
التأخير والاستبطاء بمعنى واحد وقد يكون لهذا وجه في التجوز وهو التقرير في نفس
المخاطب لبعده الأمد وتطول المدة في انقطاع كتابه عنه وذلك مما لا بأس به في هذا الموضع
• وأمثال هذا كثير فاعرفه (وأما الرابع) فالذي يتهيا التكرار أسماء . وأفعال .
وحروف . ومعان . وقد تقدم الكلام على الاسماء والأفعال والمعاني . . وأما الحروف
فهي على قسمين . حسنة . وقبيحة . . فأما الحسنة فهي كما التزمه الحريري في رسالته

السينية والشينية كرر السين في كل كلمة في السينية والشين في الشينية . وكما التزمه الحصري في أول معشراته من حروف المعجم . وكما التزمه الفازازي في عشرياته . وانما حسن هذا النوع لأن فيه دليلاً على قوة الملكة في الكلام والقدرة على التلاعب بحروفه في النثر والنظام وهو من باب لزوم ما لا يلزم وسيأتي بيانه . . . وأما القبيحة فكثرة حروف تكسب الكلام عجرفة وتكسوه قلقاً حتى يصعب النطق به ويذهب رونق الكلام بسببه كقول الشاعر

وقبرُ حربٍ بمكانٍ قفرٍ وليس قُربُ قبرٍ حربٍ قبرُ

(وأما الخامس) في الحسن منه والقبيح . . فأما الحسن منه فقد تقدم . . . وأما القبيح فهو التكرار العاري عن الفائدة وهو لا يخلو إما أن يكون في المعنى وحده أو في المعنى واللفظ معاً . أما الأول فقد أعابه بعضهم مطلقاً وبعضهم فصل فأعابه على النثر وعلى الناظم إذا فعله في صدر البيت وأما إذا فعله في عجزه فليس ذلك بعيب إذ قد يضطر لأجل القافية والوزن كقول المتنبي

بجرته تعوذُ أن يذمَّ لأهله من دهره وطوارقِ الحدَثانِ

والدهر وطوارق الحدَثان بمعنى واحد . . . وكذلك قيل من قال

إني وإن كان ابنُ عمِّي عائلاً لمصادقٍ من خلفه وورائه

. . . وأما الثاني فقد اتفق على قبحه وهو كقول مروان

سقا اللهُ نجداً والسلامُ على نجدٍ ويا حبيذاً نجدُ على النأي والبُعدِ

نظرتُ إلى نجدٍ وبُعداً دُونها لعلِّي أرى نجداً وهيأت من نجدِ

. . . وكذلك قول أبي نواس

أقنأ بها يوماً ويوماً وثالثاً ويوماً له يومُ الترحلِ خامسُ

. . . وكذلك قول المتنبي

ولم أرَ مثلَ جيراني ومثلي لثلى عندَ منيلهم مقامُ

. . . وأقبح من ذلك قوله

وقلقتُ بالهم الذي قلقتُ الحنى قلاقلَ عيسٍ كلهم قلاقلُ

•• وقال ابن الأثير قال الواحدى فى شرحه لشعر أبى الطيب المتنبي انه لا يلزمه من هذا عيب وانه قد جرت عادة الشعراء بمثل ذلك كقول أبى منصور الثعالبي
 واذا البلابلُ أطربتْ بهديلها فانفِ البلابلُ باحتساء بلابلِ
 والصحيح أنه مستنقل وأخطأ الواحدى فى الاعتذار عنه وفى تمثيله بيت الثعالبي وبيان ذلك أن بيت أبى الطيب قد ورد فيه ذكر القفلة والقلاقل أربع مرات وهن دلالات على معنى واحد لا غير وهو الحركة يقول - وحرَّكتُ بالهمَّ الذى حرك الحصى نوقا سراع الحركة كلهن متحركات - وهذا من أقبح ما يكون من التكرير • وأما بيت الثعالبي الذى مثله الواحدى بيت أبى الطيب فليس مثالا لأن لفظة - البلابل - قد وردت فيه ثلاث مرات وكلُّ منها دال على معنى غير الآخر فالاول جمع بلبل وهو طائر حسن الصوت والثانى جمع بلبلة وهى وساوس الصدور والثالث جمع بلبلة وهى مخرج الماء من الابريق فهو يقول - واذا الاطيار من البلابل هدلت وغرَّدت فانف البلابل من قلبك باحتساء الخمر من بلابل الابريق - وهذا من أحسن ما يكون من التجنيس ومن هاهنا وقع السهو للواحدى وهو أن البلابل فى شعر الثعالبي يدل على معان مختلفة والقلاقل فى شعر أبى الطيب يدل على معنى واحد فاعرف ذلك وقس عليه •• ومثل قول المتنبي فى القبح قوله أيضاً

ولم أرَ مثلَ جبرائى ومثلِ مثلَى عند مثلهم مقامُ

فهذا ومثله هو التكرار الفاحش الذى يؤثر فى الكلام نقصاً زائداً ألا ترى أنه يقول لم أرَ مثلَ جبرائى فى سوء الجوار وقلة المراعاة ولا مثلَى فى مصابرتهم ومقامى عندهم لأنه قد كرّر هذا المعنى فى البيت مرتين

- القسم الثانى عشر -

(القسم)

وهو أن يُقسم فى كلامه بشئ لم يُرد به تأكيد كلامه ولا تصديقه وانما يُرد به

بيان شرف المقسم به وعلو قدره عنده . ومنه قوله تعالى « فَوَرَبِّ السَّاءِ وَالْأَرْضِ
إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْتُمْ تَطْفُونَ » . وقوله تعالى « وَالطُّورِ وَكِتَابٍ تُسْطُورِ » .
وقوله تعالى « وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى » . وقوله تعالى « وَالسَّاءِ وَمَا بَنَاهَا وَالْأَرْضِ وَمَا
طَحَّاهَا وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا » . وقوله تعالى « لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ »
أقسم بهذه الأشياء كلها لعظم خلقها ولشرفها عنده وأقسم بحياة نبيه صلى الله عليه وسلم
ليعرف الناس عظمته عنده ومكانته لديه . . . ومنه قول الشاعر

حَلَفْتُ بِمَنْ سَوَّى السَّاءِ وَشَادَهَا وَمَنْ مَرَّجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ
وَمَنْ قَامَ فِي الْمَعْقُولِ مِنْ غَيْرِ رِيْبَةٍ بِمَا شَتَّ مِنْ إِذْرَاكِ كُلِّ عِيَانِ
لَا خَلَقْتُ كَمَاكَ إِلَّا لِأَرْبَعٍ عَقَائِلَ لَمْ يُعْقَلْ لَهَا نَوَانِ
لِتَقْبِيلِ أَفْوَاهٍ وَإِعْطَاءِ نَائِلٍ وَتَقْلِيْبِ هِنْدِيٍّ وَجَذْبِ عَنَانِ

(قال المصنف عفا الله عنه) القسم في القرآن العظيم على قسمين . مظهر . ومضمّر .
فالمظهر كما تقدم . والمضمّر على قسمين . قسم دلت لام القسم على حذفه كما في قوله تعالى
« لَتَبَاؤُنَّ فِي أُمُومَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ » . وفي قوله تعالى « لَتَزُوَنَّ الْجَحِيمَ » . والقسم
الثاني ما دلّ عليه المعنى في مثل قوله تعالى « وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ
حَتْمًا مَقْضِيًّا » تقديره والله إن منكم إلا واردها يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
- لن تمسه النار إلا نحلة القسم - وله في القرآن نظائر

القسم الثالث عشر

(الاقتباس . ويسمى التضمين)

وهو أن يأخذ المتكلم كلاماً من كلام غيره يدرجه في لفظه لتأكيد المعنى الذي
أتى به أو ترتيباً فإن كان كلاماً كثيراً أو بيتاً من الشعر فهو تضمين . وإن كان كلاماً قليلاً
أو نصف بيت فهو إبداع . وعلى هذا الحد ليس في القرآن من هذا النوع شيء إلا

ما أودع فيه من حكايات أقوال المخلوقين مثل قوله تعالى حكاية عن قول الملائكة
« قالوا أنجمل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء » • ومثل ما حكاه سبحانه من
قول المنافقين « قالوا انما نحن مُصلحون » • وقولهم « قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء »
• وقوله سبحانه وتعالى حكاية عن قول اليهود والنصارى « وقالت اليهود ليست
النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء » • ومثله في القرآن كثير •
وكذلك ما أودع في القرآن من اللغات الاعجمية مثل قوله تعالى « إنكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم » • وهي لغة للحطب بالحبيشية و - كالقسطاس - وهو الميزان
بلغة الرومية - والفردوس - وهو البستان و - القنطار - وهو اثنا عشر ألف أوقية
• • • ومن اللغة المنسية - الكف • والساق • والفراش • والوزير • والقاضي •
والوكيل • والشراب • والحلال • والحرام • والحسد • والصواب • والبركة • والخطأ •
والوسوسة • والكساد • والنطيحة • والحط • والقلم • واللهم • والكرسى •
والقفل • والركاب • والفاشية • والمشرق • والمغرب • واللطيف • ومن اللغة الفارسية
الحكيمة - الابريق • والسندس • والباقوت • والزنجيل • والمسك • والكافور -
وهذه الكلمات كلها حكاها الثعالبي في فقه اللغة وهي عند المحققين مختلف فيها فمنهم من
قال انها اعجمية عربت ومنهم من أنكر ذلك وقال ليس في القرآن لفظ أعجمي لقوله
تعالى « بلسان عربي مبين » • وهذه الالفاظ انما هي عربية أصلية وافقت اللغة الاعجمية
والرومية • وانما الذي ورد في القرآن بعض آيات وكلمات من التوراة وغيرها من كلام
الله عز وجل فأشبهه التضمين والابداع • من ذلك قوله تعالى « وكتبنا عليهم فيها أن
النفوس بالنفس » • ومنها قوله تعالى فيها حكاة من صفة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه
وذلك قوله تعالى « محمد رسول الله » الى قوله « ذلك مثاهم في التوراة ومثاهم في
الانجيل » • فضمن كتابنا صفتهم من الكتابين الأولين • • • وأما التضمين في الشعر فلا
يخلو إما أن يكون أليث المضمن مشهوراً أو غير مشهور فإن كان مشهوراً لم يحتاج الى
تبينه عليه أنه من كلام غيره لأن شهرته تفي عن ذلك وإن كان غير مشهور فلا بد من
تبينه على أنه ليس من شعره مثل قول الشاعر

ما على طيب لبالٍ سَلَفَتْ من لبالٍ الوصلِ لو عادت لنا
نبه عليه في البيت الذي قبله بقوله

فأنا من فرطٍ وجدى مُنْشِدٌ بيتَ شعرٍ قاله من قبلنا
.. وكذلك إذا كان المضمّن نصف بيت كقول ابن اللبابة الاندلسي في بيت من قصيدة له

حبيبٌ الى قايٍ حبيبٌ لقوله عسى وطنٌ يدنو بهم ولعلما

.. ومن التضمين المشهور قول ابن عنين يصف بغلة له

مرّت على علفٍ فَناءَتْ فوقهُ جوعاً وقالت المذامعُ تَجْمُ

وقَفَ الهوى بي حيثُ أنتِ فليس لي متأخرٌ عنه ولا مُتقدّمُ

.. ومثله قول آخر

إن رُذِوتني المدقعُ بالصفاء ت^(١) في لوعةٍ يكابدُها

رأى بفالِ الأُميرِ عابرةً بالبنِ يوماً فظلَّ يُنْشِدُها

قفا قليلاً بها على فلا أقلّ من نظرةٍ أزوّدُها

.. وقد وقع التضمين في الشعر في بيت كما ذكرناه وفي بيتين .. ومنه ما قيل في الحبيص

بيصٍ حين قتلٍ جُرياً وهو سكران فأخذ بعض الشعراء كلبة وعلق في حلقها قصة

وأطلقها عند باب الوزير فأخذت القصة من حلق الكلبة وأدخلت على الوزير فاذا

فيها مكتوب هذه الايات

يا أهلَ بَعْدادِ إن الحبيصَ بيصٌ أنى بخزيةِ ألبسنةِ العارِ في البلدِ

أبدى شجاعتهُ بالليلِ مجترئاً على جريِّ ضعيفِ البطشِ والجلدِ

فأنشدت أمه من بعد ما احتسبت دَمَ الأبيلقِ عند الواحدِ الصمدِ

أقولُ للنفسِ تأساءً وتعزيةً إحدى يديَّ أصابني ولم تُردِ

كلامها خلفٌ من فقدٍ ساحبهُ هذا أخى حين أذعوه وذا ولدى

وهذان البيتان البيت الأخير والذي قبله لامرأة من العرب قتل أخوها ابناً لها فقالت

ذلك تسلية لنفسها وتثبيتاً لقلبها .. وأما أنصاف الايات والكلمات فكثير جداً ..

فمن ذلك قول ابن المعتز

(١) هكذا في الاصل

عَوْدُ لَمَّا بَتَّ ضَيْفًا لَهُ اقْرَاصُهُ مَنَى بِيَّاسِينَ
فَبَتَّ وَالْأَرْضُ فُرَاشِي وَقَدْ غَنَّتْ قِفَابُكَ مِصَارِي

.. ومنه قول الضحاك

وَقَفْتُ عَلَى بَابِ الْأَمِيرِ كَأَنِّي قِفَابُكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ
.. وقد أودعت جماعة من الشعراء وجلةً من الكتاب الفضلاء في أشعارهم ورسائلهم وأنواع فصاحتهم التي هي من جملة وسائلهم آيات من كتاب الله تعالى وسوء اقتباساً من القرآن وهذا مما قد نهى عنه جملة العلماء وأفاضل الفقهاء الاقبياء وكرهوا أن يضمن كلام الله تعالى شيئاً من ذلك أو يستشهد به في واقعة من الوقائع كقولهم لمن جاء وقت حاجتهم إليه - ثم جئت على قدز يا موسى - وأشباه ذلك لأن ذلك كله صرف لكلام الله عن وجهه وخروج له عن المعنى الذي أريد به .. فن التضمين المنهى عنه قول عبد الله بن طاهر لابن السدي حين ملك مصر وقد ورد رسوله وهديته إليه - لو قبلت هديتك نهراً لقبلتها ليلاً بل أنتم بهديتكم تفرحون - وقال لرسوله - ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون - وأوحش من ذلك وأعظم منه في الشعر قول الشاعر

يَسْتَوْجِبُ الْعَفْوُ الْفَتَى إِذَا اعْتَرَفَ بِمَا جَاءَهُ وَانْتَهَى عَمَّا اقْتَرَفَ
لِقَوْلِهِ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ

.. وقول الآخر

قَتُّ لَيْلٍ الصَّدُودَ الْآقِلِيلَا نَمَ رَنَلْتُ ذَكَرَهُمُ تَرْبِيلَا
وَجَعَلْتُ السَّهَادَ كَلَالًا لِعَيْنِي وَهَجَرْتُ الرِّقَادَ هَجْرًا جَمِيلَا
كَلَامًا ضَمَّنَا مَحَلُّ عِتَابٍ أَخَذْنَا الْعِيُونَ أَخْذًا وَبِيلَا

ضمن هذه القصيدة آخر كل آية من سورة المزمل .. هذا وما أشبهه بما يدونه من الفصاحة والبلاغة وهو مما ينبغي أن تعاف النفوس مساغه وهو مندرج في التحريم لما فيه من عدم الاجلال لكلام الله عز وجل والتعظيم وكيف يليق أن يجمع بين المحدث والقديم .. وقد رخص بعض أهل العلم في تضمين بعض آيات القرآن في خطبهم ومواظهم

وأكثر ما استعمل ذلك الشيخ ابن نباتة وابن الجوزي وقد استعمله كثير من الناس

القسم الرابع عشر هـ

(التذيل والكلام عليه من وجوه)

الأول في حده والمعنى الذى أتى به من أجله • الثانى فى اشتقاقه • الثالث فى أقسامه (أما الأول) فقال علماء علم البيان انه تذيل المتكلم كلامه بحرف أو جملة يحقق بها ما قبلها من الكلام وتلك الجملة على قسمين • قسم لا يزيد على المعنى الأول وإنما يؤتى به للتأكيد والتحقيق • وقسم يخرج المتكلم مخرج المثل السائر ليحقق به ما قبله • مثال ما جاء من الكتاب العزيز منضمناً للقسمين معاً قوله تعالى « إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقٌّ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ » فى الآية الكريمة تذييلان • أحدهما قوله تعالى - وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا - فان الكلام تم قبل ذلك ثم أتى سبحانه وتعالى بتلك الجملة ليحقق بها ما قبلها • والآخر قوله سبحانه - وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ - فأخرج هذا مخرج المثل السائر ليحقق ما تقدم وهو تذييل ثانٍ للتذييل الأول • ومنه قوله عز وجل « وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ قِيلاً » • وكقوله تعالى « ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهُمْ فِي الْكُفْرِ أَكْثَرُونَ » ومثاله فى القرآن كثير • ومثال ما جاء منه من السنة قول النبى صلى الله عليه وسلم - مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَتْ لَهُ حَسَنَةً فَانْ عَمَلَهَا كَتَبَتْ لَهُ عَشْرًا وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تَكُتَبْ عَلَيْهِ فَانْ عَمَلَهَا كَتَبَتْ عَلَيْهِ سَيِّئَةً وَاحِدَةً وَلَا يَهْلِكُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا هَالِكٌ - فقوله ولا يهلك على الله الا هالك تذييل فى غاية الحسن أخرج الكلام فيه مخرج المثل • • ومثال ما جاء من ذلك فى الشعر قول النابغة

ولست بمُستَبَقٍ أَخَا لَا تَلَمُّهُ عَلَى شَعَثِ أَى الرِّجَالِ الْمَهْذَبُ

فقله - أى الرجال المهذب - من أحسن تذييل وقع فى شعر ٠٠ ومنه قول الخطيب

زورُ فتيَّ يُعطى على المدح مالهُ ومن يُعط أنمانَ المحامدِ يُحمدُ

فان عجز البيت كله تذييل أخرج مخرج النمل لأن صدر البيت كله قد استقل بالمعنى ٠٠

وأما الحروف فستأتى أمثله فى الكلام على أقسامه ان شاء الله تعالى (وأما الثانى)

فان التذييل مصدر ذيل الشئ يذيله تذييلا اذا جعل له ذيلا مأخوذ من ذيل المرأة

وهو ما يفضل عن قائمتها ويزيد عليها فيبقى مجرورا على الارض ٠ قال الشاعر

كُتِبَ القتلُ والقتالُ علينا وعلى الغانيات جرُّ الذبولِ

٠٠ وفى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن ذيل المرأة فقال يطهره ما بعده

فكانه شبه هذا الجملة لزيادتها وكون المعنى يتم بدونها بالزائد من ذيل المرأة الذى ينجر

على الارض (وأما الثالث) فالتذييل على ثلاثة أقسام قد تقدم منها قسمان والثالث هو

أن تزيد احدى الكلمتين على الاخرى بحرف فقط إما من آخرها وإما من أولها ٠ فنال

الزائد فى آخر الكلمة قولهم فلان حام حامله لاءاء الامور كاف كافل بتصالح الجمهور

٠ وكقول أبى تمام

يمدُّونَ من أيدي عواصٍ عواصم تصولُ بأسيا في قواصٍ قواضبِ

٠٠ ومثال الزائد فى أولها قوله تعالى «والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق»

ومنه قول الشاعر

وكم سبقت منه إلى عوارفٍ تنأت على تلك العوارف وارف^(١)

وكم غرر من برو ولطائفٍ لشكرى على تلك الطائف طائف

القسم الخامس عشر

(المغالطة ٠ والكلام عليه من وجوه)

الاول فى حقيقتها ٠ الثانى فى اشتقاقها ٠ الثالث فى أقسامها (أما الاول) فقال

(١) فى هامش الاصل ٠٠ أى متمد يقال ورف الظل اذا امتد

علماء علم البيان أن المغالطة ذكر الشيء وما يتوهم مقابله وليس كذلك (وأما الثاني) فاشتقاقه من الغلط وهو من باب المفاعلة من واحد مثل طارقت النعل وعاقبت الصبي لأن فاعله يذكر شيئاً يوقع به غيره في الغلط ويوهم ما ليس هو المراد وهو المشار إليه في الحديث المروي نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغلوطات وهي شرار المسائل (وأما أقسامها) فاربعة • الأول أن يذكر الشيء وما يتوهم مقابله ويسمى مغالطة النقيض وهو مثل قول الشاعر

وما أشياء تشربها بمالٍ وإن نفقت فأكسد ما تكونُ

أوهم بنفقت النفاق السوقي وهو رواج السلعة ومراده الموت يقال نفقت الدابة إذا ماتت • وقد ورد منه عن العرب كثير • من ذلك ما روي أن حنين من العرب اقتنل فقتل من كل حي قتل وأسرى فقال أحد الحنين لأسير عندهم أرسل إلى قومك رسولاً يقول لهم ليكرموا أسيرنا فإنا لك مكرمون فقال اتنوني برسول منكم أرسله إليهم فجاء برجل فسأله عن أشياء فقال ما أراك إلا عاقلاً أبلغ قومي السلام وقل لهم ليكرموا فلانا فإن قومه لي مكرمون وقال له وقل لهم يحلوا عن ناقتي الحمراء ويركبوا جمل الأصهب بآية ما أكلت معكم حبساً وسلوا الحارث عن خبري فلما بلغهم الرسالة حلوا وناق ذلك الرجل وقالوا والله ما له ناقة حمراء ولا جمل أصهب فلما انصرف الرسول استدعوا الحارث وقصوا عليه ما قال فقال أشار بقوله حلوا عن ناقتي الحمراء واركبوا جمل الأصهب ارتحلوا عن هذه الأرض الدهناء وصعدوا الجبل وأشار بقوله بآية ما أكلت معكم حبساً إلى أن أخلاطاً من الناس اتفقوا على أن يغيروا على حبيكم ليلاً فإن الحيس يجمع السمن والتمر والأقط فارتحلوا عن تلك الأرض وصعدوا الجبل فأغار عليهم أعداؤهم فلم يجدوهم في المكان الذي كانوا فيه فسلموا من اغتيال عدوهم لهم • وقد نظم هذا المعنى بعض الشعراء فقال

محلوا عن الناقة الحمراء أرحلكم والبازل الأصهب المعقول فاصطنعوا

إن الذئب قد اخضرت براثها والناس كلهم بكروا إذا شبعوا

ومثل هذا عن العرب كثير • • الثاني أن يذكر مع الشيء مثله ويسمى مغالطة المثل

كقول المتنبي

يَشَاءُكُمْ بِكُلِّ أَقْبَى نَهْدٍ لفارسه على الخيلِ الخيَّارُ
وَكُلِّ أَصَمٍّ يَعْسِلُ جَانِبَهُ على الكعبيين منه دَمٌ مُمَارُ
يُفَادِرُ كُلَّ مُلْتَفِتٍ إِلَيْهِ وَلَبَتُهُ لَتَعْلَبُهُ وَجَارُ

- والثعلب - الحيوان وطرف السنان - والوجار - بيت ذلك الحيوان .. وكقول الشاعر
بِرْغَمِ شَيْبٍ فَارَقَ السِّيفُ كَفَّهُ وكانا على العِلَّاتِ يَضْطَجِعَانِ
كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ قَالَتْ لِسَيْفِهِ رَفِيقُكَ قَيْدِي وَأَنْتَ يَمَانِي
- فالسيف - يقال له يمان اذا كان صارماً - وشيب - من قيس وكان بين قيس وبين
محرابة .. ومنه أيضاً

وخلطتم بعض القرآن ببعضه فجعلتم الشعراء في الأنعام

- فالشعراء - جمع شاعر واسم سورة - والأنعام - الابل والبقر والغنم واسم سورة أيضاً
وسبب حسن هذا الفن ما يحصل للنفس من الالتئاذ بفهم ما فيه غموض والأول أحسن
لزيادة غموضه .. الثالث من المغالطات الالتغاز .. والغز الطريق المنحرف وسمى به
هذا لانحرافه عن نمط الكلام ويسمى أيضاً أحجية لأن الحجي هو العقل وهذا النمط
يقوى العقل عند التمرن والارتياض بالاكتشاف من حله وإعمال الفكر فيه ويسمى أيضاً
المعتمى لما فيه من الخفاء .. ومن هذا النوع في أشعار العرب والمخضرمين والاسلاميين
وهو في أشعار المتأخرين منهم أكثر .. ومنه في القرآن العزيز ملجاء في أوائل السور
من الحروف المفردة والمركبة التي دق معناها وبعد غورها فزهاها وحارت العقول في معانيها
.. ومنها قوله تعالى في قصة ابراهيم عليه السلام حين سئل لما كثرت الأصنام وقيل له
« أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بَالِهَتَا يَا إِبْرَاهِيمَ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا » قابلهم بهذه المغالطة
ليقيم عليهم الحجة ويوضح لهم المحجة .. ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن النمرود لما
جادل ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين قال ابراهيم « رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا
أَحْيِي وَأُمِيتُ » حكى أنه أتى بأثنين فقتل أحدهما وأرسل الآخر وكان ذلك من النمرود
مغالطة لابراهيم عليه الصلاة والسلام لأن ابراهيم عليه السلام أراد إن الله يحيي الميت

ويميت الحى بغير آلة لا يحيى ويميت كذلك الآ هو . . . ومنه قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه لما سئل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجا من مكة أعزها الله تعالى فقال انه رجل يهدينى الطريق . . . ومنه قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما سأله الجبار عن زوجته سارة قال هى أختى أراد أخوة الدين ومثله كثير

❦ القسم السادس عشر ❦

(الاشارة . وتسمى الوحى أيضاً . والكلام عليها من وجوه)

الاول فى حدها . الثانى فى أقسامها . الثالث فى الفرق بينها وبين الكناية (أما الاول) فقد قال علماء البيان الاشارة أن تطلق لفظاً جلياً تريد به معنى خفياً وذلك من ملح الكلام وجواهر النثر والنظام . ومنه قوله تعالى « ولا تَقُلْ لهما افٍ » أشار بذلك الى بر الوالدين وترك التعرض اليهما بيسير من الإيلاام فضلا عن كثيره . ومنه قوله تعالى « فيهنّ قاصرات الطرف » اشارة الى عفافهن . ومنه قوله تعالى « وفرش مرفوعة » اشار الى نساء كرام . ومن هذا النوع فلان طويل النجاد رفيع العباد كثير الرماد اشارة بقوله - طويل النجاد - الى تمام خاقته وبقوله - رفيع العباد - الى أن بيته مرتفع يعرفه الاضياف والضرائق وبقوله - كثير الرماد - الى كثرة قراء الاضياف . . . ويقولون أيضاً فلان جبان الكلب مهزول الفصيل أشاروا بقولهم - جبان الكلب - الى أنه لكثرة طراقه أنست كلابه الطراق وصارت تلوى رقابها وتحرك أذنانها فرحاً بهم وأشاروا بقولهم - مهزول الفصيل - الى كثرة سقيه الالبان ومداومة حلب مواشيه فتقل بذلك ألبانها فيهنزل الفصيل بسبب ذلك . والاشارات فى القرآن كثيرة خصوصاً على ما يراه أرباب الحقائق . وبعض أرباب هذه الصناعة بسمى هذا النوع الإيلاء . . . ومنه قول الشاعر

بعيدة مهوى القرطِ إما لَهْشِلٍ أبوها وإما عبدِ شمسٍ وهاشمٍ

أشار بقوله - بعيدة مهوى القرط - الى طول عنقها . . ومنه قول امرئ القيس

كَأَنَّ الْمَدَامَ وَصُوبَ الْغَمَامِ وَرَيْحَ الْخُزَامِي وَنَشْرَ الْعُطْرِ

يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا إِذَا غَرَّدَ الطَّائِرُ الْمُسْتَحِرُّ

أشار الى طيب رائحة فيها وقت السحرو هو وقت تغير الافواه (وأما الثاني) فأقسامها أربعة . الاول ما قدمناه . والثاني أن يكون اللفظ القليل مشتقاً على المعنى الكبير . ومنه قوله تعالى « فيها ما تشتهي النفس » وتأذّ الاعين » جمع ما تميل اليه النفوس من الشهوات وتلذّ الاعين من المراتب . ومنه قوله تعالى (فأوحى الى عبده ما أوحى) . والثالث من أنواع الاشارة عمل أرباب هذه الصناعة المعميات والالغاز وقد تقدم بيانها . الرابع من أقسامها التورية وهي أن تكون الكلمة تحتمل معنيين فيستعمل المتكلم أحد احتماليها ويهمل الآخر ومراده ما أهمله لاما استعمله ولهذا مواضع نينها وأمثلةا فيه ان شاء الله تعالى (وأما الثالث) فالفرق بينها وبين الكناية أن الاشارة في الحسن والكناية في القبيح وسيأتى بيانه

القسم السابع عشر

(في الكناية . والكلام عليها من وجوه)

الاول في حدها . الثاني في المعنى الذي أتى بها من أجله . الثالث في أقسامها (أما الاول) فقد قال علماء علم البيان إن الكناية هي اطلاق لفظ حسن يشير الى معنى قبيح كقوله تعالى « وَأَوْزَنْكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا » أراد بالارض الثانية لساءهم اللاتي كن محل وطئهم وجهة استمتاعهم . . ومنه قوله تعالى « وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق » يريدون أنه يتغوّط فكثروا عن التغوّط بأكل الطعام لانه سيئه . . ومنه قوله تعالى « أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لَبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لَبَاسٌ لَهُنَّ » كني بالرفث عن

الحديث في الجماع وباللباس عن الوطء نفسه . . . ومنه قوله تعالى « وَأَصْلَحْنَاهُ زَوْجَهُ »
 أى هبأناها للولادة بعد الكبر . . . ومنه قوله تعالى « وامرأته قائمة فضحكت » أى
 حاضت . . . قال بعض المتأخرين من الحدائق في هذا الفن الكناية في اللغة السر وفي
 الصناعة أن تقصد مجازاً بعيداً مناسباً للحقيقة مع ضمنه أى ارادتها ^(١) وإذا استعمل اللفظ
 في ذلك كان ضرباً من الاستعارة وتقع الكناية في المفرد والمؤلف وسيأتى بيانه (وأما
 الثانى) فالمعنى الذى أتى بها من أجله هو الاجمال في الخطاب والدفع بالى هى أحسن
 والتجنب للهجر من القول إذ هو أرسخ في الالفة وأمكن . قال الله تعالى « ادفع بالى
 هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » (وأما الثالث) فقد اختلفت
 عبارات أهل هذه الصناعة فيها وآثرها ما ذكره ابن الاثير في جامعه قال إن الكناية
 على قسمين . قسم يحسن استعماله . وقسم لا يحسن استعماله . . . فأما الضرب الأول وهو
 الذى يحسن استعماله فينقسم الى أربعة أقسام . الاول التمثيل وهو التشبيه على سبيل
 الكناية وذلك أن تراد الإشارة الى معنى فتوضع ألفاظ على معنى آخر وتكون تلك
 لالفاظ وذلك المعنى مثالا للمعنى الذى قصدت الإشارة اليه والعبارة عنه كقولنا - فلان
 نقى الثوب - أى منزّه عن العيوب ولل كلام بهذا فائدة لا تكون لو قصد المعنى بلفظه
 الخاص به وذلك لما يحصل للسامع من زيادة التصوير المدلول عليه لانه اذا صور فى نفسه
 مثال ما خوطب به كان ذلك أسرع الى الرغبة فيه أو الرغبة عنه . فمن بديع التمثيل
 قوله تعالى « ائحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً » فانه مثل الاغتياب بأكل الانسان
 لحم انسان آخر مثله ثم لم يقتصر على ذلك حتى جملة لحم لآخ ولم يقتصر على لحم الاخ
 حتى جملة ميتاً ثم جعل ما هو فى الغاية من الكراهة موصولاً بالحب فلهذه أربع دلالات
 واقعة على ما قصدت له مناسبة مطابقة للمعنى الذى وردت لأجله . فأما تمثيل الاغتياب
 بأكل لحم انسان آخر مثله فشديد المناسبة جداً وذلك لأن الاغتياب انما هو ذكر مثالب
 الناس وتمزيق أعراضهم وتمزيق العرض مماثل لأكل الانسان لحم من يغتابه لأن أكل
 اللحم فيه تمزيق لا محالة وأما قوله لحم أخيه فلما فى الاغتياب من الكراهة لأن أرباب

العقل والشرع قد أجمعوا على استكراهه وأمروا بتركه والبعد عنه . ولما كان كذلك كان بمنزلة لحم الاخ في كراهته ومن المعلوم أن لحم الانسان مستكره عند انسان آخر مثله إلا أنه لا يكون مثل كراهة لحم أخيه وهذا القول مبالغة في الاستكراه لا أمد فوقها . . . وأما قوله - ميتاً - فلاجل أن المغتاب لا يشعر بغيبته ولا يحس بها . . . وأما جعله ما هو في الغاية من الكراهة . موصولاً بالحجة فلما حُبات عايه النفوس من الميل الى الغيبة والشهوة لها مع العلم بأنها من أذى الخلال ومكروه الافعال عند الله عز وجل والناس . . . ومن هذا القسم قوله تعالى « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط » فمثل البخل بأحسن تمثيل لان البخل لا يمد يده بالعطية كالمغلول الذي لا يستطيع أن يمد يده وانما قل - ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك - ولم يقل ولا تجعل يدك مغلولة من غير ذكر العنق لانه قد قال تعالى - ولا تبسطها كل البسط - فتاب ذكر العنق عن قوله كل الغل لأن غل اليدين الى العنق هي اقصى الغايات التي جرت العادة بفعل اليد اليها . . . ومن امثال العرب - ايك وعقيلة المالح - وذلك تمثيل للمرأة الحسنة في المنبت السوء لأن عقيلة المالح هي الذرة . . . ومن التمثيل قول بن الدؤمينه

أبني أفي يميني يديك تركتني فأفرح أم صيرتني في شمالكي

أي ابني أمتزقتي كريمة عندك أم هينة عليك فذكر اليمين وجعلها مثلاً لا كرام المنزلة وذكر الشمال وجعلها مثلاً لهوان المنزلة لان اليمين اشرف مكانة من الشمال وأكرم محلاً . وفي القرآن العظيم ما يدل على ذلك وهو قوله تعالى « وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود » الى قوله « وماء مسكوب » فلما جاء الى ذكر الشمال قال تعالى « وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم » فأعترف ذلك . الثاني الاراداف وهو اسم سماء قدامة بن جعفر الكاتب قال اعلم أن أكثر علماء هذه الصناعة قد أدخلوا الاراداف في التمثيل وفي الفرق بينهما اشكال ودقة فأما التمثيل فقد سبق الاعلام به وهو ان يراد الاشارة الى معنى فتوضع الالفاظ على معنى آخر فتكون تلك الالفاظ وذلك المعنى مثلاً للمعنى الذي قصدت الاشارة اليه والعبارة عنه كقولنا - فلان نقي الثوب - أي منزوع العيوب . . . وأما الاراداف فهو أن يراد الاشارة الى معنى

فترك اللفظ الدال عليه ويؤتى بما هو دليل عليه ورادفله كقولنا - فلان طويل النجاد -
والمراد طويل القامة الا انه لم يتلفظه بطول القامة الذي هو الغرض ولكن ذكر ما هو
دليل على طول القامة وليس نقاء الثوب بدليل على النزاهة عن العيوب وانما هو تمثيل
لها فاعرف ذلك . واعلم أن الاراداف يتفرع الى خمسة فروع . الاول فعل البداهة كقوله
تعالى « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه » أى انه سفيه
الرأى بمعنى أنه لم يتوقف فى كلامه وقت ماسمعه ولم يفعل كما تفعل المراجيح العقول
المتثبتون فى الاشياء فان من سفاهتهم اذا ورد عليهم أمر أو سمعوا خبراً أن لا يستعملوا
فيه الروية وتأنوا فى تدبره الى أن يصح لهم صدقه أو كذبه . الا ترى أن معنى قوله
- كذب بالحق لما جاءه - أى انه ضعيف العقل عازب الرأى فعدل عن ذلك الى ما هو
دليل عليه ورادف له وذلك أكد وأبلغ . ومن ذلك قوله تعالى « وإذا تلى عليهم آياتنا
بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد أن بصدكم عما كان يعبد آباؤكم » ومثله فى القرآن كثير
.. الثانى من الاراداف باب المثل وهو ان العرب تأتى بمثل فى هذا توكيداً للكلام
وتشيداً من أمره يقول الرجل اذا نفى عن نفسه القبح - مثلى لا يفعل هذا - أى أنا لا أفعله
ففى ذلك عن مثله وهو يريد نفيه عن نفسه قصداً للمبالغة فيسلك به طرق الكناية
لانه اذا نفاه عن مثله ومشابهه فقد نفاه عنه لا محالة . كذلك قولهم أيضاً - مثلك اذا سئل
أعطى - أى أنت كذلك . وهو كثير فى الشعر القديم والمولد وفى الكلام المنشور . . . وسبب
توكيد هذه المواضع بمثل انه يراد أن يجعل نفسه من جاهة هذه أوصافهم تبييناً للامر
وتوكيداً له ولو كان فيه وحده لقلق منه موضعه ولم ترتب فيه قدمه . مثل ذلك قولهم
لا انسان - أنت من القوم الكرام - أى لك فى هذا الفعل سابقة وأنت حقيق به
ولست دخيلاً فيه . . . ومن هذا الباب فى القرآن كثير كقوله تعالى « ليس كمثل شئ » وهو
السميع البصير » وهذا كقولك - مثلى لا يفعل كذا - فينفون البخل عن مثله وهم
يريدون نفيه عن ذلك قصداً للمبالغة لانهم اذا نفوه عن من يسد مسدده وهو على أخص
أوصافه فقد نفوه عنه . ونظير ذلك قولك للعربى - العرب لا تخفر الذم - وهذا أبلغ
من قولك أنت لا تخفر الذم وليس فرق بين قوله تعالى « ليس كمثل شئ » وبين قوله

ليس كالله شئ إلا من الجهة التي نهى عنها فاعرفها . الثالث من الادراف ما يأتي في جواب الشرط وذلك من ألطف الكنايات واحسنها . فمن ذلك قوله تعالى « وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث » كناية عن بطلان قولهم وكذبهم فيما ادعوه وذلك رادف له . ونظيره قولك كنت تشكر حضور زيد فيها هو أى فأنت كاذب وهذا من دقائق الكناية . . الرابع من الادراف الاستثناء من غير موجب وذلك من غرائب الكناية كقوله تعالى « ليس لهم طعام إلا من ضريع » الآية . - والضريع - نبت ذو شوك تسميه قريش الشبرق في حال خضرته وطراوته فاذا يبس سمته الضريع والابل ترعاه طرياً ولا تقربه يابساً . والمعنى ليس لهم طعام أصلاً لأن الضريع ليس بطعام للبهائم فضلاً عن الانس وهذا مثل قولك - ليس لفلان ظل إلا الشمس - تريد بذلك نفي الظل عنه على التوكيد وذلك رادف لانتفاء الظل عنه كما ذكر الضريع رادف لانتفاء الطعام . . وعلى نحو من هذا جاء قول بعضهم

وتفرّدوا بالمكرّمات فلم يكن لسواهم منها سوى الحرمان

فالمراد نفي المكرّمات عن سواهم لأنهم اذا كان لهم الحرمان من المكرّمات فما لهم منها شئ . . الخامس من الادراف وليس مما تقدم بشئ وذلك نحو قوله تعالى « عفا الله عنك لم أذنت لهم » والمراد به اذا خوطب بمثل هذا غير النبي صلى الله عليه وسلم أنك أخطأت وبش ما فعلت فقوله - لم أذنت لهم - بيان لما كفى عنه بالعفو أى مالك أذنت لهم وهلا استأنيت فذكر العفو دليل ورادف له وان لم يذكر . وكذلك قوله تعالى « فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » قيل لهم ان أستمتم الى العجز فاركوا العناد فوضع قوله - فاتقوا النار - موضعه لأن اتقاء النار لصيقة وضمة من حيث أنه من نتائج روادفه لأن من اتقى النار ترك المعاندة . ونظيره أن يقول الملك لحشمه - إن أردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطى - يريد فأطيعوني وأطيعوا أمرى واحذروا ما هو نتيجة حذر السخط وروادفه . . ومن هذا الباب قوله تعالى « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا » ألا ترى الى لطافة هذه الكناية فانها أفادت تكذيب دعواهم ودفع

ما انتحلوه وفانيتها هاهنا أنه روى في تكذيبهم أدب حسن لم يصرح بلفظه فلم يقل كذبت لأن فيه نوع استقباح في الخطاب فوضع قوله - قل لم تؤمنوا - الذي هو نفي ما ادعوا اثباته موضعه لأن ذلك رادف له .. وما يجري هذا المجرى قوله تعالى « قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أن تعلمون أن صالحاً مرسل من ربه » أثبت العلم برسالة وانه من الأمور الظاهرة المسلمة التي لا يدخلها ريب ولا يعتريها شك لكن عدل عن ذلك الى ما هو دليل عليه ورادف له وهو الايمان به أعنى صالحاً إنما صح عنهم بعد ثبوته عندهم والعلم برسالة اليهم فالإيمان به أدنى دليل على العلم بأنه نبي مرسل وهذا من دقائق الرداف ولطائفه .. وأمثال ذلك كثيرة كقول الاعرابية في حديث أم زرع تصف زوجها له إبل قليلات المسارح كثيرات المبارك اذا سمعن صوت المزاهر أيقن أنهن هوالك .. فان الظاهر من هذا القول أن ابله يركن عند بيته بفنائيه ولا تبرح ليقرب عليه نحرها للاضياف فاذا هزمت المزاهر للغناء نحرها لضيفه فقد اعتادت هذه الحالة وأيقنتها وغرض الاعرابية من هذا الكلام أن تصف زوجها بالجود والكرم ولكنها لم تذكر ذلك بلفظه الدال عليه وإنما أنت بمعان دلت على ذلك من غير تصريح بمرادها .. وكذلك قال بعضهم

وَدِدْتُ وَمَا تَعْنَى الْوَدَادَةُ أَنِّي بما في ضمير الحاجرية عالم

فان كان خيراً سَرَّني وعلمته وإن كان شراً لم تلمني اللوائم

أى أهجرها فأضرب عن ذلك جانباً ولم يذكر ذلك اللفظ المختص به ولكنه ذكر ما هو دليل عليه ورادف له .. الثالث من الكناية وهو المجاورة وذلك أن يريد المؤلف ذكر شئ فترك ذكره جانباً الى ما جاوره فيقتصر عليه اكتفاء بدلالته على المعنى المقصود كقول عنزة

فَشَكَّكْتُ بِالرَّمَحِ الْأَصَمَّ نِيَابَهُ ليس الكريم على القناب بمحرم

أراد - بالثياب - هنا نفسه لانه وصف المشكوك بالكريم ولا توصف الثياب به فثبت حينئذ أنه أراد ما تشتمل عليه الثياب وفي ذلك من الحسن ما لا ينكره العارف بهذه الصناعة

وقال أيضاً

بزجاجة صفراء ذات أشعة قُرنت بأزهر في الشمال مُقدم
- الصفراء - هاهنا هي الحمرة والذكر للزجاجة حيث هي مجاورة لها ومشتملة عليها
• وذهب بعضُ المفسرين في قوله تعالى « وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ » انه أراد بالثياب القلب أو
الجسد أى وقبلك فطهر أو جسديك •• ومنه قول امرئ القيس

فإنْ تَكُ قد ساءتْكِ مَنى خَلِيقَةٌ فُئِلى ثِيَابِي من ثِيَابِكَ تَشْلِي
•• الرابع من الكناية ما ليس بتمثيل ولا ارداف ولا مجاورة كقوله تعالى « أو من
ينشؤُ في الحلية وهو في الخِصامِ غيرُ مُبينٍ » فكفى بأنهم يتزينون في الحلية أى الزينة
والنعمة وهو اذا احتاج الى مجازاة الخصوم كان - غير مبين - أى ليس عنده بيان ولا برهان
يحتاج به من خاصمه وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهن عن فطرة الرجال •• ومن
هذا الباب قال أبى نواس

تقولُ التي من بيتها خَفَّ مَحْمِلِي عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَنْ نَرَكَ تَسِيرُ
• ألا ترى ما أحسن هذه الكناية فانه أضربَ عن ذكر أمراته بقوله - من بيتها
خف مركبي - فانه من اللفظ الكناية مذهباً •• وكذلك قول نصيب
فعاْجُوا فَاثْبُتُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَتُوا أَثَبْتُ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ
•• وقال الجاحظ نحن قوم نسحر بالبيان ونموه بالقول •• الثانى من التقسيم الاول من
الكناية وهو الذى يقبح ذكره ولا يحسن استعماله كقول أبى الطيب المتنبي
إني على شَغْفِي بما في خُمْرِها لَأَعْفُ عَمَّا في سِرَاوِيلِها
فان هذه كناية عن الزاهة والعفة وعلم الله أن الفجور لاحسن منها •• وقد ذكر الشريف
الرضي هذا المعنى فأبرزه في أجل صورة فقال

أَحْنُ إلى ما يَضْمَنُ الخُمْرُ والحُلِي وأصْدِفُ عَمَّا في ضِمَانِ المَآزِرِ
ألا ترى الى هذه الكناية ما الطفها والمعنيان سواء • وبهذا يعرف فضل الشاعرين
أحدهما على الآخر وذلك اذا أخذنا معنىً وأحداً فصاغه أحدهما أحسن صياغةً تميزه

— ❦ —
- القسم الثامن عشر ❦ -

(التعريض)

وقد اختلف فيه مذاهب بعض علماء هذا الشأن فذهب بعضهم الى أن الكناية والتعريض بمعنى واحد وبعضهم فرق بينهما . . قال ابن الاثير في جامعه في الكناية والتعريض ان لهذا النوع من الكلام موقعا شريفاً ومحلا كريماً وهو مقصور على الميل مع المعنى وترك اللفظ جانباً وذلك نوع من علم البيان لطيف وقد تكلم جماعة من المؤلفين في هذا الفن وخططوا الكناية بالتعريض ولم يفرقوا بينهما بل أوردوا لهما من النظم والنثر وأدخلوا أحد القسمين بالآخر وذكروا للكناية أمثلة من التعريض وللتعريض أمثلة من الكناية فمنهم أبو محمد بن سنان الخفاجي وأبو هلال العسكري والغامدي فأما ابن سنان فإنه ذكر في كتابه قول امرئ القيس

وَصِرْنَا إِلَى الْحُسْنَى وَرَقَّ كَلَامُنَا وَرُضْتُ فَذَلْتُ صَعْبَةً أَيَّ إِذْلالِ

وهذا مثال ضربه للكناية عن المباضة وهو مثال للتعريض . وسنورد لك أيها الناظر في كتابنا هذا فرقا بين الكناية والتعريض ونميز أحدهما عن الآخر فنقول وبالله التوفيق . ان الكناية هي أن يذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له كما كفى الله عز وجل عن الجماع بالمس فان حقيقة المس هي الملامسة يقال مسست الشيء اذا لمستته ولما كان الجماع بلامسة بالابدان وزيادة أمر آخر أطلق عليه اسم المس مجازاً وشد الكناية التصريح . وأما التعريض فهو أن يذكر شيئاً يدل به على شيء لم يذكره وأصله التلويح عن عرض الشيء وهو جانبه وبنت امرئ القيس ضربه مثالا للكناية وهو عين التعريض فان غرضه من ذلك أن يذكر الجماع غير أنه لما استقبح ذكره لم يذكره بل ذكر كلاما آخر ودل به عليه لأن المصير الى الحسنى ورقة الكلام يفهم منها ما أرادته امرؤ القيس من المعنى

وذلك مما لا يخفاء به وحيث تبين الفرق نشرع في أقسام كل واحد من الكناية والتعريض
فقول ٠٠ ان الكناية هي على قسمين ٠ أحدهما ما يحسن استعماله وهو الذي نحن بصدد
ذكره هاهنا والآخر ما لا يحسن استعماله وقد تقدم بيانهما ٠ وأما التعريض فقد ميزه الله
تعالى في خطبة النساء فقال جل من قائل « ولا تُجناحَ عليكم فيما عَرَضْتُمْ بِهِ من خطبة
النساء » قال المفسرون التعريض بالخطبة أن يقول لها وهي في عِدَّة الوفاة انك جميلة
وانك لحسنة وانى اليك لشيق وان قدر الله شيئاً فهو يكون وما أشبه ذلك ٠ ومما هو من
التعريض قوله حكاية عن عبدة الاصنام حين كسرها ابراهيم عليه السلام « أَنْتَ فَعَلْتَ
هَذَا بِالْهَيْتِ يَا اِبْرَاهِيمُ » قال بل فعله كبيرهم هذا فسالوهم « إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ » يعنى أن كبير
الاصنام غضب ان تعبد هذه الاصنام الصغار معه فكسرها فغرض ابراهيم صلوات الله
عليه وسلامه من هذا الكلام إقامة الحجة عليهم لانه قال- فسالوهم ان كانوا ينطقون-
هذا على سبيل الاستهزاء بهم ٠ وهذا من رموز الكلام والقصد فيه ان ابراهيم عليه
السلام لم يكن القصد الصادر عنه الى الصنم انما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على
أنه أسلوب من الفصاحة آخر يقتضى أن يبلغ فيه غرضه من الزام الحجة عليهم
وتبكيتهم والاستهزاء بهم ٠ ومن بديع التعريض قوله تعالى « قال الملأه الذين كفروا
من قومه ما نراك الا بشراً مثلاًنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا » الى قوله
« بل نظنكم كاذبين » فقلوه - ما نراك الا بشراً مثلاًنا - تعريض انهم أحق بالنبوة منه
وأن الله لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب انك واحد من الملائكة
وموازن لهم في المنزلة فما جعلك أحق منهم بها ألا ترى الى قوله تعالى حكاية عنهم
- وما نرى لكم علينا من فضل - ٠ ومن مشكلات التعريض حديث عمر بن عبد العزيز
رضي الله عنه قال حكى المرأة الصالحة خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون أن النبي
صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم وهو محتضن أحداً بنى ابنته وهو يقول والله انكم
لتعجبون وتبخلون وتجهلون وانكم لمن رنجان الله وان آخر وطئة وطئها الله بوج
٠٠ اعلم أن وج- واد بالطائف والمراد غزاة حنين واد قبل وج لانها آخر غزاة وقع بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين وأما غزوات الطائف وتبوك اللتان كانتا بعد

حين فلم يكن فيهما وطأة اى قتال وانما كانتا مجرد مخرج الى الغزاة حسب من غير ملاقة العدو أعنى ولا قتال لهم ووجه عطف هذا الكلام وهو قوله - وان آخر وطأة وطئها الله بوج - على ما قبله من الحديث وهو التأسف على مفارقة أولاده لقرب وفاته لأن غزوه حين كانت فى شوال سنة ثمان ووفاته كانت فى ربيع الاول من سنة احدى عشرة وبينهما سنتان ونصف وكأنه قال - وإنكم من ربحان الله - أى من رزق الله وأنا مفارقكم عن قريب إلا انه صانع عن قوله وأنا مفارقكم عن قريب بقوله - وان آخر وطأة وطئها الله بوج - فكان ذلك تعريضاً لما أراد وقصده من قرب وفاته ومفارقته إياهم يعنى اودلاه وهذا من أغرب التعريضات وأعجبها . ومن هذا الباب قول الشميدر الحارثي

بني سمنا لاتذكروا الشعر بعد ما دفتتم بصحراء الغمير القوافيا

فان ليس قصده الشعر بل قصده ما جرى بينهم بهذا الموضع من الغلبة لهم والقوة عليهم إلا انه لم يذكر ذلك بل ذكر الشعر ودفعه تعريضاً أى لانفخرون بعد ذلك الواقعة التى جرت لنا ولكم بذلك المكان . ومن أحسن التعريضات ما كتبه عمرو بن سعد الى المأمون فى حق بعض أصحابه أما بعد فقد استشفع فلان الى أمير المؤمنين لينطول فى الحاقه بنظرائه من الخاصة فأعلمته أن أمير المؤمنين لم يجعأ فى مراتب المستشفعين وفى ابتدائه بذلك بعد عن طاعته فوق المأمون فى كتابه قد عرفنا نصيحتك له وتعريضك لنفسك وأجبتك اليهما

- القسم التاسع عشر -

(الاستطراد)

وهو التعريض بعيب انسان بذكر عيب غيره لمتعلق أو نفي عيب عن نفسه بذكر عيب غيره مثل قوله تعالى « وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم » . ومثل قوله تعالى « فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة

والارضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ اِنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ۖ وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ « لَوْ كَانَ فِيْهَا اِلٰهٌ اِلَّا اللّٰهُ لَفَسَدَتَا » ۖ وَقَوْلُهُ تَعَالٰى « قَالَ مَنْ يُّحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۚ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِىْ اَنْشَأَهَا اَوَّلَ مَرَّةٍ » ۖ وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ

جَرَى الْقَضَاءُ بِمَا فِيْهِ فَلَا تَلُمُ وَلَا مَلَامَ عَلَى مَا خُطُّ بِالْقَلَمِ
 ۖ وَقِيلَ اِنْ الْاِحْتِجَاجُ اَنْ يَخْرُجَ الْكَلَامُ عَلَى طَرِيقَةِ الْجِدْلِ كَقَوْلِ النَّابِغَةِ
 مُلُوكٌ وَاِخْوَانٌ اِذَا مَا اَتَيْنَهُمْ اُحْكُمُ فِيْ اَمْوَالِهِمْ وَاَقْرَبُ
 كَفْعَلِكُ فِيْ قَوْمٍ اَرَاكَ اَصْطَنَمْتَهُمْ فَلَمْ تَرْهَمْ فِي شُكْرِ ذَلِكَ اِذْنَبُوا
 يَقُولُ لَا تَلْمَنِ فِي مَدْحِ آلِ جَفْنَةَ وَقَدْ اَحْسَنُوا اِلَى كَمَا اَحْسَنْتِ اِلَى قَوْمٍ فَشُكْرُوكَ فَلَمْ
 رَ ذَلِكَ ذَنْبًا

❦ القسم الثانى والعشرون ❦

(حسن المطالع والمبادئ ۖ ويقال فيه حسن الاقتراح)

قال علماء علم البيان ۖ ۖ ومن ضروب هذا العلم حسن المطالع والفوائح وذلك دليل
 على جودة البيان وبلوغ المعانى الى الاذهان فانه أول شئ يدخل الاذن وأول معنى يصل
 الى القلب وأول ميدان يحول فيه تدبر العقل وهو فى القرآن العظيم على قسمين ۖ جلى
 وخفى ۖ أما الجلى فكقوله تعالى « الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » ۖ وكقوله تعالى « الْحَمْدُ
 لِلّٰهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمٰتِ وَالنُّورَ » ۖ وقوله « تَبٰرَكَ الَّذِى
 بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » وأكثر مطالع سور القرآن على هذا النمط
 ۖ وأما الخفى فنسئلُ قوله تعالى « اَلَمْ ذٰلِكَ الْكِتٰبُ » ۖ وقوله « اَلَمْ اَللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا
 هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ » ۖ وقوله « الْمَصَّ » ۖ وقوله « حَمَّ » ۖ وقوله « قَ وَالْقُرْآنَ »
 ۖ وقوله « نون والقلم » وما يجرى مجرى ذلك من السور التى أفتتحت بالحروف المفردة
 والمركبة وسيأتى الكلام عليها فى فصل مفرد

— القسم الثالث والعشرون —

(حسن المقطع)

وهو عند أرباب هذا الشأن أن يحتم المتكلم كلامه بكلام حسن السبك بديع المعنى فانه آخر ما يبقى في الذهن ولانه ربما حفظ من دون سائر الكلام فيتعين أن يجتهد في رشايقه وحلاوته وجزائه وجميع خواتم سور القرآن في غاية الحسن ونهاية الكمال لانها بين • أدعية • ووصايا • وفرائض • وقضايا • وتحميد • وتهليل الى غير ذلك من الخواتم التي لا يبقى للنفوس بعدها تطاع ولا الى ما يعقبها تشوف — كالدعاء — التي ختمت به سورة البقرة — والوصايا — التي ختمت بها سورة آل عمران — والفرائض — التي ختمت بها سورة النساء — والتبجيل • والتعظيم — اللذين ختمت بهما سورة المائدة — والوعد • والوعيد — اللذين ختمت بهما سورة الانعام — والتحريض — على العبادة بوصف حال الملائكة الذي ختمت به سورة الاعراف — والحض على الجهاد • وصلة الرحم — التي ختمت بهما سورة الانفال • ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه وتسليته ووصيته بالتهليل التي ختمت به سورة براءة • وتسليته التي ختمت بها سورة يونس ومثلها خاتمة سورة هود • ووصف القرآن ومدحه اللذين ختمت بهما سورة يوسف • والرد على من كذب الرسول صلى الله عليه وسلم الذي ختمت به سورة الرعد • ومدح القرآن وذكر فائدته والعلّة في انزاله التي ختمت به سورة ابراهيم • ووصية الرسول التي ختمت بها سورة الحجر • وتسليته صلى الله عليه وسلم وطمانينته ووعد الله سبحانه الذي ختمت به سورة النحل • والتحميد الذي ختمت به سورة سبحان • وتحضيض الرسول صلى الله عليه وسلم على الابلاغ والاقرار بالبشرية والأمر بالتوحيد الذي ختمت به سورة الكهف • وما ذكر في نصف القرآن مثال لمن نظر في بقيته الى غير ذلك من فواصل القرآن

— القسم الرابع والعشرون —

(في براعة الاستهلال)

وهو أن يذكر الإنسان في أول خطبته أو قصيدته أو رسالته كلاماً دالاً على الغرض الذي يقصده ليكون ابتداء كلامه دالاً على انتهائه كما قيل لكانب أ كتب الى الامير وعرفه بأن بقرة ولدت حيواناً على شكل الانسان فكتب . أما بعد حمد الله الذي خلق الانام في بطون الانعام . ومنه قوله تعالى « ألم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيفلبون » . ومنه قوله تعالى « براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين » . ومنه في القرآن كثير . . وشرطه أن لا يتبدأ بشئ يُتطير منه كقوله الاخطل

إذا مُتَّ مات الجودُ واقطع الندى ولم يبقَ إلا من قليلٍ مُصرَّدٍ
.. وان يجنب التشبيب بالاسم المستكره كقول جرير

وتقول بوزعٍ قد دبت لغيرنا هلا هويت لغيرنا يا بوزع^(١)

.. بل يتبدى بالمدح مثل قول أبزون العماني

على منبر العلباء جدك يخطبُ ولبلدة العذراء سيفك يخطبُ

وفي النهاية بمثل قول المتنبي

المجدُ عوفي إذ عوفيت والكرمُ وزال عنك الى اعدائك الالمُ

.. وقول الآخر

أبشر فقد جاء ما تريدُ وبأدأ عداك المبيدُ

.. وفي التشبيب كمثل قوله

زُئِموا الجمالَ قتلٌ للعادلِ الجاني لعاصمِ اليوم من مدرارِ أجفاني

(١) هكذا في الاصل والمحموظ

وتقول بوزعٍ قد دبت على العصا هلا هزئت بغيرنا يا بوزع

•• وفي المراتي بمثل قول أوس

أيتها النفسُ أنجلى جزعا إن الذي تحذرين قد وقعا

(قال المصنف) عفا الله عنه هذا النوع قد قدمناه في فصل حسن المطلع لكن الزنجاني رحمه الله أفرد له باباً فأفردناه على حكم ما أفردناه وكان في فصل حسن المطلع زيادات يحتاج إليها فذكرناها هاهنا وهذه الزيادة التي اقتضت أفرادها

❧ القسم الخامس والعشرون ❧

(الانتقال من فن الى فن • ويسمى التخلص • والكلام عليه من وجوه)

الاول في حقيقته • الثاني في شرطه • الثالث في الفرق بينه وبين الاقتضاب •
الرابع في المعنى الذي جرى به من أجله • الخامس في ذكر من هو أحق باستعماله
(أما الاول) فقال علماء علم البيان التخلص هو أن يأخذ المؤلف في معنى من المعاني
فيما هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره وجعل الاول سبباً إليه فيكون بعضه آخذاً
برقاب بعض من غير أن يقطع المؤلف كلامه ويستأنف كلاماً آخر بل يكون جميع
كلامه كأنما أفرغ أفرافاً (وأما الثاني) فن شرطه أن يكون انتقاله من فن الى فن
ببديع وحسن رصف ووجازة لفظ ورشاقة معنى ليكون الذي انتقل اليه أقرب الى
القلب وأعلق بالنفس من المعنى الذي انتقل عنه (وأما الثالث) فالفرق بينه وبين
الاقتضاب أن التخلص لا يكون الا لعلاقة بينه وبين ما تخصص منه • وأما الاقتضاب
فليس شرطه أن يكون بينه وبين ما قبله علاقة بل يكون كلاماً مستأنفاً منقطعاً عن
الاول (وأما الرابع) فالمعنى الذي جرى به من أجله شيان • أحدهما معرفة حذق
المتكلم وقوة ملكته في التلاعب بالكلام وتصرفه فيه وطول باعه واتساع قدرته في
الفصاحة والبلاغة • والثاني التفنن بحصول ملاذ كثيرة وتكون لذته بأمور اقتضاها
اعمال للفكرة فيما يتخلص به من بديع المعنى ورشيق اللفظ وحسن النسق (وأما الخامس)

فالأحق باستعماله الشاعر فإن الشاعر تحصره القوافي والاوزان فيضيق عليه النطاق اذا اقتصر على معنى واحد فتدعو حاجته الى الخروج من فن الى فن ومن معنى الى معنى ليتسع نطاقه ويتحقق ارفاقه بخلاف الناثر فانه مطلق العنان بمدود الباع منبسط البنان يعضى حيث شاء ويتفنن في الانشاء.. وقد ورد في القرآن العظيم من هذا النوع آيات كثيرة • منها قوله تعالى « قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال أفأرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فأنهم عدو لي إلا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين » لما أراد الانتقال من أحوال أصنامهم الى ذكر صفات الله عز وجل قال - ان أولئك أعداء لي إلا الله - فانقل بطريق الاستثناء المنفصل وهو خير من غيره من الكلام ومثله في القرآن كثير

﴿ القسم السادس والعشرون ﴾

(في الاقتضاب والكلام عليه من وجوه)

الاول في حقيقته • الثاني في المعنى الذي أتى به من أجله • الثالث في أقسامه الرابع في أدواته • الخامس في الفرق بينه وبين النخاص • السادس في ذكر اختلاف الأئمة في الأبلغ منهما (أما الأول) فقال علماء علم البيان ان الاقتضاب ضد التخاص وذلك أن يقطع الناظم كلامه الذي هو فيه ويستأنف كلاماً آخر غيره من مدح أو هجاء أو غير ذلك ولا يكون لثاني علاقة بالأول ولا تلقيق بينه وبينه وهو مذهب القدماء ولذلك قال أبو الملاء محمد بن غانم الفاسمي ان كتاب الله العزيز خال من الاقتضاب والتخلص • وهذا القول فاسد لأن حقيقة التخلص انما هي الخروج من كلام الى كلام آخر غيره بلطفية تناسب بين الكلام الذي خرج منه والكلام الذي خرج اليه وفي القرآن العظيم مواضع كثيرة من ذلك كالخروج من الوعظ والتذكير والانذار والشارة بالجنة الى أمر ونهي ووعد ووعيد ومن محكم الى متشابه ومن صفة لنبي ونبي منزله

الى ذم شيطان مريد وجبار عنيد بلطائف دقيقة ومعان آخذة بالقلب أنيقة . . فما جاء من التخلّص في القرآن الكريم قوله تعالى « واتلّ عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لآبيه وقومه ما تعبدون قالوا انبئنا صنماً فنظّل لها عاكفين قال هل يسمعونكم إذ تدعون » الى قوله « فلو أنّ لنا كُرَّةً فنكون من المؤمنين » الآيات . هذا كلام يُذهل العقول ويحير الالباب وفيه كفاية لطالب البلاغة والمنتصب لهذه الصناعة فانه متى أنعم فيه النظر وتدبر أنباءه ومطاوى حكمته علم أنّ في ذلك غنى لمن تصفح الكتب المؤلفة في هذا الفن . ألا ترى أيها المتأمل ما أحسن ما رتب إبراهيم عليه الصلاة والسلام كلامه مع المشركين حين سألهم أولاً عما يعبدون سؤال مقرر لاسؤال مستفهم ثم اتّحى الى آلهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع والى تقليد آبائهم الاقدمين فكشفه وأخرجه من أن يكون شبهة فضلا عن أن يكون حجة ثم أراد الخروج من ذلك الى ذكر الاله الذي لا تجب العبادة إلا له ولا يبنى الرجوع والالابة الا اليه فصور المسئلة في نفسه دونهم لقوله - فانهم عدوّ لى الآ ربّ العالمين - على معنى انى فكرت في أمرى فرأيت عبادتى لها عبادة العدو وهو الشيطان فاجتنبتها وآثرت عبادة من اّخير كله منه وأراهم بذلك انها نصيحة ينصح بها نفسه لينظروا فيقولوا ما نصحنا إبراهيم الابنا نصح به نفسه فيكون ذلك ادعى لهم الى القبول وأبعث على الاستماع منه ولو قال - فانهم عدوّ لكم - لم تكن بتلك المثابة فتخلص عند تصويره المسئلة في نفسه الى ذكر الله تعالى وأجرى تلك الصفات العظام من تفخيم شأنه وتعدد نعمه من لدن خالقه وإنشائه الى حين وفاته مع ما يرجو فى الآخرة من رحمته ليعلم بذلك أن من هذه صفاته حقيق بالعبادة وواجب على الخلق الخضوع له والاستكانة من عظمتة ثم خرج من ذلك الى أدعية مناسبة فدعا الله بدعوات الخالصين وابتهل اليه ابتهاًل الأوايين لأن الطالب من مولاه والراغب اليه اذا قدّم قبل سؤاله وضراعتة الاعتراف بالنعمة والاقرار بالاحسان كان ذلك أسرع بالاجابة وأنجح لحصول القصد والطلبّة ثم أدرج فى ضمن دعائه ذكر البعث يوم القيامة ومجازاة الله تعالى لمن آمن به باثابة الجنة ولمن ضل عن عبادته بالنار فجمع بين الترغيب فى طاعته والترهيب من معصيته ثم سأل المشركين عما كانوا يعبدون من الاصنام سؤال

موبخ لهم مستهزء بهم وذكر ما يُدفعون اليه عند ذلك من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتبني العودة ليؤمنوا . . فانظر أيها المتأمل الى هذا الكلام الشريف الآخذ بعضه برقاب بعض مع احتوائه على لطيفة دقيقة حتى كأنه معنى واحد وخرج من ذكر الاصنام وتقريره لآبيه وقومه من عبادتهم إياها مع ما هي عليه من التعرى عن صفات الالهية حيث لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع الى ذكر الله تعالى فوصفه بصفات الالهية وعظم شأنه وعدد نعمه ليعلم بذلك أن العبادة لا تصح الا له ثم خرج من هذا الى دعائه إياه وخضوعه له ثم خرج منه الى ذكر يوم القيامة وثواب الله عز وجل وعقابه فتدبر هذه التخليصات اللطيفة وضم هذا الى غيره من تضمين هذا الكلام بأنواع من صناعة التأليف وهى الإيجاز والكناية والتقديم والتأخير ثم إنباء الفعل الماضى عن الفعل المضارع . فأما الإيجاز فلا خفاء به على العارف بما أشرنا اليه فى بابه الذى سبق ذكره أولا وان من جملة قوله تعالى « وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين » فانه جمع الترغيب فى طاعته والترهيب من معصيته مع عظمهما وغمامة شأنهما فى هذه الكلمات البسيرة . وأما الكناية فقوله - وبرزت الجحيم للغاوين - والغاوون هنا كناية عن آبيه وقومه وبدل على ذلك قوله وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله - لان كلامه فى الاول كان معهم فى عبادتهم للاصنام . وأما التقديم والتأخير فانه ذكر ابراهيم النعمة وتعيدد الاحسان قبل الدعاء وطلب الحاجة . وأما إنباء الفعل الماضى عن المضارع فقوله - وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله - بعد قوله - ولا تخزنى يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقبايٍ سامٍ - وفى ذلك من الفائدة ما أشرنا اليه فى بابه وقد سبق ذكره (وأما الثانى) فالغنى الذى أتى به من أجله تشوف النفس بعد قطع الكلام الاول الى الكلام الثانى الذى بعده ولا سيما اذا لم يكن بفاصلة فانه يدل على تمكن المتكلم فى البلاغة وقوة ملكته فى التلاعب بالكلام وجودة فكرة المؤلف وحسن فطرة السامع وصحة ذهنه (وأما الثالث) فقال علماء البيان هو على قسمين . منه ما يكون بفاصلة . ومنه ما لا يكون بفاصلة وهو بالفاصلة أحسن

لأن بها تشوف النفس الى المعنى الثانى فتكون له لذّة أشد مما اذا ورد بغتة (وأما الرابع) فأدواته فواصله وهى - أما بعد - وقيل إن أول من تكلم بهارسل الله ثم تداولها الناس بعده - وهذا - وهذه - وقد يذكر لهما خبر كقوله تعالى « هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب » وقد لا يذكر لهما خبر كقوله تعالى « هذا وإن للطاغين لشر مآب » وكما قال الشاعر

هذا وكلم لي بالجنينة سكرة أنا من بقايا شربها مخمور

• • وقد قال ابن الاثير فى جامعه فى قوله تعالى « واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب أولى الأيدي والأبصار » الى قوله « جنات عدن مفتحة لهم الأبواب » ألا ترى ما ذكر قبل هذا ذكر من ذكر من ذكر من الأنبياء وأراد أن يذكر بعده بابا آخر غيره وهو ذكر الجنة وأهلها فقال - هذا ذكر - ثم قال - وإن للمتقين لحسن مآب - ويدل عليه أنه لما أتم ذكر أهل الجنة وأراد أن يعقبه بذكر أهل النار قال - هذا وإن للطاغين لشر مآب - وذلك من فصل الخطاب الذى هو اللطف موقفاً من التخلص فاعرفه • • ومن بديع الاقتضاب قوله تعالى « ويل للمطففين » الى قوله « لرب العالمين » ثم اقتضب فقال « كلاً إن كتاب الأبرار لفي عليين » • • وهو فى القرآن كثير جداً وأكثر ما يرد فى ذكر القصص وهذا من النوع الاول من الاقتضاب لأنه بلا فاصلة • • وقال ابن الاثير ومما استطرف من هذا النوع قول ابن الزملى (١)

وليل كوج البر قعيدى ظلمة وبرر أعانيه وطول قرونه
سريت ونومى فيه نوم مشرد كعقل سليمان بن فهديودينه
على أولقى فيه التفات كأنه أبو جابر فى خطبه وجنونه
الى أن بدا ضوء النهار كأنه سناوجه قرواش وضوء جبينه

وقال إن هذه الابيات لها حكاية وذلك أن هذا الممدوح كان جالساً فى ندمائه فى ليلة

(١) ابن الزملى كان هذا تصحيح منا اعتماداً على حفظنا وفى الاصل ابن الزملى

• • وقد أورد الابيات التوخي فى كتابه الاقصى القريب فى باب التخلص والاقتضاب

ولم يسم القائل

من لبلى الشتاء وفي جلتهم هؤلاء الذين هجأهم الشاعر كان البرقيدي مغنياً وسليمان بن
فهد وزيراً وأبو جابر حاجباً فالتمس الممدوح من الشاعر أن يهجو المذكورين ويمدحه
(قال المصنف عفا الله عنه) هذا الذي ذكره ابن الاثير قد أورده علماء علم البيان في
باب الاستطراد وهو به أمس وأليق.

القسم السابع والعشرون

(في التطبيق)

ويسمى المطابقة والطباق والتكافؤ والتضاد . والكلام عليه من وجوه

الاول في حقيقته . الثاني في اشتقاقه . الثالث في أقسامه (أما الاول) فقال علماء
علم البيان هو أن يجمع في الكلام بين متضادين مع مراعاة التقابل بحيث لا يضم الاسم
الى الفعل ولا الفعل الى الاسم وهو كقوله تعالى « فليضحكوا قليلاً ولينكوا كثيراً »
وقوله تعالى « وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود » . وقوله تعالى « سواء منكم من أسر
القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار » . وقوله تعالى « قل
اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتغزى من تشاء وتذل
من تشاء بيدك الخير » الى قوله « وترزق من تشاء بغير حساب » . وقوله تعالى
« وأنه هو أضحك وأبكى » ومثله في القرآن كثير . ومن ذلك في أشعار العرب
ومخاطباتهم كثير . فن بديع أشعار العرب قول الحارث بن حنظلة

بأنا نوردُ الرأيات بيضاً ونصدرُهنَّ حمراً قدروينا

جمع في هذا البيت بين الطباق والمقابلة . . وأبدع منه قول بعض المتأخرين

فاوردَها بيضاً ظمأً صدورها وأصدرَها بالزرى ألوانها حمراً

. . قال ابن الاثير أجمع جماعة علماء من أرباب هذه الصناعة على أن المطابقة في الكلام
هي الجمع بين الشيء وضده كاليابس والسواد والليل والنهار وخالفهم في ذلك أبو الفرج

قدامة بن جعفر الكاتب فقال المطابقة اراد لفظتين متساويتين في البناء والصفة مختلفتين في المعنى وهذا الذى ذكره قدامة هو التجنيس بعينه غير أن الاسماء لا مشاحة فيها إلا اذا كانت مشتقة ولنظر نحن فيما حمله على ذلك • والذى حمل قدامة على ذلك ما اقتضاه اشتقاق لفظ الطباقي وسنبينه (وأما الثانى) فاشتقاق الطباقي وأصله فى اللغة من طابق البعير فى سيره اذا وضع رجله • وضع يده وهذا يقوى قول قدامة لان اليد غير الرجل لا ضدها والموضع الذى يقعان فيه واحد فكذلك المعنيان يكونان مختلفين واللفظ الذى يجمعهما واحداً • • وأما الجماعة فيحتل أن يكونوا رأوا أن الرجل مخالفة ليد فراعوا المخالفة والضد مخالف للضد لا اجتماع لهما وهذا عين التضاد • ويجوز أن يكون الجماعة سموا هذا الضرب من الكلام مطابقة تسمية مرتجلة لا اشتقاق لها ولا مناسبة وهذا هو الظاهر من هذا الأمر إلا أن يكونوا قد علموا لذلك مناسبة لطيفة لم يطلع عليها غيرهم والصحيح هو الأول لأن بعضهم سماه التضاد وهذا دليل على مراعاة الاشتقاق (وأما الثالث) فقد قسم أرباب علم البيان الطباقي الى قسمين • لفظى • ومعنوى • • أما اللفظى فهو على قسمين • الاول ما قدمناه • والثانى أن يجمع بين شيئين موافقين وبين ضديهما ثم اذا اشتراطهما بشرط وجب أن يشترط ضديهما بضد ذلك الشرط كقوله تعالى « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى » الآية • فكما جعل التيسير للتيسر مشروطاً بالاعطاء والتقى والتصديق جعل ضده وهو العسر مشروطاً بأضداد تلك الامور وهى المنع وعدم الاتقاء والاستغناء والتكذيب • • وأما المعنوى فعلى قسمين الاول أن يزاوج بين معنيين فى الشرط والجزاء كقول البحترى

(١)

• • والثانى فى النفي كقول البحترى أيضاً
 يُقَيِّضُ لى من حيثُ لا أعلمُ النوى ويسرى إلى الشوق من حيثُ أعلمُ
 • • والطباقي فى القرآن كثير • • ومنه فى السنة قوله صلى الله عليه وسلم — علم الانساب

علم لا ينفع وجهل لا يضر - وقوله صلى الله عليه وسلم في مدح الانصار - إنكم لتقولون عند الطمع وتكثرون عند الجزع .. ومن الطباق البديع قول الشاعر
 إن هذا الربيع شيء عجيبٌ تضحك الأرض من بكاء السماء

❦ القسم الثامن والعشرون ❦

(المقابلة • والكلام عليها من وجوه)

الأول في حقيقتها • الثاني في اشتقاقها • الثالث في أقسامها • الرابع في الفرق بينها وبين الطباق (أما الأول) فقال جماعة من العلماء بهذا الشأن المقابلة ذكر الشيء مع ما يوازيه في بعض صفاته ويخالفه في بعضها .. وقال بعضهم المقابلة أن تضع معاني تريد الموافقة بينها وبين غيرها أو مخالفة فتأتي في الموافق بما وافق وفي المخالف بما خالف وتشترط شروطاً وتعدد أحوالاً في أحد المعنيين فيجب أن تأتي في الثاني بما يوافقه بمثل ما شرطت وعددت وفيما يخالفه بأضداد ذلك كقوله تعالى « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى » وكقول الشاعر

فيا عجيباً كيف اتفقنا ففناصح وفي مطوى على الغل غادر

(قال المصنف عفا الله عنه) قال الامام نضر الدين رحمه الله هذا النوع في فصل الطباق وذكره الزنجاني في فصل المقابلة والذي اختاره العلماء المتقدمون في هذا الفن أن المقابلة ذكر الشيء مع ما يوازيه في بعض صفاته ويخالفه في بعضها كما تقدم (وأما الثاني) فالمقابلة مصدر من قابل الشيء الشيء يقابله مقابلة إذا واجهه وصار ماثلاً أمامه وهو من باب المفاعلة كالمضاربة والمقاتلة وأصله في الاجرام يقال قابل الشخص الشخص والجبل الجبل إذا واجهه وناوحوه إذا صار موازياً له ماثلاً أمامه ثم توسع فيه حتى استعمل في المعاني ولما وضع المؤلف الكلمة بازاء الكلمة الأخرى والمعنى بازاء المعنى الآخر حصلت المقابلة من جهة اللفظ تارة ومن جهة المعنى أخرى (وأما الثالث) فأقسامها ثلاثة •

مقابلة لفظية • وهى على قسمين وقد تقدم • ومقابلة معنوية • وهى على قسمين أيضاً •
الاول أن يقابل معنىً بمعنىً مثل « إنَّ لك أن لا تجوعَ فيها ولا تمرى وأنت لا تنظماُ
فيها ولا نصحى » وجهُ المقابلة فى هذه الآية أن - الجوع - هو خلوة الباطن - والعزى -
خلو الظاهر - والظماُ - احتراق الباطن - والنصحى - احتراق الظاهر • فقابل الخلو
بالخلو والاحتراق بالاحتراق • والثانى أن يجىء فى السلب كقول الفرزدق

لعمري لئن قلَّ الحصى فى رحالكم بنى نهشل ما لؤمكم بقليل

• والثالث المقابلة الفاسدة وهو أن يقابل الشئ بما لا يوافقه ولا يخالفه كقول الكميت
وقد رأين بها حوراً منعمة بيضا تكامل فيها الدل والشنب

- والشنب - لا يشاكل الدل • وهذان القسمان ذكرهما الزنجاني فى تكلماته • والمقابلة
قريب من الطباق للشابهة من بعض الوجوه والمخالفة من وجهين نذكرها بعد هذا
القسم (وأما الرابع) فالفرق بين المقابلة والطباق من وجهين • الاول أن الطباق
لا يكون إلا ضدّين غالباً مثل قوله تعالى « وهو الذى يُميتكم ثم يُحييكم » وأشبه ذلك
• والمقابلة تكون غالباً بالجمع من أربعة أضداد • ضدّين فى أصل الكلام • وضدّين فى
عجزه • وتبلغ الى الجمع من عشرة أضداد • خمسة فى الصدر • وخمسة فى العجز • • الثانى
لا يكون الطباق إلا بالأضداد والمقابلة تكون بالأضداد وغيرها • وقد ورد فى أشعار
العرب والمتأخرين أبيات كثيرة يتضمن البيت منها مقابلتين وطباقين • • فى ذلك قول
الحارث بن حلزة

باتاً نورِدُ الرايات بيضاً ونصْدِرُهنَّ نحرأقدرَ وينا

• • ومن ذلك قول بعض المتأخرين

فأوردها بيضاً ظمأ صدورها وأصدرها بالرّى ألوانها حمر

• • قال ابن الاثير فى جامعہ ان الطباق أحد أنواع المقابلة لانه لا يخلو الحال فى ذلك
من ثلاثة أقسام • اما أن يقابل الشئ بضده أو بغيره أو بمثله وليس لنا قسم رابع •
فأما الاول وهو مقابلة الشئ بضده كالسواد والبياض وما أشبه ذلك كقوله تعالى
« فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً » ألا ترى الى صحة هذه المقابلة البديعة حيث قابل

الضحك بالبكاء والقليل بالكثير • وكذلك قوله تعالى « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » وهذا أحسن ما يجيء في هذا الباب • وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - خير المال عين ساهرة لعين نائمة - ومن هذا قول بعضهم في السحاب وله بلا حزن ولا فرح ضحك يراوح بينه وبكا

فقابل الضحك بالبكاء والحزن بالسرور في بيت واحد إلا أن في ذلك نظراً من حيث ترتيب التفسير لامن حيث المقابلة لأن ترتيب التفسير يقتضى أن كان قال - بلا حزن ولا مسرة بكاء يراوح بينه وضحك - وهذا لا كبير عيب فيه • وإنما الأولى والأليق ما أشرنا إليه فاعرفه • • وقال آخر

فلا الجود يُفنى المالَ والجَدُّ مَقْبَلٌ ولا البخلُ يَبقى المالَ والجَدُّ مُدْبِرٌ • • ومثله قول البحترى

وأمة كأن قبحُ الجورِ يَسْخَطُها دهرًا فأصبحُ حَسَنُ العَدْلِ يُرْضِيا • • فقابل القبح بالحسن والجور بالعدل والسخط بالرضا وذلك بديع في بابه فاعرفه • وأما القسم الثاني وهو مقابلة الشيء بغيره فهو ضربان • أحدهما ما كان بين المقابل والمقابل له مناسبة وتقارب كقول بعضهم

يَجْزُونَ مِنْ ظَلَمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفَرَةً • ومن أساء أهل السوء إحساناً والظلم ليس ضد المغفرة وإنما هو ضد العدل إلا أنه لما كانت المغفرة قريبة من العدل مناسبة له حسنت المقابلة بينها وبين الظلم وأمثال هذا كثير • وأما القسم الثاني أن يقابل الشيء بالشيء وبينهما بُعد ولا يناسبه بحال من الأحوال • أقول وذلك لا يحسن استعماله في التأليف • • ومما جاء منه قول بعضهم

أَمْ هَلْ طَعَائِنُ بِالْعِيبَاءِ رَافِعَةٌ • • وإن تكامل منها الدل والشنب

فإن ذلك غير مناسب لأنه إنما كان يحسن أن يكون مع الدل الفنج أو ما قاربه ومع الشنب اللبس أو ما يجري مجراه من أوصاف الثغر والفم • وأما الثالث فهو أن يقابل الشيء بمثله وهو ضربان • أحدهما التقابل في اللفظ والمعنى • والآخر التقابل في المعنى دون اللفظ • أما التقابل في اللفظ والمعنى فكقوله تعالى « وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرًا مَكْرًا » وقوله

تعالى « فَنَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ » . وأما التقابل في المعنى دون اللفظ فهي متعاقبة الجملة لمثالها
مستقبله كانت أو ماضية فإن كانت ماضية قوبلت بالماضية وإن كانت مستقبلية قوبلت
بالمستقبلية وربما قوبل الماضي بالمستقبل والمستقبل بالماضي وذلك إذا كان أحدهما في معنى
الآخر . فمن ذلك قوله تعالى « قل إن ضللتُ فأتيتُ أضل على نفسي وإن أهديتُ فيها
يوحى إلى ربِّي » فإن هذا تقابل من جهة المعنى ولو كان التقابل من جهة اللفظ لقال وإن
أهديتُ فأتيتُ فأتيتُ لها . . . وبيان تقابل هذا الكلام من جهة المعنى أن النفس كما
هو عليها فهو بها أعنى أن كل ما هو وبالٌ عليها وضار لها فهو بسببها ومنها لأنها أمانة
بالسوء وكل ما هو لها مما ينفعها فبهديتها ربها وتوفيقه إياها وهذا حكم عام لكل مكلف
وإنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسند إلى نفسه لأن الرسول إذا دخل تحتها
مع علو محله وسداد طريقته كان غيره أولى به . ومن هذا الضرب قوله تعالى « أَلَمْ يَرَوْا
أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنَا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِن فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » فإنه لم
يراعِ التقابل في قوله - ليسكنوا فيه فيه . ومبصراً - لأن القياس يقتضي أن يكون
والنهار ليصروا فيه وإنما هو مراعى من جهة المعنى لا من جهة اللفظ وهكذا النظم
المطبوع الغير المتكلف لأن معنى قوله مبصراً ليصروا فيه طرق القلب في الحاجات . ومن
مقابلة الشيء بمثله أنه إذا ذكر الموءلف ألفاظاً تقتضي جواباً فالمرضى عندنا أن يأتي بتلك
الألفاظ في الجواب من غير عدول عنها إلى غيرها مما هو في معناها . فمن ذلك قوله تعالى
« وَجِزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا » . ومما عيب في هذا الباب قول بعضهم من اقترف ذنباً عامداً
أو اكتسب جرماً قاصداً لزمه ما جناه وحق به ما توخاه . والأليق إن كان قال لزمه
ما اقترف وحق به ما اكتسب ليكون أحسن طباقاً وإن كان ذلك جائزاً في الكلام
من حيث أن معناه صواباً لكنه عدول عن الأليق والأولى في هذا الباب وأمثاله كثيرة
فأعرفها . . . واعلم أن في تقابل المعاني باباً عجيب الأمر يحتاج إلى فضل تأمل وزيادة نظر
وتدبر وهو يختص بالفواصل من الكلام المنثور وبالعجاز من أبيات الشعر . . . فما جاء
من ذلك قوله تعالى في حق المنافقين « وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا » إلى
قوله « ولكن لا يشعرون » . وقوله تعالى « وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا »

الى قوله « ولكن لا يعلمون » ألا ترى كيف فصل الآية الأخيرة بـ « يعلمون » والآية التي قبلها يشعرون وانما فعل ذلك لان أمر ابدانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة والعلم ولذلك قال - ولكن لا يشعرون - وأما التفاق وما فيه من المعنى المؤدى الى الفتنة والفساد في الارض فأمر ديني مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصاً عند العرب وما كان فيهم من التجارب والتعاون فهو كالحسوس عندهم فذلك قال - يعلمون - وأيضاً فإنه لما ذكر السفة في الآية الأخيرة وهو جهل كان ذكر العلم معه أحسن طباقاً قال - لا يعلمون - وآيات القرآن العظيم جميعها فصلت هكذا كقوله تعالى « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فنصبغ الارض مخضرةً إن الله لطيفٌ خبيرٌ » . وقوله « له ما في السموات وما في الارض وإن الله لهو الغنى الحميد » . وكقوله « ألم تر أن الله سخر لكم ما في السموات والارض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الارض إلا باذنه إن الله بالناس لرؤوفٌ رحيمٌ » فإنه انما فصلت الآية بلطيف خبير لان ذلك في موضع الرحمة لخلقه بانزال الغيث واخراج النبات من الارض ولانه خير بمنفعتهم ومضرتهم في انزال الغيث وغيره . وأما الآية الثانية فانما فصلت بغنى حميد لانه له ما في السموات وما في الارض فعرف الناس أن جميع ما في السموات وما في الارض له لا حاجة بل غنى عنها جواد بها لان ليس غنى نافعاً بغناه الا اذا كان جواداً منعماً واذا جاد وأنعم حمده المتعم عليه واستحق عليه الحمد فذكر الحميد - ليدل على أنه الغنى النافع يقتناه خلقه . وأما الآية الثالثة فانما فصلت - برؤوف رحيم - لانه لما عدد للناس ما أنعم به عليهم من تسخير ما في الارض لهم واجراء الفلك في البحر لهم وتسييرهم في ذلك الهول العظيم وجعله السماء فوقهم وامساكه اياها عن الوقوع حسن أن يفصل ذلك بقوله - رؤوف رحيم -

❦ القسم التاسع والعشرون ❦

(الاحتراس)

وهو أن يذكر لفظاً ظاهره الدعاء بالخير والنفع وذلك بما في ضمنه مما يوهم الشر فيذكر فيه كلمة تزيل ذلك الوهم وتدفع ذلك الوهن مثل قوله تعالى « يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا » وكان في العادة أن من تكلم في المهد لا يعيش ولا يتمادى به العمر فصل الاحتراس بقوله تعالى - وكهلا - يريد أنه ليس يموت عاجلاً كما مثاله ممن تكلم في المهد بل يعيش إلى أن يبلغ السكولة . ومنه قوله تعالى « وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ » أزال بقوله - من غير سوء - توهم أن بياض اليد من برص وغيره . . . وقد ورد في أشعار العرب من هذا كثير . من ذلك قول بعضهم

فسقا ديارك غير مُفسدها صوب الرِّبْعِ وديمة تهبي

فاحترس بقوله - غير مفسدها - لأن تكرار الماء على الديار مما يوجب الدمار . . . وقال آخر

ألا فاسلمى يا دارمى على اليبلا ولا زال منها لأبجر عائك القطر

فاحترس بقوله - ألا فاسلمى - ومثله في القرآن والشعر كثير

❦ القسم الموفى ثلاثين ❦

(الاختصاص)

وهو عند الأصوليين التخصيص واختلفت فيه عبارات أهل العلم . . . فقال بعضهم هو اخراج صورة من حكم كان يقتضيها الخطاب به لولا التخصيص وهو شبيه بالنسخ من حيث اشتراكهما في الابس ومن حيث أن كل واحد منهما يقتضى اختصاص الحكم ببعض ما تناوله اللفظ إلا أنهما يفترقان من وجوه خمسة . الاول أن الناسخ أبداً

لا يكون إلا متأخراً عن المنسوخ كذا وقع في جميع ما نسخ من الكتاب والسنة إلا في آيتين . أحدهما قوله تعالى « مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ » فلها منسوخة بما قبلها وهو قوله تعالى « وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَزُرُّونَ أَزْوَاجاً يَتَزَيَّعْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً » وهذا على خلاف الأصل وقد يعتذر عن هذا بأن آية الحَوْل إنما تسخت بالسنة لكن لا يتأتى هذا إلا على قول من يقول إن السنة تسخ الكتاب . وأما على قول أنها لا تسخ فلا يتأتى هذا . وقد يقال إن آية الحَوْل نزلت قبل آية الأشهر ولكن آية الأشهر أثبتت في الصحف قبلها فكان آية الحَوْل مقدمة في النزول متأخرة في التلاوة (الثاني) أن النسخ لا يكون إلا بخطاب رفع به حكم الخطاب الأول والتخصيص قد يقع بقول وفعل وقياس وغير ذلك (الثالث) أن نسخ الشيء لا يكون إلا بما هو مثله في القوة أو بما هو أقوى منه في الرتبة والتخصيص جائز بما هو دون المخصوص في الرتبة (الرابع) أن التخصيص لا يقع في حكم واحد والنسخ جائز في مثله لاسيما على أصل من ينفى نسخ الشيء قبل وقته (الخامس) أن التخصيص ما أخرج من الخطاب ما لم يرد به والنسخ رافع ما أريد إثبات حكمه . والذي اعتد عليه المحققون أن التخصيص إخراج بعض ما تناوله اللفظ العام أو ما يقوم مقامه بدليل منفصل في الزمان إن كان المخصص لفظياً أو بالحس إن كان عقلياً قبل تقرير حكمه . فقولنا - أو ما يقوم مقامه - احتراز من المفهوم فانه يدخله التخصيص . وقولنا - بالزمان - احتراز من المستثنى من الاستثناء . وقولنا - بالحس - لأن العقلي المخصص مقارن . وقولنا - قبل تقرير حكمه - احتراز من أن يعمل بالعام فإن الإخراج بعد هذا يكون نسخاً . . . والتخصيص يسميه أرباب علم البيان الاختصاص عندهم ولا يحسن إلا أن يكون اختصاص الشيء بمعنى ظاهر مثل قوله تعالى « وَإِنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى » اختصاصه دون سائر النجوم لأنها عبدة . وقيل إن النجوم تقطع السماء طولا وهي تقطعها عرضاً . وقيل لأن المنجمين بطلوعها يتكلمون على الغيبات وما يحدثه الله في ملكه من الكائنات وينسبون ذلك إلى طلوعها وإن هذه الحوادث في كل عام من تأثيرها فرد الله ذلك عليهم بإعلامنا بأنها مدبرة بتدبيره مقدرة بتقديره متصرفة بمشيئته إذ هو ربها ورب كل شيء وهو على

كل شيء قدير .. ومن هذا النمط قوله تعالى « فیهما فاکهة ونخل ورمان » وهذا لا يتأتى إلا على قول من يقول أن الرمان والرطب فاکهة . وأما على قول من يقول أنهما ليسا من الفاکهة فلا يكون من هذا النوع .. ومن ذلك قوله تعالى « مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ » أعاد الله ذكر جبريل وميکال مع أنهما من الملائكة بلا خلاف لخصوصية فیهما إما لأمر اختص بعلمه بهما اقتضى تخصيصهما أو لأن جبريل روح الله وأمينه على وحيه وميکال أمينه على خزائن فتحه ورحمته . وفي أشعار العرب كثير من ذلك نحو قول الخنساء أخت صخر

يَذْكُرْنِي طُلُوعَ الشَّمْسِ صَخْرًا وَأَنْدُبُهُ لِسُكْلِ غُرُوبِ شَمْسٍ
وانما خصت هذين الوقتين لأن طلوع الشمس يذكرها بغارته على أعدائه وغروبها يذكرها باقراؤه ضيفانه فاخصت لهذين الوقتين من بين سائر الاوقات لهذين المعنيين . وعبارات التخصيص ثلاثة . الأولى انما جاءني زيد . الثانية جاءني زيد لاعمر . والثالثة ما جاءني الا زيد . فيفهم من الأولى تخصيص . طلاق المجيء أو تخصيص مجيء معين ظنه المخاطب مخصوصاً بغيره أو مشاركا غيره فيه فأفاد اثباته لزيد ونفيه عن غيره دفعة واحدة ومن الثانية في دفعتين والثالثة بأصل الوضع تفيد نفي التشريك ولهذا لا يصح ما زيد الا قائم لا قاعد لانك بقولك - إقام - نفيت عنه كل صفة تنافي القيام فيندرج فيه نفي القعود فيقع - لا قاعد - تكراراً ويصح انما زيد قائم لا قاعد فان صيغة - انما - موضوعة للتخصيص ويلزمه نفي الشركة فليس له من القوة ما يدل عليه بالوضع ولهذا يصح زيد هو الجاني لا عمرو فدلالة الأولين على التخصيص أقوى ودلالة الثالثة على نفي التشريك وقد تذكر الثالثة في مثل ما اذا ادعى واحد أنك قلت قولاً ثم قالت بخلافه فتقول ما قلت الا ما قاتته قبل . وعليه قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام « ما قلت لهم الا ما أمرتني به » ليس المعنى اني لم أزد على ما أمرتني به أن أقوله شيئاً ولكن المعنى اني لم ادع بما أمرتني به أن أقوله شيئاً ولم يذكر ما يخالفه .. وحكم - غير - لذا وقع موقع - الا - حكم الا .. وأما - انما - فالاختصاص فيها يقع مع

المتأخر فاذا قلت انما ضرب عمراً زيد فالاختصاص فى الضارب كما قال سبحانه وتعالى « انما يخشى الله من عباده العلماء » واذا قلت انما ضرب زيد عمراً فالاختصاص فى المضروب واذا قلت انما هذا لك فالاختصاص فى - لك - بدليل أنك تقول بعده لا لغيرك واذا قلت انما لك هذا فالاختصاص فى - هذا - بدليل أنك تقول بعده لا ذاك . قال الله تعالى « فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب » فاذا وقع بعدها الفعل فالمعنى أن ذلك الفعل لا يصح الا من المذكور كقوله تعالى « إنا يتذكر أولو الالباب » . . . وقد يجمع معها حرف النفي إما متأخراً كقولك انما جاءنى زيد لا عمرو واما متقدماً كقولك ما جاءنى زيد وانما جاءنى عمرو . فهناك لو لم تدخل - انما - كان الكلام مع من ظن أيهما جاءك وان أدخلها كان الكلام مع من غلط فى الجأنى ولو قلت ان عمراً جاءنى فان كانت المستغنى عنها فظهرت فائدة دخول - ما - على - إن - فى - انما - . . . واعلم أن موضوع - انما - أن يجىء فى أمر لا يدفع المخاطب صحته كقوله تعالى « انما يستجيب الذين يسمعون » أو ينزل بعده منزلته كقول الشاعر

إنما مصعبٌ شهابٌ من الله تجلّت عن وجهه الظلماءُ

فادعى كونه بهذه الصفة بما لا ينكره أحد . ومثله قوله تعالى حكاية عن اليهود « واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مُصلِحون » الذى يدعون انهم مصلحون أمر ظاهر معلوم فلذلك أكد الأمر فى الرد عليهم فجمع فيه بين - ألا - التى هى للتنبيه و - إن - التى هى للتحقيق - وهم - التى هى للتأكيد فقال « ألا انهم هم المفسدون » . . . وقال ابن الاثير وهم يرون بالتخصيص فى أعمال العام فى النفي والخاص فى الاثبات مثال ذلك الحيوانية والانسانية فان اثبات الانسانية يوجب اثبات الحيوانية ولا يوجب نفيها نفي الحيوانية وكذلك نفي الحيوانية يوجب نفي الانسانية ولا يجنب اثباتها اثبات الانسانية . . . ومما يدخل فى هذا الباب الاسماء المفردة الواقعة على الجنس الذى يكون الفرق بينها وبين واحدها تاء التأنيث فانه متى أريد النفي كان استعمال واحدها أبلغ ومتى أريد الاثبات كان استعمالها فى الجنس أبلغ . فالاول هو الخاص والعام نحو قوله تعالى « مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم » ولم يقل

بضوئهم لأن ذكر النور في حالة النفي أبانغ من حيث أن الضوء فيه الدلالة على النور وزيادة فلو قال ذهب الله بضوئهم كان المعنى يعطى نفي تلك الزيادة وبقاء ما يسمى نوراً لان الاضاءة هي فرط الانارة دليله قوله تعالى « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا » فكل ضوء نور وليس كل نور ضوءاً . والفرض من قوله - ذهب الله بنورهم - انما هو ازالة النور عنهم رأساهو اذا ازاله فقد ازال الضوء . وكذلك قوله تعالى « ذهب الله بنورهم » ولم يقل اذهب الله نورهم لأن كل من ذهب بشئ فقد اذهبه وليس كل من اذهب شيئاً ذهب به لأن الذهاب بالشيء هو استصحابه له ومضى به . وفى ذلك نوع احتياز للمذهوب به وامساك له عن الرجوع الى حاله والعود الى مكانه وليس كذلك الازهار للشيء لزوال معنى الاحتياز وهذا كلام دقيق يحتاج الى زيادة تأمل وانعام نظر فافهمه وقس عليه ما أشبهه وبالله التوفيق

— ••• —

— القسم الحادى والثلاثون —

(الاختراع)

قال علماء علم البيان •• الاختراع هو أن يذكر المؤلف معنى لم يسبق اليه واشتقاقه من التليين والتسهيل يقال نبت خرع اذا كان ليناً فكان المتكلم سهل طريقه حتى أخرجه من العدم الى الوجود •• ومنه فى القرآن كثير •• من ذلك قوله تعالى « إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسألهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب » ولم يُسمع بمثل هذا التمثيل البديع لأحد قبل نزول القرآن ولو سُمع لكان القرآن سابقاً ولا يكون مثله ولا قريباً منه وكذلك جميع أمثال القرآن ليس لها أمثال •• ومثال ذلك من السنة النبوية قوله صلى الله عليه وسلم - حمى الوطيس - فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من تكلم بهذا حين قدم المسلمون خالد بن الوليد فى غزوة مؤتة حين حمل خالد فى العدو

- والوطيس - هو الثور فعب بشدة حميه ووقوده عن شدة الحرب واتقادها واتقاد نارها حين حمل خالد بن الوليد رضى الله عنه . ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم - السعيد من وعظ بغيره - . ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم - أما بعد - ومثل هذه الكلمات فى السنة كثير وليس هذا موضع إحصائها ولا محل استقصائها

القسم الثانى والثلاثون

(الهدم)

وهو أن يأتى غيرك بكلام تضمن معنى فتأتى أنت بضده فكأنه قد هدم ما بناه المتكلم الاول كقول أبى تمام

وبروحى القمر الذى بمحجرٍ أضحى مصوناً للثوى مبذولا

هدمه بعض الشعراء فقال

وبروحى القمر الذى لم يُبتدلْ بل حلّ وسط القلب لا بمحجرٍ

.. وقال البلاذرى

وقد يرفعُ المرءُ اللثيمُ حجابَهُ ضعةً ودون العُرفِ منه حجابُ

هدمه الآخر فقال

ملكٌ أغرٌ محجبٌ معروفاً لا يحجبُ

• ومنه فى كتاب الله العزيز كثير .. من ذلك قوله تعالى « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه » هدمه الله تعالى بقوله « والله لا يحب الظالمين » . وقوله « ما اتخذ الله من ولدٍ وما كان معه من إلهٍ » . وقوله تعالى « فلم يُعذِّبكم بذنوبكم » تقديره إن كنتم فيما ادعيتم صادقين فلم يعذبكم بذنوبكم . ومنه قوله تعالى « وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله » هدمه الله عليهم بقوله « ذلك قولهم بأفواههم » . وقوله « ما اتخذ الله من ولدٍ » . ومنه قوله تعالى « إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله » هدمه الله بقوله « والله يشهد إن المنافقين لكاذبون » .. ومثله فى القرآن الكريم كثير وفى الشعر هو كثير أيضاً

القسم الثالث والثلاثون

(الاستفهام)

وهو على قسمين • استفهام العالم بالشيء مع علمه به • ومراده بذلك معان ستة (الاول) التقرير ومرادك باستفهامك عن ذلك الشيء أن يقربه الفاعل كقوله تعالى حكاية عن قوم نمرود «أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بَالِهَتِنَا يَا أَبْرَاهِيمَ» ولا شبهة أنه ليس غرضهم أن يقر لهم بوجود كسر الاصنام ولكن غرضهم أن يقرّ بأن ذلك منه لا من غيره. (الثاني) يراد به الانكار وهو كقوله تعالى «أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ» وقوله تعالى «أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ» والانكار هاهنا في نفس الفعل أنكر الله عليهم كونهم جعلوا الملائكة إناثا وقالوا هم بنات الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً • وكذلك قوله تعالى «اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ» المقصود إنكار أصل الاذن لانكار انه كان من غير الله وأضافوه الى الله • وكذلك قوله تعالى «الَّذِينَ حَرَّمَ أَمْ الْأُنثَيْنِ» تقديره لو وجدتم التحريم لكان محرماً إما ذا أو ذاك ثم يستدل ببطلان الاصلين على بطلان القسمين على بطلان أصل التحريم • ومثله قولك للرجل الذي بدعى أمراً وأنت تنكره متى كان هذا في ليل أم نهار - وتقديره لو كان لكان إما في ليل وإما في نهار ولما لم يوجد فيهما ثبت أنه ليس بوجود أصلاً • فكذلك تقول في الآية فاتها نبي لأصل الاذن لنبي أقسامه وذلك أبلغ في النفي • وكذلك قوله تعالى «أَنْتَزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ» حصل الانكار هاهنا بنفس الالتزام • • وكذلك قول الشاعر

* أَتَقْتَلُنِي وَالْمَشْرِفِي مُضَاجِمِي *

• • واعلم أن الاستفهام بمعنى الانكار حاصله راجع الى تنبيت السامع على فساد ذلك الشيء حتى يرجع الى نفسه فيخجل ويرتد عنه فعلى هذا لا يتصور الا بالحال على سبيل أن يقال له - أنت في دعواك كن يدعي المحال - وعلى هذا جعل قوله تعالى «أَأَنْتَ

نسمع الصم أو تهدي العُنى » وليس اسماع الصم مما يدعيه أحد فيكون لذلك الانكار وانما المعنى فيه تنزيل من يحاول اسماعهم منزلة من يحاول اسماع الصم وانما قدم الاسم في هذه الآية ولم يقل - أفسمع الصم - لمعنى وهو اختصاصه صلى الله عليه وسلم كأنه تعالى قال له صلى الله عليه وسلم أنت خصوصاً تظن أنك تقدر على اسماعهم فتكون بمنزلة من ظن أن لنفسه قدرة على اسماع الصم . . . واعلم أن حال المفعول في ذلك كحال الفاعل فاذا قدِّمت المفعول توجه الانكار الى كونه بمثابة أن يوقع به مثل ذلك الفعل فاذا قلت - أزيداً تضرب كان على هذا الحكم ولهذا قدِّم - غير - في قوله تعالى « قل أغير الله أخذ ولياً » . ومن ذلك قوله تعالى « أبشراً منا واحداً يتبعه » وقد تقدم بيانه فانهم بنوا كفرهم على أن البشر ليس بمثابة أن يتبع ويطاع . . . واعلم أن صيغة المستقبل إما أن يكون الاسم مقدماً أو الفعل فان كان الاسم مقدماً اقتضى شيئاً بما اقتضاء في الماضي بمطابقته من الاقرار بكونه فاعلاً فالانكار لذلك . فمثال ذلك قوله تعالى « أ هم يقسمون رحمة ربك » (الثالث) الاستفهام للمبالغة في الاستحقار مثل قولك الرجل تستحقره - أنت تمنعني أنت تضربني - ومنه قوله تعالى « أبشراً منا واحداً يتبعه » . وقوله تعالى « قل أغير الله أخذ ولياً » (الرابع) يأتي للمبالغة في التعظيم كقولك - أ هو يسأل الله أ هو يمنعمهم حقوقهم - ومنه قوله تعالى « أ من جعل الارض قراراً » الى قوله « أ إله مع الله » (الخامس) يأتي للمبالغة في بيان الخساسة كقولك - أ هو يسمع لهذا أو يرتاح الى الجميل - ومنه قوله تعالى « أ تعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون » (السادس) يؤتى بالاستفهام ليقع في النفس عدوثة المستفهم عنه واستحلاؤه كقول الشاعر

أيا ظبية الوغناء بين جلاجل وبين النقا أنت أم أم سلم

تقديره أنت الظبية أم أم سلم . أتى بالاستفهام هاهنا ليوقع في النفس موقفاً عظيماً من الحسن وبديع المحاسن حتى يشكل حالها كمثل محاسنها فيبقى عند ناظرها من ذلك تخيل لا يفرق بسببه بينها وبين الظبية . وهذا النوع يسمى عند أرباب الصناعة التجاهل . . . ومن بديع التجاهل قول مهباز الديلمي

أَنْتِ أَمَرْتِ الْبَذَرَ أَنْ يَصْدَعَ الدُّجَى وَعَلِمْتَ غَصْنَ الْبَانِ أَنْ يَتِمَّلَا
 .. ومن بديمه أيضاً قول الآخر

وَعُقَارِ عَيْشٍ مَن عَاقَرَهَا عَيْشٌ أَزِيقُ
 هِيَ لِلزَّهْوِ نِظَامٌ وَالِى الْاَلْهَوِ طَرِيقُ
 قَاتُ لَمَّا لَاحَ لِي مِنْهَا شُعَاعٌ وَبَرِيقُ
 أَشَقِيقُ أَمْ عَقِيقُ أَمْ رَحِيقُ أَمْ حَرِيقُ

.. وأما القسم الثانى من الاستفهام فهو أن يستفهم عن شئ لم يتقدم له به علم حتى
 يحصل له به علم . ومنه فى القرآن العظيم وفى الشعر كثير وهذا هو أصل الباب

- القسم الرابع والثلاثون -

(المزلزل)

وهو أن يكون فى الكلام لفظة لو غير وضعها أو اعرابها تغير المعنى . ومنه فى
 القرآن العظيم كثير .. من ذلك قوله تعالى « أَيَاكَ نَعْبُدُ وَأَيَاكَ نَسْتَعِينُ » لو كسرت
 الكاف لتغير المعنى . ومن ذلك قوله تعالى « أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ » لو ضُمَّت لاختل المعنى .
 ومن ذلك قوله تعالى « وَيَلُومُنَدِّ الْمَكْذِبِينَ » . ومن ذلك قوله تعالى « وَافِرِ
 آيَاتِي إِبْرَاهِيمَ رَبِّهِ » . وقوله تعالى « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » لو غير اعراب
 إبراهيم واعراب العلماء لاختل المعنى .. ومنه فى الشعر قول الوطواط
 رَسُولُ اللَّهِ كَذَبُهُ الْأَعَادَى فَوَيْلٌ لِّمَنْ وَيْلٌ لِلْمَكْذَبِ

ن كسرت ذال المكذب كان حسناً وان فتحت كان قبيحاً وكفراً .. ومن هذا المعنى
 قوله تعالى « فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ » بفتح الذال ولو كسرت الذال كان قبيحاً وكفراً

﴿ القسم الخامس والثلاثون ﴾

(التعجب)

ومنه في القرآن العظيم كثير . من ذلك قوله تعالى « فَاَصْبِرْهُمْ عَلَى النَّارِ »
 - ما - هاهنا تعجبٌ والتقدير تعجبوا من صبرهم على النار وقيل هي الاستفهامية
 والتقدير فأى شئ صبرهم على النار . . ومن التعجب قوله تعالى « يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ
 مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ » والخلاف فيها كاخلاف في الأولى . . ومن ذلك قوله
 تعالى « قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ » أى ما أشد كفره . ومثله في القرآن كثير . .
 ومنه في الشعر قول بعضهم

أَيَا شِعْمًا يُضِيءُ بِلا انطفاء وَيَا بَدْرًا يَلُوحُ بِلا محاقٍ
 فَأَنْتَ الْبَدْرُ مَا سَبَبُ انقِصَايَ وَأَنْتَ الشَّمْعُ مَا سَبَبُ احْتِرَاقِي

﴿ القسم السادس والثلاثون ﴾

(الساب والایجاب)

قال علماء علم البيان هو أن يورق الكلام على اثبات شئ وينفيه في كلام واحد
 وخطبة واحدة أو بيت واحد . وهو في القرآن العظيم كثير . . ومن ذلك قوله تعالى
 « هُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ » . وقوله تعالى « هُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ » . . ومنه في
 الشعر قول السموءل بن عادياة اليهودي

وَتُسَكِّرُ إِنْ شَدْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ وَلَا يُسَكِّرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ

- القسم السابع والثلاثون -

(الهزل الذى يراد به الجذ)

وهو فى القرآن العظيم فى قوله تعالى « فالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ »
 روى أن أهل الجنة يُفْتَحُ لهم باب من النار فيقولون لمن كان يضحك منهم فى الدنيا
 من الكفار أن يدخلون الجنة فيقولون نعم فيقولون لهم هلموا فيتبادرون الى الجنة فيغلق
 الباب دونهم ويضحك منهم المؤمنون ويردون خائين وليس مراد المؤمنين بذلك القول
 الضحك منهم وانما مرادهم بذلك تبيكتهم وتشديد الحزن عليهم .. ومنه قوله تعالى
 « إِنَّ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ » يعنى يوم القيامة .. ومنه فى السنة قوله
 صلى الله عليه وسلم للعجوز التى سأته عن دخولها الجنة فقال لا يدخل الجنة عجوز
 منزل بها وصدق وقال حقاً فان الله تعالى أخبر عن أهل الجنة فقال « عُرْبًا أتراباً
 لأصحاب اليمين » وترتب الانسان مساويه فى العمر أو مقاربه .. ومنه فى الشعر قوله
 اذا ما تميمي أتاك مُفاخرأ فقل عدّ عن ذا كيف أكلك للضب
 .. وأما قوله صلى الله عليه وسلم فى وصف القرآن وهو الجذ ليس بالهزل فالمراد به
 الهزل الذى لا يراد به الجذ

- القسم الثامن والثلاثون -

(التاميح)

وهو أن يشير فى فحوى الخطاب الى مثل سائر أو شعر نادر أو قصة مشهورة من
 غير أن يذكره كقول بشار بن عدى
 الیومَ خمرٌ ویبدو فی غدٍ خبرٌ والدَّهرُ ما بین إناعام وإیّاس

أشار به الى قول امرئ القيس - اليوم خرّ وغدا أمرت - حين بلغه قتل أخيه^(١) وهو
يشرب فصار مثلاً .. وكقول أبي بكر الخوارزمي
كانك لا تروين بيتاً لشاعرٍ سوى بيت من لا يظلم الناس يُظلم
.. وكقول أبي فراس

ولاخبرني دفع الأذى بمذلةٍ كما ردّها يوماً بسوءته عمرو
أشار بذلك الى قصة عمرو بن العاص مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه
.. وقد يسمى أخذ بعض ألفاظ المثل اقتباساً وإيراد المثل كما هو تضميناً .. ومما جاء
من التلميح في الكتاب العزيز قوله تعالى « واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف »
.. وقوله تعالى « ألا بُعِدَ المدين كما بُعِدَتْ نمرود » .. وقوله تعالى « ساعةٌ مثل ساعة
عادٍ ونمرود » الآية .. ومن ذلك قوله تعالى « أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب
الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي » الى قوله « فاتماهم في شقاقٍ » .. ثم قال
« صبغة الله ومن أحسن من الله صبغةً » .. ومن ذلك قوله تعالى « هذا نذيرٌ
من النذر الأولى أرفقت الآزفة » ثم قال « ليس لها من دون الله كاشفة » .. ومثله
في القرآن كثير

❦ القسم التاسع والثلاثون ❦ -

(النسخ والساخ والمسخ)

فأما النسخ ففي القرآن العظيم كثير .. وهو على ثلاثة أقسام .. منه ما نسخ لفظه
وحكمه .. ومنه ما نسخ لفظه وبقي حكمه .. ومنه ما نسخ حكمه وبقي لفظه .. أما

(١) ليس هو من قول امرئ القيس وإنما هو من قول مهلهل حين بلغه قتل
جساس أخاه كليلاً .. وامرؤ القيس لم يقتل له أخ فإن كان قاله حين بلغه قتل بني أسد
أباه حجرأ فربما اه كتبه محمد بدر الدين

ما نسخ لفظه وحكمه فقد روى عن قتادة وغيره قالوا كنا نقرأ سورة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم - الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموها البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم - وقالوا كنا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم - لو أعطى ابن آدم واديين من ذهب لا بتى لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب - . . . وأما ما نسخ حكمه وبقي لفظه ففي القرآن العظيم منه كثير . . . وأما السانخ والمسخ فليس في القرآن للعظيم منهما شيء لأنه لم يسبق قبله كلام فيساخ منه ولم يتقدم معانيه فيقصر عنها فيمسح لانه الكلام القديم الذي لم يشبهه كلام ولم يتقدم عليه نثر ولا نظام وسندكر في القسم الذي ليس في القرآن منه شيء ما قاله أهل هذه الصناعة في السانخ والمسخ ان شاء الله تعالى

القسم الاربعون

(التعديد . ويسمى أيضاً سياق الاعداد)

وهو ايقاع أسماء مفردة على سياق واحد فازدوج في ذلك ازدواج أولزوم تجنيس أو مطابقة أو نحوها فذلك الغاية في الحسن كقولهم وضعنا في يده زمام الحل والمقد . والقبول والرد . والامر والنهي . والاثبات والنفي . والبسط والقبض . والابرام والنقض . والهدم والبناء . والمنع والعطاء . . . ومنه قول المتنبي

الخيْلُ والليلُ والبيداءُ تعرفني والحربُ والطننُ والقرطاسُ والقلمُ

. ومنه في القرآن كثير . . . من ذلك قوله تعالى « هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر » . . . ومن ذلك قوله تعالى « وأن إلى ربك المنتهى وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا وأنه خلق الزوجين الذكور والأنثى من نطفة اذا تمنى وأن عليه النشأة الأخرى وأنه هو أغنى وأقنى وأنه هو رب السمعى وأنه أهلك عاداً الأولى ونمود فنا أبى وقوم نوح من قبل

أنهم كانوا هم أظلم وأظنى ، . . ومنه قوله « والله يقبض ويبسط »

❦ القسم الحادى والاربعون ❦

(المَوْجَةُ)

وهو ان يمدح بشئ يقتضى المدح لشيء آخر كقول المتنبي
نهبت من الاعمار مالو حويته لهنت الدنيا بأثك خالد
أول البيت مدح بفرط الشجاعة وآخره بعلو الدرجة . وفى القرآن العظيم منه كثير . .
ومنه قوله تعالى « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رهماء بينهم
تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سياهم في وجوههم من أثر
السجود » مدحهم في أول الآية بالشدة على الكفار ثم بالرحمة بينهم ثم بالخشوع
والخضوع ثم بالتدلل وحسن المسئلة ثم حسن السياء وصباحة الوجوه . ومنه قوله
تعالى « التائبون العابدون الحامدون السائحون الزاكرون الساجدون الآمرون
بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله » . . ومن هذا النوع قوله
تبارك وتعالى « ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذى تقول »
يجوز ان تكون - تقول - راجعة الى - الطائفة - ويجوز أن تكون عائدة على النبي
صلى الله عليه وسلم

❦ القسم الثانى والاربعون ❦

(المحقل الضدين)

وهو أن يكون الكلام محملاً لشيء عوذه . . ومنه فى القرآن العظيم كثير . . من ذلك
قوله تعالى « وكان وراءهم ملك بأخذ كل سفينة غصباً » محقل أن يكون أراد

بورائهم - أملمهم ويحتمل أن يكون - وراءهم - وهو يطلبهم ومنه قوله تعالى
« والمطلقاتُ يتَرَبَّصْنَ بأنفسهنَّ ثلاثةَ قروءٍ » - والقرءُ - يطلق على الحيض والطمهر
• ومثل ذلك قوله تعالى « قال إنه يقول إنها بقرةٌ صفراءُ » قال المفسرون أراد
سوداء • ومثله في الشعر قول الشاعر

* يغادرُ الجونة أن تغيبا *

- والجون - الاسود - والجون - الابيض وهو من الاضداد • • ومنه قول بشار في
رجل خاط له قباء وكان الخياط أعور

خاط لي زيد قباء ليت عينيه سواء
فأحاجي الناس طراً أمديحاً أم هجاء

وكان سبب ذلك أن بشاراً خاط له زيد قباء فقال هذا إن شئت لبسته على وجهه وإن
شئت لبسته على بطائه فقال له بشار وأنا أقول فيك شعراً إن شئت جعلته مدحاً وإن
شئت جعلته ذمّاً وأنشده البيتين • • وقد أخذ المتنبي هذا المعنى فقال

أيا ابن كرويسٍ يا نصف أعمى وان تفخرُ فيا نصف البصير

وكان ابن كرويس أعور • • وينخرط في هذا السلك قوله تعالى « إنك لأنك الحليم
الرشيد » إذا جعل هذا من باب التهم به والازراء عليه كان ذماً • ولهذا قال بعض
المفسرين أرادوا - انك لأنك الاحق السفية - وإن أريد به المدح فالتقدير - انك
أنت الكامل الحليم الرشيد فكيف يبدو منك مثل هذا لأنه ذكر الحليم والرشيد
بالالف واللام التي هي لاستغراق الجنس أو للعهد • • ومثله في السنة قول النبي صلى الله
عليه وسلم - من جعل قاضياً ذنباً بغير سكين - فإن أريد به الذم يكون التقدير من
من جعل قاضياً فقد قتل بغير سكين لأنه ليس في قدرته إقامة الحق على وجهه وأجراء
الأحكام على القانون المستقيم فيكون قد كلف ما لا طاقة له به ومن كلف ما لا طاقة له
به فهو في ألم شديد يشبه ألم من ذبح بغير سكين ومن أراد المدح قال انه لشدة تحرزه
في أحكامه واجتهاده في نقضه وإبرامه وانعامه النظر فيما يحدث من الوقائع ويتجدد من
خفايا الاحكام والنظر في أمر الوصايا ومال الايتام الي غير ذلك من الامور المشقة يحصل

له من الألم مقدار ألم من ذئب بغير سكن بل أشد لأن من ذئب بغير سكن يقاسى الألم
في حال ذئبه ثم يستريح والحاكم بهذه الأمور مستقر التعب دائم التكبد مشغل القلب
منقسم الفكر دائم النظر فنسأل الله اللطيف بنا وبه انه على ما يشاء قدير

القسم الثالث والاربعون

(التجريد)

وهو على قسمين .. الاول خطاب الغير والمراد به المتكلم وهو أولى باسم التجريد
وقائده مع التوسع في الكلام أن يثبت الانسان لنفسه ما لا يليق التصريح بنبوته له
وذلك قد يكون فضيلة كقول الحيمس بيص

إلام يراك المجد في زى شاعرٍ وقد نجلت شوقاً فرؤى المناير
وأنت نصبت الشعر علماً وحكمةً ببعضهما ينقاد صعبُ المفاخر
أما وأبيك الخيرُ انك فارسُ السمعِ وعي الدارِساتِ الفوارِ
وإنك أتعبت المسامع والنهى بقولك عما في بطون الدفاتر
.. وقد تكون لقيمة ولكن يؤثر ابداءه إما لتشك كقول النابغة

حننت الى رياء ونفك باعدت مزارك من رياء وشعباً كما معا
فاحسن أن تأتى الأمر طائماً ونجزع إن داعى الصباية أسعما
وأذكر أيام الحمى ثم أنتنى على كبدى من خشية أن تقطعا
بنفسى تلك الارض ما أطيب الرثبا وما أحسن المصطاف والمتربعا

.. أو يكون لغير التشكى وذلك كالاعتذار كما قال المتنبي

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم تسعد الحال
واجز الأمير الذى نعماء بادية بغير قول ونعمى القوم أقوال

.. القسم الثانى خطاب المتكلم لنفسه محيلاً لها أن معه غيره كما قبل

أقول للنفس نأساء وتعزيةً إحدى يدي أصابني ولم ترد
وهذا النوع في القرآن العظيم منه كثير وسند كره في فصل تلوين الخطاب ان شاء الله
تعالى وقد ذكرنا منه طرفاً في أنواع الالتفات فانظره هناك فهو كثير

القسم الرابع والاربعون

(الرجوع والاستدراك)

وهو من أنواع الاعتراض ولكن علماء هذا الشأن أفردوا له باباً • وهو على
قسمين • الأول أن تذكر شيئاً وترجع عنه كقولهم والله ما معه من العقل شيء
الأمقدار ما يوجب الحجة عليه كقول زهير

قف بالديار التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الأرواح والديم
• القسم الثاني من الاستدراك وهو أن يتدبّر كلامه بما يؤهم السامع أنه هجو ثم
يستدرك ويأخذ في المدح كقول أبي مقاتل الضير

لا تقل بشري ولكن بشريان غرة الداعي ويوم المهرجان
وهذا النوع غير مستحسن عند الخذاق فإن السامع ربما يتطير من أول الكلام فيتأذى
ولا يلتذ بما بعده والاستدراك في الكتاب العزيز كثير كقوله تعالى « بلى من كسب
سيئة وأحاطت به خطيئته » وقوله تعالى « بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن » وقوله
تعالى « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر » على قراءة
من خفف فرفع - البر - وقوله تعالى « وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن
لا تفقهون تسبيحهم » وقوله تعالى « قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قاي »
• وفي القرآن كثير



﴿ القسم الخامس والاربعون ﴾

(السؤال والجواب)

وهو أن يحكى كلاماً يقال ثم يحينه يقال أيضاً • وهو في القرآن العظيم كثير • من ذلك قوله تعالى « وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَضِدُّنَا هَذَا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ » الى قوله « فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ » • ومنه قوله تعالى « قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ قَالَ رَبُّكُمْ رَبُّ آبَاءِكُمْ الْأَوَّلِينَ قَالَ إِنْ رَسُولَكُمْ أَرْسَلَ إِلَيْكُم لِتُخْبِتُوا لَهَا فَإِنَّكُمُ الْمَكْذُوبُونَ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ قَالَ لَنْ اتَّخَذَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْمَلِكُمْ مِنَ الْمَسْجُونِينَ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِبَنِي مُيَمِينَ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ » • وفي الشعر منه كثير من ذلك قول امرئ القيس

ويوم دَخَلْتُ الْخِدرَ خِدرَ عَنبرِ فقالت لك الويلاتُ إنك مُزْجَلِي
فقلتُ لها سِري وارْخِي زِمَامَهَا ولا تَمْنَعِينَا مِنْ جَنَّاكِ المَعْلَلِ
ومن بديعه قول بعض المتأخرين

وكاملة الأوصافِ وأفرّة الحيا إذا افتخرتُ بالحسن اعجزها المثلُ
شكوتُ إليها ما أجنُّ من الجوى فقالت إذا اشتدَّ الجفا عذَّب الوصلُ
فقلتُ أصمُّ العاذلون مسامى فقالت إذا صحَّ الهوى بطل العذلُ
فقاتُ فإذا عندكم لمدلّه فقالت له إما الحياة أو القتلُ
إذا شئتُ أن تحظى لدينا فكن لنا فريداً فلا مالَ لديك ولا أهل
فكم هلكتُ في حُبنا من معاشر وما نهوا صفو الحياة ولا علوا
ولا ظفروا منا بأيسر طائل اتطعمُ بالفريط في وصلنا جهلُ

•• ومن ذلك قول الباخريزي

قد قلتُ لها هجرتي ما العلةُ صدتُ وتمايلتُ وقالتُ قلْ لهُ
قال علماءُ البيان أحسن هذا النوع ما كثرت فيه القلقة

﴿ القسم السادس والاربعون ﴾

(التوهم • ويسمى الايهام أيضاً)

وهو أن يجاء بكلمة توهم أخرى • ومنه قوله تعالى « يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق » يومهم من لا يفهم أو يعلم العربية أن دينهم حق لأن دينهم إذا قرأها بالرفع من لا يفهم ولا يعلم العربية اقتضى ذلك أن دينهم حق وليس كذلك • ومنه قوله تعالى « قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة » من لا يفهم العربية ولا يفهم المعنى يعتقد أن مانافية وأنه ليس عند الله خير من اللهو ومن التجارة • ومنه قوله تعالى « إنما يخشى الله من عباده العلماء » من لا يعرف العربية إذا سمع هذه الآية اعتقد أن الله تعالى يخشى العلماء والعارف بالعربية والقراءة ينصب الجلالة ويرفع العلماء فيظهر له أن العلماء هم الذين يخشون الله • ومنه قوله تعالى « فويل للمصلين » من لا يعلم المعنى اعتقد أن الويل لاحق بالمصلين ولهذا قال بعض الجهال

ما قال ربك ويل للذين سهوا بل قال ربك ويل للمصليينا

• • وقد يقع من ذلك في الشعر كثير • ومنه قول سحنيم

فجال على وحشيته ونخاله على ظهره سباً جديداً يمانيا

فقوله - يمانياً - يومهم أنه شبا بالشين • وكذلك قول المتنبي

فان الفثام الذي حوله لتعسد أرجلها الأروسا

فقوله - أرجلها - يومهم أنه القيام بالقاف وانما هو بالقاء والفثام الجماعات



❦ القسم السابع والاربعون ❦

(التشعيب)

وهو أن يكون في صدر الكلام كلمة من عجزه مثل قوله تعالى « قد نرى تقاب
وجهك في السماء فلتنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام » وقوله
تعالى « ولئن أنيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع
قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض » . ومثل قول الشيخ أبي العلاء
قد أوردت غمد الحيام وأعشبت شعث الرجال ولون رأسي أغبر
ولقد سلوت عن الشباب كما سلا غيري ولكن للحزين تذكرة
.. وقال آخر

وما هجرتك النفس يا عز أنها قلتك ولكن قل منك نصيبها
ولكنهم يا أحسن الناس أولعوا بقول إذا ما جئت هذا حبيبها
أهابك إجلالا وما بك قدرة على ولكن ملء عين حبيبها

❦ القسم الثامن والاربعون ❦

(الاستثناء)

وهو أن يذكر شيئاً ثم يرجع عنه أو يدخل شيئاً ثم يخرج منه بعضه . أما
الاستثناء ففي القرآن منه كثير . فنه قوله تعالى « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم
الخنزير » الى قوله تعالى « الا ما اضطررتم اليه » . ومنه قوله تعالى « قل لا أجد في
ما أوحى الي محرماً على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دماً مسحوقاً أو لحماً خنزير »
.. ومنه في القرآن كثير . وأما الرجوع فلا ينبغي أن يكون في القرآن منه شيء لأن

المتكلم به لا يلبق بجلاله أن يوصف بالرجوع عن شيء . وأما ماسوى القرآن ففيه منه كثير من ذلك في الاستعمال قولهم - ليس له عقل الا ما تقوم عليه به الحجة . . وأما في الشعر فقد ورد في أشعار كثيرة . . منها

أليس قليلا نظرة إن نظرتها - اليك ولكن ليس منك قليل
 . . ومنه قول الآخر

وما بي انتصار إن عدا الدهر ظالما على بلى إن كان من عندك النصر
 . . ومنه قول النابغة

ولا عيب فيهم أن سوفهم . . من قول من قراع الكتاب



﴿ القسم التاسع والاربعون ﴾

(الغرابة . والظرافة . والسهولة)

أما الغرابة فقال ابن قدامة . . هي أن يكون المعنى غما لم يسبق اليه على جهة الاستحسان فيقال ظريف وغريب اذا كان عديم المثال أو قليله والقرآن العظيم كله سهل ممتنع ألفاظه سهلة ومعانيه نادرة وأسلوبه غريب قدمازجت القلوب عدوبته وحلت في العيون طلاوته وراق في الاسماع سماعه واستقر في الطباع انطباعه فلهذا لم يُسأَم على ترداده ولم تملهُ النفوس على دوام ايراده فكل آية منه حسنة المساق وكل كلمة منه عذبة المذاق وكل معنى منه دق ورق . . ومن هذا النوع في أشعار العرب والمخضرمين والمتأخرين كثير لا يحصى . . فمن ذلك قول بعض العرب

هوى صاحبي ريح الشمال اذا جرت وأشفي لقلبي أن تهبَّ جنوبُ
 يقولون لو عزيت قلبك لارعوى فقلت وهل للماشقين قلوب
 . . وقال آخر

ولا تحسبا هندا لها الغدر وحدها سجة نفس كل غانية هنده

فما خلف اجفائي شؤونٌ بخيلة ولا بين أضلاعي لها حجرٌ صله
.. وقال آخر

تقولُ نساءُ الحى تأملُ أن ترى محاسنَ ليلي مُتِ بِداءِ المطامعِ
وكيفَ ترى ليلي بعينِ ترى بها سواها وما طهرتها بالدماعِ
وتلتذُّ منها بالحديثِ وقد جرى حديثُ سواها في خروجِ المسلمعِ

.. وقال آخر

لا خيرَ في الحبِّ وفقاً لانهركة عوراضُ اليأسِ أويرتاحه الطمعُ
لو كان لى صبرها أو عندها جزعى لكنتُ أملكُ ما آتَى وما أَدَعِ
إذا دَعَى بِاسمِها داعٍ ليحزنى كادتُ له سُعبةٌ من مُهجتي تقعُ
لأحملُ اللومَ فيها والغرامَ بها ما كلفَ اللهُ نفساً فوقَ ما تسعُ

.. وقال مسلم بن الوليد

عيني لعينك حينَ تنظرُ^(١) لكن عينك سَهمٌ حَتَفَ مُرْسَلُ
ومن العجائبِ أنَّ معنىً واحداً هو منك سَهمٌ وهو منى مَقْتَلُ

.. وقال آخر

وماذا عسى الواشونَ أن يتحدّثوا سوى أن يقولوا إننى لك عاشقُ
نعم صدقَ الواشونَ أنتِ عزيزةٌ عليّ وإن لم تصفُ منك الخلائقُ

.. وقال أبو تمام

أقولُ وقد قالوا استرحتَ بموتها من الكربِ رُوحُ الموتِ شرٌّ من الكربِ
.. وقوله أيضاً

وقالوا عزاءُ الموتِ للنفسِ مدفعُ فقلتُ ولا للحزنِ مُدْماءُ مدفعِ
ومن الغريبِ السهلَ الظريفِ قولُ أبى تمامٍ فى قصيدته التى أولها

ما فى وقوفك ساعةً من باسٍ تحيى بقايا الاربعِ الادراسِ
إقدامُ عمرو فى نهضةٍ حاتمٍ فى حلمٍ أحفَ فى ذكاءِ إياسِ

(١) كذا فى الاصل ولم تقف عليه فى المطبوع من شعره

لا تشكروا ضربى له من دُونِهِ مثلاً شروداً فى الندى والباس
 قاله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنيراس
 وهذه الابيات على غاية من الغرابة وعلى نهاية من الطرافة والاطابة واغرب ما فيها أن
 أبا تمام لما أشد قوله

أقدام عمرو فى ساحة حاتم فى حلم أحنف فى ذكاء إياس
 قال بعض من حضر فى مجلس الخلافة شبه أمير المؤمنين بكل بوال على عقبه فأنشد فى
 الحال بديهاً * لا تشكروا ضربى له من دونه * البيتين . فقال له الخليفة بمن فقال
 تمنيت الموصل فكان الخليفة توقف عن ذلك فقال له حكيم عنده اعطها له فانه
 لا يصل اليها فاقى من قوة فكرته شمت رائحة كبده فتوجه اليها فات فى الطريق . وهذا
 النوع القرآن كله منه فانه من غرابة الأسلوب وبداعة السياق وجودة الاتساق على
 غاية لا تدرك وطريقة لبعده مثالها لا تسلك . . ومن هذا النوع قول زهير

وما كان من خير كبير فاقما توارثه آباء آبائهم قبل
 وهل يُنبِت الخطى الأوشيجهُ وتُفرس إلا فى منابتها النخل
 على مُكثريهم حق من يعتريهم وعند المقلين الساحة والبذل
 (قال المصنف عفا الله عنه) هذا البيت قد ذكر أرباب هذه الصناعة أنه أمدح بيت
 قاله العرب وقد طعن عليه بعض الحذاق منهم وذكر فيه عيوباً . منها أنهم لو كانوا أكرماً
 ما كان فيهم مقل . ومنها أنه جعل حق المعتري على المكثرين واجباً عليهم ولم يوجهه
 على المقلين فكان المكثرون عليهم أكرام الضيف واجبا ولم يكن واجباً على المقلين
 فاقضى ذلك أن يكون اعطاء المكثرين عن كظم واعطاء المقلين عن كرم فصار المقلون
 أحسن حالاً من المكثرين وأكرم أنفساً وعليه ما أخذ غير هذه ولنا بسدد استيفائها
 وهذا الباب واسع جداً وما ذكرناه فيه مقنع

﴿ القسم الموفى خمسين ﴾

(ما يوههم فساداً • وليس بفساد)

وهو أن يقرن الناظم أو الثائر كلاماً بما ليس بناسبه أو يقدم التشبيه على ذكر المشبهة • • ومنه في القرآن كثير وكذا في أشعار العرب • • أما القرآن • فنه قوله تعالى « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » قرن بها بقوله « وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن » الآية واتبعها • بقوله « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية » الآية فليس قبلها وبعدها ما يناسبها • ومنه قوله تعالى « إن لك أن لا نجوع فيها ولا تعرى وأنت لا تنظمأ فيها ولا تضحي » الذي يقتضيه المعنى المناسب ظاهراً أن يقول إن لك أن لا نجوع فيها ولا تنظمأ وأنت لا تعرى فيها ولا تضحي • ومنه قوله تعالى « فإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء » وغير العالم المطالع على خفايا معاني القرآن العظيم يظن في ذلك كله عدم المناسبة وليس الأمر كذلك بل ما ورد به القرآن العزيز هو الاحسن وسندكر ان شاء الله المناسبة في ذلك • • فأما آية اليتامى فقد ذكر أئمة التفسير في المناسبة وجوها • أحدها ما روى عن عائشة رضي الله عنها قالت هذا في اليتيمة تكون عند وصيها فيعجبها حسننها ومالها فيجنعها عن الأزواج ليتزوجها بمهر دون مهر مثلها ويحوز مالها فأعلم الله المؤمنين أن من خشي منهم أن يقع في مثل ذلك مع اليتامى فليتكح ما طاب له من النساء من غير اليتامى • وقيل المعنى فإن كنتم من التقوى على حد تحشون أن تلوا مال اليتيم خشية عدم الاقسط فانكحوا ما طاب لكم من النساء يعني اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً فإن من كان بهذه المثابة من خوف الله والتقوى لا يخشى عليه من الجور والميل وعدم العدل بين نسائه بدليل ما عقبه به من قوله « فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة » وقد ذكر أئمة التفسير في الجمع غير ذلك اقتصرنا على هذا خشية التطويل • وأما آدم عليه السلام فقد تقدم في المناسبة انها تارة يُقصد فيها مناسبة اللفظ والمعنى وتارة يراعى فيها مناسبة اللفظ فقط

وثارة يراعى فيها مناسبة المعنى وهذه الآية منه وهو الذى أريد لأن - الجوع - خلو
الباطن عن الغذاء - والتعرى - خلو الظاهر عن الثياب - والظما - احتراق الباطن
بالحرارة - والضحي - احتراق الظاهر فظهرت المناسبة من حيث المعنى فيها . . وأما آية
الصلوات والمحافظة عليها فقد سئل عنها بعض أجلة أهل العلم رضى الله عنهم فقال لما
أمر الله تبارك وتعالى بالمحافظة على حقوق الخلق ذكر لهم حقوقه وهو الصلاة ليجمع
لهم فى التعليم بين مراعاة حقوق الخلق والحق ليحصل لهم السكال ثم لما كانت حقوق
الآدميين منها ما هو متعلق بالحياة وقد ذكر ذلك قبلها ناسب أن يذكر الحقوق المتعلقة
بالمات بعدها . وقد ذكر أهل التفسير رضى الله عنهم فيها أجوبة كثيرة اقتصرنا على
هذا منها . وقد وقع فى أشعار العرب الاقدمين والمتقدمين من الاسلاميين والمتأخرين
من هذا النوع كثير . من ذلك قول امرئ القيس

كأنى لم أركب جواداً للذة ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل لخلي كرى كرتة بعد إجفال

.. قال بعض النقاد ان هذا فاسد لانه جعل التفرل مجاوراً للشجاعة فى البيتين
والاجود أن يجاور الشجاعة بالشجاعة والغزل بالغزل فيقول

كأنى لم أركب جواداً ولم أقل لخلي كرى كرتة بعد إجفال
ولم أسبأ الزق الروى للذة ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

.. ومن هذا النوع قول المتنبي

وقفت وما فى الموت شك لواقف كأنك فى جفن الردى وهو نائم
تمر بك الابطال جرحى هزيمة ووجهك وصاح وثرعك باسم

.. وهذا الذى ذكره النقاد قد رده جماعة من الخدائق بما حكى أن سيف الدولة قال
للمتنبي هذا فاسد المجاورة لانك أثبت بالتشبيه قبل ذكر المشبه والاجود أن تقول

وقفت وما فى الموت شك لواقف ووجهك وصاح وثرعك باسم
تمر بك الابطال كلى هزيمة كأنك فى جفن الردى وهو نائم

.. فقال المتنبي أيد الله مولانا الامير ان صح الذى استدرك صح الذى استدرك على

امرى القيس وهو أعلم بالشعر منى فقد أخطأ امرؤ القيس وأسأت أنا ومولاتا يعرف
أن الثوب لا يعرفه البراز كعرفة الناصح لأن البراز يعرف جلته والحائك يعرف جلته
وتفاريقه لانه هو الذى أخرجه من الغزلية الى الثوبية . . وانما قرن امرؤ القيس لذة النساء
بلذة ركوب الخيل للصيد وقرن السباحة فى سبأ البحر للاضياف بالشجاعة فى منازل
الاعداء وأنا ذكرت الموت فى أول البيت فأتبعته بذكر الردى وهو الموت لتجانسهما
ولما كان الجريح المنهزم لا يخلو وجهه من أن يكون عبوساً وعينه من أن تكون باكية
قلت - ووجهك وضاح وتترك باسم - لأجمع بين الاضداد فى المعنى وان لم يتسع اللفظ
لجمعهما فأعجب سيف الدولة بقوله ووصله بخمسين ديناراً . . ومن ذلك قول بعضهم
فأنك ان تهجو تهما وترتئى سرايل قيس أو سحوق العمام
كمهريق ماء فى الفلاة وغره سراب أذاعته رباح السمام
. . وقال آخر

إنى وتركى ندا الا كرمين وقد جى بكفى زناداً شحاحا
كشاركة بيضها بالعرأ ومأبسة بيض أخرى جناحا
يجب أن يكون كل بيت من الاولين مع بيت من الاخرين لانه أجود وأنسب . . ومن
هذا النوع أيضاً قول الشاعر

فيا أيها الحيران فى ظلمة الدجى ومن خاف أن يلقاه بنى من العدا
تعال اليه تلقى من نور وجهه دليلاً ومن كفيه بحراً من الندأ
قال النقاد هذا فاسد التفسير لانه قابل البنى بالسباحة وكان يجب أن يقابل بغير ذلك
فيقول تنظر أسداً حامياً وليثاً مانعاً . . وقد قيل فى هذا البيت انه دل على الشجاعة
بلازمها لأن الشجاع لا يكون بخيلاً ولذلك قال الشاعر

لا تطلبن من البخيل شجاعة ان البخيل يخاف أسباب الردى
من لا يجود بماله يوم الندأ أنى يجود بنفسه يوم اللقا
وقد تعسف لهذه الايات وجوه من المعانى وضروب من التصحيح تخرج بها عن أن
تكون فاسدة ليس هذا موضع استيفائها وفيما ذكرت كفاية ومقنع والله الهادى والموفق
(٢٣ - فوائد)

❦ القسم الحادى والخمسون ❦

(فى النادر والبارد)

فأما البارد فليس فى القرآن العظيم منه شئٌ وسيأتى بيانه فى الفن الثالث الذى ليس فى القرآن العظيم منه شئٌ .. وأما النادر فالقرآن مشحونٌ به فان أكثر ألفاظه نادرة الوجود ومعانيه مستوفية المقصود كل كلمة منه جامعة لمعان شتى وكل آية تحتوى على معانٍ لغير المتكلم به لا تنأتى وكل سورة إحكام أحكامها لا ينحصر وإعجاز إيجازها قد أعجز البشر وفيه النادر الحسن والاحسن .. فن الآيات التى لم ينسج على منوالها ولا سمحت قريحة بمثلها قوله تعالى « فلما جاء أمرنا وفار التنور » الى قوله « وقيل بعداً للقوم الظالمين » ولهذا ان ابن المقفع لما عارض القرآن ووصل الى هذه الآية قال هذا مما لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله وترك المعارضة وزق ما كان اختلقه .. ومن ذلك أيضاً قوله تعالى « وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين » جمعت هذه الآية أمرين ونهيين وخبرين ووعدين .. ومن هذا النوع فى القرآن كثير بل القرآن كله حسن وأحسن وليس هذا موضع استقصاء الاحسن وفى أشعار العرب من هذا كثير وقد تقدم بيانه

❦ القسم الثانى والخمسون ❦

(المساواة والتقصير)

وهو أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى بحيث لا يزيد عليه ولا ينقص . والقرآن العظيم جُلُّه بل كله على هذا النمط . وأما التقصير فليس فى القرآن منه شئٌ وسيأتى سانه فى الفن الثالث

﴿ القسم الثالث والخمسون ﴾

(النصريح بعد الابهام • ويسمى التفسير)

قال أئمة هذا الشأن المراد بالتفسير بعد الابهام تفخيم المبهم واعظامه لانه هو الذي يطرق السمع أولاً فيذهب السامع فيه كل مذهب كقوله تعالى « وقضينا اليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين » فسر ذلك الامر بقوله - أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين - وفي ابهامه أولاً وتفسيره بعد ذلك تفخيم للمبهم وتعظيم لشأنه فانه لو قال تعالى - وقضينا اليه أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين - لما كان بهذه المثابة من الفخامة قال الابهام أولاً بوقع السامع في حيرة وتفكر واستعظام لما قرع سمعه فيتشوف الى معرفة كنهه والاطلاع عليه وعلى حقيقته .. ومن هذا الباب قوله تعالى « إهدنا الصراط المستقيم صراط الذي أنعمت عليهم » لما جاء في الاول من التنبيه والاشعار بأن - الصراط المستقيم - هو صراط المؤمنين فدل عليه بأبلغ وجه كما تقول - هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم - ثم تقول - فلان - فيكون ذلك أبلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل أدلك على فلان الاكرم والأفضل لانك بدأت بذكره مجحلاً ثم بينته مفصلاً فجعلته علماً في الكرم والفضل كأنك قلت من أراد رجلاً جامعاً للخصلتين جميعاً فعليه بفلان • وعلى نحو من هذا جاء قوله تعالى « وقال الذي آمن يا قوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد » الى قوله « يرزقون فيها بغير حساب » ألا ترى كيف قال - أهدكم سبيل الرشاد - فابهم سبيل الرشاد فلم يبين أى سبيل هو ثم فسر ذلك فافتتح كلامه بدم الدنيا وتصغير شأنها لأن الاخلاص اليها أصل الشر كله ثم نفي ذلك بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها وأنها هي الوطن المستقر ثم نكت بذكر الاعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منها لينبسط عما يتلف ويُشبط لما يزلف فكانه قال سبيل الرشاد هو الاعراض عن الدنيا والرغبة في الآخرة والامتناع عن الاعمال السيئة خوف المقابلة عليها والمساورة الى الاعمال الصالحة

رجاء المجازاة عليها .. وكذلك قوله تعالى « واذ يرفع ابراهيمُ القواعدَ من البيت » ولم يقل قواعد البيت لما في ابهام القواعد ولما في تبيينها بعد ذلك من الايضاح وتفخيم حال المبهم بما ليس في الاضافة .. ومن هذا الباب قوله تعالى « وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحاً » الى قوله « فأطعُ الى إله موسى » الآية لما أراد تفخيم ما التمس من بلوغه اسباب السموات أبهما أولاً ثم فسرهما ثانياً ولأنه لما كان بلوغهما أمراً عجيباً أراد أن يورده على صورة مشوقة اليه ليعطيه السامع حقه من التعجب فأبهمه لتتشوف اليه نفس هامان ثم أوضحه بعد ذلك .. ومما يدخل في هذا الباب الابتداء بذكر الضمير ثم الافصاح بذكر صاحبه وحده كقوله تعالى « وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن » فانه لما أتى بالضمير الذي هو منه قبل صاحبه الذي هو في القرآن كان ذلك تفخيماً له وتعظيماً من أمره ولو قال - وما تكون في شأن وما تتلو من قرآن - ولم يذكر الضمير لما كان للكلام تلك الفخامة التي كانت له مع ذكر الضمير .. ومثل هذا قولهم الكريم العالم الفاضل - ثم يقال - فلان - وقد سبق الكلام عليه .. وأما الابهام من غير تفسير فكثير شائع في القرآن العزيز كقوله تعالى « إنَّ هذا القرآنَ يَهْدِي لى هِىَ أَقْوَمُ » أى الطريقة أو الحالة أو الملة التي هى أقوسها وأشدّها وأى ذلك قدرت لم تجده له مع الافصاح ذوق البلاغة الذى تجده مع الابهام وذلك لذهاب الوهم فيه كل مذهب وإيقاعه على محتملات كثيرة وهذا لا يخفى على العالم برموز صناعة التأليف فاعرفه .. ومما يدخل في هذا الباب الاستثناء العددي وهو ضرب من التأليف لطيف المأخذ عجيب المغزى وانما يفعل ذلك طامباً للمبالغة لأن له تأثيراً شديداً في القلب وموقعاً عظيماً في النفس وفائدته أنه أول ما يطرق سمع المخاطب ذكر العدد في العدد فيكبر موقع ذلك عنده وهو شبيه بما ذكرنا من الابهام ثم التفسير بعدها يسوى بينهما .. فن ذلك قوله تعالى « ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه فابث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً » فانه انما قال - ألف سنة إلا خمسين عاماً - ولم يقل تسعمائة وخمسين عاماً لفائدة حسنة وهى ذكر ما ابتلى به نوح عليه الصلاة والسلام من أمته وما كابده من طول المقام ليكون ذلك تسليّة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتنبهاً له فان ذكر رأس العدد الذى هو منتهى

العقود وأعظمها أوقع وأوصل الى الغرض من استطالة السامع قوة صبره وما لاقاه من قومه .. ومن يديع التفسير بعد الابهام قوله تعالى « انما أعظمكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفردى » ولو حذف - واحدة - كان الأمر كما ذكرنا وذهبت تلك الفخامة التي في الابهام وزال ما فيه من الغموض وانقطع شوق النفس الى التفسير وفسر - الواحدة - بقوله أن تقوموا لله مثنى وفردى .. ومنه قوله تعالى « والمؤتفكة أهوى فغشاها ما غشى » . ومنه قوله تعالى « فعشيتهم من اليم ما غشيتهم » . ومنه « وفعلت فعلتك التي فعلت » . ومنه في الاستعمال قولهم فؤاد فيه ما فيه .. ومنه قول الشاعر في وصف الحر

فقد مضى ما مضى من عقل شاربها وفي الزجاجة باقى يطلب الباقي
.. ومنه قول الآخر

مضى ما مضى حتى علا الشيب رأسه فلما علاه قال للبائل ابعدي
.. وقال آخر

سأغسل عني العار بالسيف جالبا على قضاء الله ما كان جالبا
فاعرف ذلك وقس عليه



القسم الرابع والخمسون

(التعقيب المصدري)

وانما يُعتمد الى ذلك لضرب من التأكيده لما تقدمه والاشعار بتعظيم شأنه أو بالضد من ذلك .. مثال الاول قوله تعالى « ويوم يُنفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض » الى قوله « هل تجزون ألا ما كنتم تعملون » فقوله - صنع الله - من المصادر المؤكدة لما قبلها وهو كقوله « وعند الله . وصيغة الله » ألا ترى أنه لما جاء ذكر هذا الأمر العظيم الدال على القدرة الباهرة من النفخ في الصور وإحياء

الموتى والفرع واحضار الناس للحساب وتسير الجبال كالسحاب في سرعتها وهي عند الرؤية لها والمشاهدة كأنها جامدة عقب ذلك بأن قال - صنع الله - أى هذا الأمر العجيب البديع صنع الله والمعنى ويوم ينفخ في الصور وكان كيت وكيت من الاشياء الباهرة وأثابة الله المحسنين ومعاينة الجرمين فجعل هذا الصنع من جملة الامور التي هي أنفسها وأتى بها على الحكمة والصواب حيث قال - صنع الله الذي أتقن كل شئ - يعنى أن مقابلة الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من إحكام الاشياء واتقانه لها واجرائه اياها على الحكمة أى انه عالم بما يفعل العباد وبما سيرجعون اليه فيكافئهم على حسب أفعالهم ثم لخص ذلك بقوله « من جاء بالحسنة » الى آخر الآيتين . فانظر أيها المتأمل الى بداعة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة ايجازه وفصاحة تفسيره وأخذ بعضه برقاب بعض كأنه أفرغ افراغا واحداً ولأمر ما أعجز القوى وأخرس الشقاشق . ونحو هذا المصدر اذا جاء عقيب الكلام كان كالشاهد بصحته والمنادى على سداده وأنه ما كان ينبغي أن يكون الا ما قد كان ألا ترى الى قوله - صبغة الله . وصنع الله . ووعد الله . وفطرة الله - بعد ما وسمها بإضافتها اليه بسمه التعظيم كيف تلاها بقوله - الذي أتقن كل شئ - . . وأما الثانى وهو ضد الاول وذلك ما يراد به تصغير الشأن كقولهم اذا ذكر انسانا يريدون ذمه - قد ركب هواه . واستقر على غيه . وتمادى على جهله . وسحب ذيل عجيبه - وما أشبه ذلك ثم يقول - صنع الشيطان الذي غلب النفوس وميل الالباب - ومثل هذا كثير فاعرفه

القسم الخامس والخمسون

(النفي والاثبات)

وهو أعلى ضرب من البلاغة كثير الفوائد عذب الموارد . وقد تكلم فيه أرباب علم الكلام وأرباب علم البيان وقالوا ان نفي الخاص يدل على ثبوت العام ولا يدل نفيه

على نفيه . وقد بينا أن زيادة المفهوم في اللفظ توجب زيادة الالتذاذ به لحصول جملة من الملاذ دفعة واحدة ولذلك كان نفي العام أحسن من نفي الخاص وأثبت الخاص أحسن من إثبات العام . أما الأول فكقوله تعالى « مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم » ولم يقل بضوئهم لأن النور أعم من الضوء إذ يطلق على الكثير والقليل وإنما يقال الضوء على القدر الكثير . ولذلك قال تعالى « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا » وهاتنا دقيقة وهو أنه قال - ذهب الله بنورهم - ولم يقل أذهب نورهم لأن الأذهاب بالشيء لا يمنع من عود ذلك الشيء بخلاف الذهاب إذ يفهم من ذلك استصحابه في الذهاب ومقتضى ذلك منعه من الرجوع . وكذلك قوله تعالى « قال الملا من قومه إنا لنراك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة » معناه لاضلالة واحدة في ويلزم من ذلك أن لا يثبت له فرد من الضلال البتة ولا كذلك لو قال ليس بي ضلال لأن اسم الجنس يقال على الكثير والقليل فيجوز أن يكون المنفي هو الكثير . ومما يشبه ذلك قوله تعالى « ولا تقل لهما أف » فإن هذا يدل على التهي عن الضرب أيضاً لاعتلى أن التأنيب أعم بل لأن المقصود من منع التأنيب هو الإكرام وعدم الإهانة والاهانة بالضرب أكثر من الإهانة بالتأنيب . الثاني كقوله تعالى « وجنة عرضها السموات والأرض » ولم يقل طولها لأن العرض أنقص إذ كلما له عرض فله طول ولا ينعكس . ومما يتعلق بهذا أنه إذا كان الشيء يشبه أشياء بعضها أتم في التشبيه أو أوفق من بعض فالأولى والألأم الاقتصار على ما هو أتم وأوفق فإن ذكر الكل فالأولى الابتداء بالأدنى والاضعف ليكون انتقال الذهن إلى الأعلى بتدرج ولأن التشبيه بالأعلى أدنى والانتقال من لذة إلى ما هو دونها غير مُلذذ ولا مستحسن فلذلك قال الأشر النخعي

حَمَى الْحَدِيدُ عَلَيْهِمْ فَكَانَهُ لِمَعَانُ بَرَقَ أَوْ شَاعَ شَمُوسُ

. وإذا كان للشيء صفة يغني ذكرها عن ذكر صفة أخرى أو يدل عليها كان الاقتصار عليها أولى من ذكرها لأن ذكرها كال تكرار وهو ممل وإذا ذكر فالأولى تقديم المدلول عليها وتأخير الدالة حتى لا تكون الآخرة قد تقدمت الدالة عليها وقد يخل بذلك لمقصود

آخر كما في قوله تعالى « وكان رسولا نبيا » فانه آخر نبيا لاجل السجع . واذا كان ثبوت شيء أو نفيه يدل على بوت آخر أو نفيه كان الأولى الاقتصار على الدال على الآخر فان ذكرنا فالأولى تأخير الدال وقد يخل بذلك لمقصود كما في قوله تعالى « ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها » وعلى قياس ما قلنا ينبغي أن يقتصر على صغيرة وان ذكرت الكبيرة فالتذكر أولا . ومثله قوله تعالى « فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما » وعلى ذلك القياس يكتب في بقوله - ولا تقل لهما أف - وان ذكرنا فيقول - ولا تنهرهما ولا تقل لهما أف - . واذا تكررت الصفات فان كان المندح فالأولى الانتقال من الأدنى الى الأعلى ليكون المندح مزيدا لتزايد الكلام وان كان للدم فقد قالوا ينبغي الابتداء بالاشد ذما وهو مشكل . وقد يجوز أن يستعمل نفي الخاص لنفي العام ويسمى هذا عكس الظاهر وهو من الحجاز البديع . ومثاله قول على رضي الله عنه في وصفه لمجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم - انه لاتنسى فتاته - أي تذاع والمراد أنه لا فتات له البتة وانما يعرف ذلك لأنه نكرة في معرض المندح وانما يكون كذلك اذا كان المراد ما ذكرناه . ومنه - ليس بهاضب فينجحر - والمراد أنه لا ضب بها . . . وكذلك قول بعضهم

تردين جلباب الحياء فلم يرى لذيولهن على الطريق غبار

والمراد انهن لا يخرجن ولا يمشين . وهذا ينبغي ان يكون من باب تنسيق الصفات لكن فيه زيادة اقتضت افراده

- القسم السادس والخمسون -

(في الضائر وما يتعاق بها)

اعلم وفقنا الله وإياك أن الضمير لا يخلو إما أن يكون معلوماً أو لا يكون كذلك . فالأول تأكيده بضمير آخر وعدم تأكيده بذلك سواء في البلاغة كما في قوله تعالى « بيدك الخبير إنك على كل شيء قدير » مع قوله تعالى « نعلم ما في نفسى ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب » وذلك لأن قدرة الله تعالى وعلمه معلومان

فاستوى حذف الضمير المؤكد واثباته معهما . والثاني الأولى فيه والأفصح تأكيد
الضمير بضمير آخر وذلك إذا أريد تقوية المتعلق به . وحيث أن يكون الضميران
متصلين أو منفصلين أو أحدهما متصل والآخر منفصل . أما المتصلان فكقوله تعالى
« قال أقنأت نفساً زكيةً بغير نفسٍ لقد جئت شيئاً نكراً » قال ألم أقل لك إنك لن
تستطيع معي صبراً » وإنما أكد هنا دون قصة السفينة لارادته في قصة الغلام زيادة
السكر . . وأما المنفصلان فكقول المتنبي

فإنك أنت أنت وأنت منهم وجدك بشر المملك الهمام

والغرض المبالغة في زيادة المدح . . وأما إذا كان أحد الضميرين منفصلاً والآخر متصلاً
فكقوله تعالى « قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى » وهاهنا دقائق . أحدها الإتيان بلفظة
- إن - المشددة لتفيد تأكيد ثبوت ما بعدها . وثانيها تكرير الضمير يدل على تأكيد
ما يتعاقب به . وثالثها ذكر - الأعلى - معترفاً يدل على أن غيره لا يكون كذلك بخلاف
على وأعلى . ورابعها أن - الأعلى - بصفة أفعال يشعر بزيادة العلو . وخامسها حذف
لام العلة . يفيد زيادة علة لعدم الخوف لأن قوله - لا تخف - علة لعدم الخوف لأنه
نهى عنه واشتقاقه بعد ذلك بقوله - إنك أنت الأعلى - منع أيضاً من الخوف لأن
الأعلى لا يخاف الأدنى

- القسم السابع والخمسون -

(الفصل والوصل)

وهو العلم بمواضع العطف والاستشف والتهدى الى كيفية ايقاع حروف العطف
في مواقعها وهو من أعظم أركان البلاغة حتى قال بعضهم حشد البلاغة معرفة الفصل
والوصل . . واعلم ان فائدة العطف التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه ثم من
الحروف العاطفة ما لا يفيد إلا هذا القدر وهو الواو وهو المراد بالذكرها هنا والعطف
(٢٤ - فوائد)

والمعطوف عليه على ثلاثة أقسام . الاول عطف مفرد على مفرد وهو يقتضى التشريك فيما يوجب الاعراب . الثانى عطف الجمل التى فى قوة الافراد ويقتضى التشريك أيضاً . الثالث الجمل التى ليست فى قوة المفرد . وهى على قسمين . قسم يكون فيه معنى أحد الجملتين لذاته متعلقاً بمعنى الأخرى كما اذا كانت كالتوكيد لها فلا يجوز ادخال العاطف لأن التوكيد والصفة متعلقان بالمؤكد والموصوف لذاتيهما والتعلق الذاتى يفنى عن لفظ يدل عليه فالتأكيـد كقوله تعالى « ومن الناس من يقول آمناً بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين » . وكقوله تعالى « واذا تلى عليه آياتنا ولىّ مستكبراً كأن لم يسمها كأن فى أذنيه وقراً » ولم يقل وكأن لأن المقصود من التشبيه بمن فى أذنيه وقر التشبيه بمن لا يسمع إلا أن الثانى أبلغ . . وكذلك قوله تعالى « وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكرٌ وقرآنٌ مبينٌ » . وقوله تعالى « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يُوحى » الـنبات فى الآيتين جميعاً تأكيـد لـنـفى ما نـفى . . وأما قوله تعالى « إن هذا إلا مالك كريمٌ » فيحتمل أن يكون تأكيـد لقوله « ما هذا بشراً » اذ المرتفع عن البشرية من المخلوقات اما هو الملك ولان الناس اذا شاهدوا فى الانسان من الخلق الحسن والخلق الجليل ما يعجبوا منه قالوا ما هذا بشرٌ لان غرضهم أن يقولوا انه ملك فلما كان ذلك مفهوماً قبل التصريح به كان التصريح به تأكيـداً ويحتمل أن يكون صفة له فان اخراجه عن جنس البشرية يتضمن دخوله تحت جنس آخر لا تحت الملك على الخصوص فان القسمة غير محصورة فى النوعين فجعله ماسكاً تعييناً لذلك النوع وتمييز له عن غيره . الثانى أن لا يكون بين الجملتين تعلق ذاتى فان لم يكن بينهما مناسبة فيجب ترك العطف ولذلك عابوا أبا تمام فى قوله

لا والذي هو عالمٌ أن الهوى صبرٌ وأن أبا الحسين كريمٌ

اذ لا مناسبة بين مرارة الهوى وبين كرم أبى الحسين . ثم ان كان المحدث عنه فى الجملتين شيئين لغير المناسبة فى الذى أخبر بهما والذى أخبر عنهما والمراد بالمتاسبة أن يكونا متشابهين كقولك زيد كاتب وعمر وشاعر أو متضادين تضاداً على الخصوص كقولك زيد طويل وعمر قصير وكقولك العلم حسن والجهل قبيح . فلو قلت زيد طويل

والخليفة قصير أخلّ المعنى عند السامع اذ لم يكن لزيد تعلق بمحدث الخليفة ولو قلت زيد طويل وعمرو شاعر اختل اللفظ اذ لا مناسبة بين طول القامة والشعر .. وان كان المحدث عنه في الجملتين شيئاً واحداً كقولك فلان يقول ويفعل فيجب الاتيان بالمعطف فان الغرض جعله فاعلا للامرين وترك المعطف يومهم أن الثاني رجوع عن الاول والاجتماع لزيادة الاشتراك كقولك العجب من انك تنهى عن شيء وتأتى مثله . وكقول الشاعر

لا تَطْمَعُوا أَنْ تَهْنِئُوا وَتُكْرِمَكُمْ وَأَنْ نَكْفِيَ الْإِذَى عَنْكُمْ وَتَوْذُونَا
أى لا تطمعوا أن تروا اكرامنا اياكم يوجد مع اهانتكم ايانا ويجمعها في الحصول ..
والعاطف تارة يجب اسقاطه وتارة يجب اثباته وتارة يخير بين اسقاطه واثباته .. أما
الذى يجب اسقاطه فهو اذا كان اثباته يخل بالمعنى كقوله تعالى « واذا قيل لهم لا تفسدوا
فى الارض قالوا انما نحن مُصالحون ألا انهم هم المفسدون » فقوله - ألا انهم هم
المفسدون - كلام مستأنف وهو اخبار من الله تعالى فلو أتى بالواو العاطفة لكان اخباراً
عن اليهود بأنهم وصفوا أنفسهم بأنهم مفسدون فيختل المعنى ويتناقض الكلام ..
وكذلك قوله تعالى « واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مُستهزؤون
اللهُ يُستهزئُ بهم » فهذا اخبار من الله تعالى وفى الحقيقة جواب سؤالٍ مقدر لانه
تعالى لما أخبر عنهم بأنهم قالوا كبت وكبت تشوَّف السامعون الى العلم بمصير أمرهم
فكانه قيل فماذا فعل الله بهم فقال « اللهُ يُستهزئُ بهم ويمدُّهم فى طُغيانهم يعمهون »
.. وأما ما يجب اثبات المعطف فيه فقوله تعالى « يُجَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ »
ومكروا ومكر الله » فان كل واحدة من الجملتين خبر من الله تعالى . ومثله فى القرآن
العظيم كثير . وأما الذى يخير بين اسقاطه واثباته فهو اذا كان اسقاطه لا يخل بالمعنى
واثباته لا يفيد معنى زائداً . وسيأتى بيان ذلك ان شاء الله تعالى



﴿ فصل ﴾

بشقل على ذكر جل عطف بعضها على بعض
بالواو • والفاء • وثم • واختلاف معانيها

• فمن ذلك قوله تعالى « هو يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا حَضَرْتُ مِنْهُ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ » عطف أولاً بالواو لان الاطعام والاسقاء ليس فيهما ترتيب واجب مع أن تأخير الاسقاء أولى ولذلك أخره في الذكر وعطف ثانياً بالفاء اذ لامهلة بين المرض والشفاء وعطف بهم لما بين الامانة والاحياء من المهلة ومع ذلك نسب الموت الى الله لما في ذلك من اظهار القدرة والقهر ونسب المرض الى نفسه لان الادب أن لا ينسب الى الله تعالى الا ما يحمد والموت وان كان مذموماً لكنه عند قائل هذا محمود لانه على يقين من السعادة الآخرة • ومن ذلك قوله تعالى « خَلَقْنَاهُ فَانْتَبَذْتَهُ بِمَكَانٍ قَصِيًّا فَأَجْأَهَا مِنْ حَاضِرِ الْخَاضِ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ » انما عطف بالفاء مع أن بين مجيء الخوض والحمل مهلة لان المهلة التي بين حملها ومخاضها كانت مدة يسيرة قبل كانت يوماً وقيل كانت ثلاث ساعات وعليه أكثر المفسرين حتى يتميز حملها عن سائر النساء ويكون ذلك كرامة لها فعلى هذا يكون المراد بالآية بيان ذلك • وجميع أفعال المطاوعة اذا كانت على معانيها فانما يعطف عليها بالفاء لا الواو وتقول دعوته فأجاب وأعطيته فأخذ ولا يحسن أعطيته وأخذ ولادعوته وأجاب قال الله تعالى حكاية عن ابليس « وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى » وكذلك تقول كسرتك فانكسر ولا تقول كسرتك وانكسر • وأما اذا كان فعل المطاوعة على غير معناه فقد يحسن العطف عليه بالواو كما في قوله تعالى « وَلَا تَطْغَوْا مِنْ أَغْفَلْنَا قَابَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبِعْ هَوَاهُ » • ومن المعطوف بالواو أيضاً قوله تعالى « وَإِنَّا أَوْ أَيْكُم لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ » ولو قال لنى هدى أو على ضلال لم يحسن لان على - تفيد الاستعلاء وهو مناسب للحق - وفى - تفيد الوعاء والكافر كأنه مغموس فى الضلال • ومن هذا النوع قوله تعالى « إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ

والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل»
ما عدل عن اللام في الاصناف الاخيرة الا لبيان ان تلك الاصناف أحق بالصدقات بنبي
أن توضع فيهم وضع الشيء في الوعاء وكرر في ابيان أن سبيل الله أولى بذلك فتأمل
فهو كثير في القرآن

القسم الثامن والخمسون

(في الوصف)

والوصف أصله الكشف والاظهار من قولهم - وصف الثوب الجسم - اذا لم
يستره ونم عليه... وأحسنه ما يكاد يمثل الموصوف عياناً ولاجل ذلك قال بعضهم أحسن
الوصف ما قلب السمع بصراً... ومنه في القرآن العظيم كثير مثل قوله تعالى في وصف البقرة
التي أمر بنو اسرائيل بذبحها لما سألوها أن توصف لهم بقولهم «أدع لنا ربك يبين لنا
ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك» وقوله لما سألوها
أن يصف لهم لونها «قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين»
وقوله لما سألوها بيان فعلها قال انه «يقول انها بقرة لاذلول تنير الارض ولا تنسى الحرث
مسلمة لا شية فيها» فجمع في هذه الآيات جميع الاحوال التي يضبط بها وصف الحيوان
فان الحيوان عند البيع والاجارة وسائر وجوه التملكيات يحتاج فيه الى معرفة سنه ولونه
وعمله ثم يفتقر فيه الى معرفة عيوبه فنفى الله سبحانه وتعالى عن تلك البقرة كل عيب
بقوله - لا شية فيها - فجمع في هذه الآية جميع وجوه الوصف فانه في الاول وصف سنها وفي
الثاني وصف لونها وفي الثالث وصف خلقها وعملها... ومن ذلك قوله تعالى «مثل
الجنة التي وعد المتقون» أي صفة الجنة التي وعد المتقون كيت وكيت... ومنه قوله تعالى
«مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا» وقوله تعالى «الذين ينفقون» الآية... وقوله
تعالى «مثل الحياة الدنيا» الآية... ومن هذا الباب في القرآن كثير لا يحصى وكذلك

في السنة النبوية وكذلك في الشعر . . ومن بديع ما ورد في الشعر قول أبي تمام في وصف سحابة

ديمةٌ سحت العهاد سكوب - مستغيثٌ بها النرى المكروب
لوسعت بقعة لاعظام أخرى - لسى نحوها المكان الجديب
. . والوصف قريب من التشبيه إلا أن الفرق بينهما أن التشبيه مجاز والوصف راجع إلى حقيقة وذاته . وفي القرآن العظيم والكلام الفصيح منه كثير

— القسم التاسع والخمسون —

(تنسيق الصفات بغير حرف نسق)

وهو أن تصف الشيء بصفات عديدة متوالية . أما لتعظيمه . وأما لتحقيره . وأما لبيان خصوصية فيه . ومنه في الكتاب العزيز كثير . . أما في التعظيم فنقل قوله تعالى « هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم » إلى آخر السورة . وأما في التحقير فكقوله تعالى « ولا تطع كل حلافٍ مهين هازٍ مشاءٍ بنيمٍ مناعٍ للخيرٍ معتدٍ أثيمٍ معتدلٍ بعد ذلك زعيم » . وما لبيان الخصوصية وإظهار الكرامة فكقوله تعالى « عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً » الآية . ومنه في السنة النبوية قوله صلى الله عليه وسلم - ألا أخبركم بأحبكم إليّ وأقربكم مني . يجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً الموطؤون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون - ومن الدم - ألا أخبركم بأبفضكم إليّ وأبعدكم مني . يجالس يوم القيامة أسوأكم أخلاقاً الثرثارون المتفهبون - . . ومن هذا النوع في الشعر كثير . من ذلك قول العباس بمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل . . وقول حسان

بيضُ الوجوه كريمةٌ أحسابهم شَمَّ الأنوف من الطراز الاول

❦ القسم الستون ❦

(حسن النسق)

وهو أن تأتي بكلمات من النثر أو النظم متاليات ومتعاقبات نسوقة بعضها على بعض بحرف العطف كل كلمة إذا أفردت كانت تقوم بمعنى مفرد مستقبل وكل بيت إذا جرد من تلوه استقل معناه ولم يشتر إلى غيره وإن ضم إليه تلوه صاراً كأنهما بيتاً واحداً . . . ومنه في الكتاب العزيز قوله تعالى « وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا بطن الأعلى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودي » وقيل بعداً للقوم الظالمين « فانت ترى هذه الجمل معطوفاً بعضها على بعض بواو النسق على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة لانه سبحانه بدأ بالاهم اذ كان المراد اطلاق أهل السفينة من سجنها ولا يتهيأ ذلك إلا بانكشاف الماء عن الأرض فلذلك بدأ بالأرض فأمرها بالانقلاع ثم علم سبحانه أن الأرض اذا ابتلعت ما عليها ولم تنقطع مادة السماء تأذى بذلك أهل السفينة عند خروجهم منها وربما ينزل من السماء أكثر مما يتابع الأرض فأمرها بالاقلاع بعد أن أمر الأرض بالابتلاع ثم أخبر بغيض الماء عند ما ذهب ما على الأرض وانقطعت مادة السماء وذلك يقتضي أن تكون ثلاثة الجملتين المتقدمتين ثم قال تعالى - وقضى الأمر - أى هلك من قدر هلاكه ونجى من قضيت نجاته وهذا كنه الآية وحقيقة المعجزة ولا بد أن تكون معلومة لأهل السفينة ولا يمكن علمهم بها إلا بعد خروجهم منها وخروجهم موقوف على ما تقدم وبذلك اقتضت البلاغة أن تكون هذه الجملة رابعة الجمل وكذلك استواء السفينة على الجودي أى استقرارها على المكان الذى استقرت فيه استقراراً لا حركة معه لتبقى آثارها عبرة لمن يأتى بعد أهلها وذلك يقتضى أن تكون بعد ما ذكرنا . وقوله سبحانه وتعالى - وقيل بعداً للقوم الظالمين - وهذا دعاء أوجبه الاحتراس ممن يظن أن الهلاك ربما شمل من لا يستحق فداء الله سبحانه وتعالى على الهالكين وسامهم ووصفهم بالظلم احتراساً من هذا الاحتمال وذلك يقتضى أن يكون بعد كل ما تقدم والله أعلم . فانظر

الى حسن هذا النسق كيف وقع القول فيه وفق الفعل سواء .. وقد حكى ان ابن المقفع العبدى عارض آى القرآن فلما بلغ الى هذه الآية أمسك عن المعارضة وقال هذه الفصاحة التى لا تبارى والبلاغة التى لا يسابق المتكلم بها ولا يجارى والقول الفصل الذى لا يخلف فيه ولا يتجارى . وهذا فى الشعر كثير .. ومن أحسنه قول ابن شرف القيروانى

جاوز علياً ولا تحفل بمحادثة اذا اذّرعَت فلا تسأل عن الاسل
سل عنه وانطق به وانظر اليه تجد ملء المسامع والافواه والمقل

❦ القسم الحادى والستون ❦

(المدح والذم)

وفى كتاب الله تعالى منه كثير . المدح للمؤمنين . والذم للكافرين . ومدحه هو المدح على الحقيقة . وذمه هو الذم على الحقيقة .. وقد مدح الله تعالى نفسه بقوله « اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ » . وقوله تعالى « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ » حتى قال بعض العلماء لكل أحد نسبة ونسبة الله تعالى - قل هو الله أحد - ومدح الله عز وجل نبيه بآيات كثيرة كقوله تعالى « إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا » ومدح نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فى آيات كثيرة . منها قوله تعالى « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا » ومدح المؤمنين بقوله تعالى « الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنَجْزِيهِمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مِنْ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ » . والتائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله . وذم سبحانه وتعالى الكافرين بآيات كثيرة . منها قوله تعالى « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَبُغِضَ عَنْهُمْ قُلُوبُهُمْ » الآية . وذم المنافقين بقوله « وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ

وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وما يُخَادِعُونَ اللَّهَ أَشْفَهُمْ
وما يشعرون في قلوبهم مرضٌ فزادهم الله مرصاً ولهم عذابٌ أليمٌ . . . وأمامنا
الناس بعضهم بعضاً فينبى لمن أراد أن يمدح أحداً أن يمدحه بألفاظ حسنة مستعذبة
واضحة المعنى راقية اللفظ غير حوشية ولا قلقة وأن تكون القصيدة أو الرسالة حسنة
المطلع بديعة التخلص غلبة المقطع وأن يكثر في وصف الممدوح ونشر مآثره وتعدد
مكارمه ونحو ذلك ويكثر من ذكر النوع الذي يميل إليه من المكارم ويجب أن يوصف
به من المآثر ونحو ذلك . . . وقد قال قدامة الأوصاف التي يمدح بها أربعة . الأول
العقل ويدخل فيه الحياء والثبات والسياسة والكفاءة وثقافة الرأي والصدق بالحجة
والحلم عن سفاهة السفهاء وأمثال ذلك . الثاني الشجاعة ويدخل فيها المهابة والحماية
والدفاع والاختذ بالثأر والنكاية في العدو وقتل الاقران والسير في المهامه وأشياء ذلك .
الثالث العفة ويدخل فيها الفناعة وقلة الشره وطهارة الأزار ونحو ذلك . الرابع العدل
ويدخل فيه السماحة والاطلاق والتبرع بالنائل واجابة السائل وقراء الضيف . ويحدث
من تركيب العقل مع الشجاعة الصبر على الملمات والوفاء بالوعد . ومع العفة ترك الشره
والرغبة عن المسألة والاقتصار على أدنى معيشة . ومع العدل البروانحياز الوعد . ويحدث
من تركيب الشجاعة مع العفة انكار الفواحش والغيرة على الحرم . ومع العدل الانتلاف
وترك الخلاف . ويحدث من تركيب العفة مع العدل الاسعاف بالقوة والانتثار على النفس
ونحو ذلك . . . واستوعب زهير الاقسام الاربعة فقال

أخي ثقة لا تهلك الحر ماله ولكنهُ قد يهلك المال نائله

وصفه بالعفة لقلة امعانه في اللذات وبالسخاء ووصفه بالشجاعة والعقل فقال

ومن مثل حصن في الحروب ومثله لا ذهاب ضيم أو خضم مجادله

وأما قوله - أخي ثقة - فهو وصف بالوفاء وهو داخل فيما ذكرنا . . . وفي الذم يأتي
بأضداد ما تقدم . وقيل أحسن الهجاء ما لا تستحي العذراء من انشاده . وقيل في
الذم أن تأتي بالألفاظ المنكية والمعاني المشجبة والمقاصد المؤلمة المبكية ويتوخى أقبح
معائب المهجور وأعظم وجوه الازدراء به ولهذا المعنى حرّمه الله ورسوله وعم بالفم

والإنكار كل من يحفظه أو يقوله

﴿ القسم الثاني والستون ﴾

(الحمد والشكر)

وقد اختلف العلماء فيهما فقال قوم وهم الجمهور الحمد هو ذكر ما في الانسان من
الباثر الحسنة والصفات المستحسنة والشكر ثناء يقصد به مجازاة النعم . وقال بعض أهل
العلم ان الحمد وصف اخلال كقول الخنساء أخت صخر

وما باقت كفتُ امرئ متاولاً من المجدِ إلا والذي نالت أطولُ
وما بلغ المهدون للناس مدحةً وان أطنبوا إلا التي فيك أفضلُ
والشكر وصف الافعال كقول الشاعر

وانكم بقية حتى قيس وهضبتُ التي فوق النصاب
تبارون الرياح اذا تبارت وتمتئون أفعال السحاب
يذكرني مقامي في ذراكم مقامي أمس في ظل الشباب

.. وقيل ان الحمد والشكر سواهما . وقال أهل اللغة - حمدت الرجل - اذا شكرت
له صنيعه - وأحمدته - اذا وجدته محموداً . وقال ابن الانباري - حمد - مقلوب مدح
وقد قيل كيف يكون الحمد والشكر سواء والحمد نقيضه الذم والشكر نقيضه الكفران
والذي اختاره أن الحمد أعم من الشكر وانه قد يحمد الشخص على ما فيه من
الاخلاق الجليلة والصفات الجميلة ويحمد على حسن خلقه من الصباحة والجمال والكمال
ويحمد على ما فيه من الفصاحة والبلاغة والنجابة ويحمد على كثرة انعامه واحسانه والشكر
انما يكون للنعم عليك فقط فاذا حمدت أحداً ان نويت بالحمد الشكر له على ما اسدى
اليك من الانعام والاحسان كان هذا الحمد هو الشكر لانه مجازاة لصنيع ومكافأة
لاحسان فقد آتيت بأعلى درجات الشكر هو الذي أشار اليه رسول الله صلى الله عليه

وسلم بقوله الحمد رأس الشكر وهو الذى يجوز اطلاقه على الشكر واطلاق الشكر عليه
وان أردت بالحمد الثناء على صفاته الجميلة الكاملة التى خلقه الله عليها فهذا أخو المدح
وهو علاء ويجوز اطلاقه على المدح واطلاق المدح عليه وان أردت بالمدح وصفه بكمال
الجمال والجلال وحسن الشيم والخلال والثناء عليه بما أسدى اليك والى غيرك من الانعام
والافضال فهذا هو الحمد الكامل ولا يجوز أن يطلق عليه الشكر والمدح فهذا هو
الحق . . وقد تكلم المفسرون فى الحمد والشكر والفرق والجمع بينهما وبين المدح ومن
علم ما ذكرته هنا سهل عليه الاختلاف والاتلاف والله الموفق للصواب لا رب غيره

— القسم الثالث والستون —

(تأكيد المدح بما يشبه الذم)

وهو كقولهم بحار العلم إلا أنهم جبال الحلم . . ومنه قول بديع الزمان
هو البدر إلا أنه البحرُ زائراً سوى أنه الضرعُ لمكنه الوابلُ
وهذا من نوع الغلو والإغراق وسيأتى بيانه عقيب هذا القسم ان شاء الله تعالى . وهذا
النوع فى القرآن كثير

— القسم الرابع والستون —

(المبالغة) وتسمى الافراط والغلو والايصال .

ومعنى هذه الاسماء مقاربة وبعضها أرفع من بعض

قال علماء علم البيان المبالغة الزيادة على التمام وسميت مبالغة لبلوغها الى زيادة على
المعنى لو أزيلت تلك الزيادة وأسقطت كان المعنى تاما دونها لكن الغرض بها تأكيد ذلك
المعنى فى النفس وتقريره . وفى القرآن العظيم والكلام الفصيح والاشعار منه كثير . .

أما الكتاب العزيز فقوله تعالى « اذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ
الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا » . ومنه قوله تعالى « وقد
مَكَّرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ » وقد قيل ان
هذه الآية ليست من باب المبالغة بل حكاية عما وقع . ومنه قوله تعالى « تكَاذِبُ السَّمَوَاتُ
بِمَنْفَطَرِنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا » . وقوله تعالى « ولَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ
بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّمَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلَّمَ بِهِ الْمَوْتَى » الآية . . وأما الكلام الفصيح
فقد روى عن العرب أنهم قالوا فلان يهدُّ الجبال ويصرع الطير ويفزع الجن ويروى
الماء . . وقال بعض العرب في فرسه - يحضر ما وجد أرضاً وإن الوابل ليصيب عجزه
ولا يبلغ معرفته حتى أنال حاجتي - . ودم اعرابي رجلاً فقال - يكاد يمدى لؤمه من
تسمى باسمه - . وقالت سكينه - ما لبست بنى الذر إلا لتفضحه - ومنه في الشعر
كثير . . فن ذلك

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دُجى الليل حتى نظم الجزع ناريه
.. وقال المتنبي

لقيت الروابي والشناخيب دونه وجبت هجيراً يترك الماء صادياً
.. وقال آخر

لو كان يبعد فوق النجم من كرم قوم لقبل أقعدوا يا آل عباس
.. وقال آخر

فكنت إذا ما جئت ليلي بأرضها أرى الأرض تطوى لي ويد نوبعدها
من الخفريات البيض ود جليسه إذا ما مضت أحدى دة لو نعيدها
وكيف يود القلب من لا يودّه بلى قد تريد النفس من لا يريدّها
.. وقال آخر

وحدتها السعير الحلال لو أنه لم يحن قتل المسلم المتحرز
إن طالم يملأ وان هي أوجزت ود الحديث أنها لم توجز

شَرَكُ النُّفُوسِ وَنَزْهَةٌ مِثْلُهَا لِلْمُطْمَئِنِّ وَعُقْلَةٌ الْمُسْتَوْفِزِ
والاشعار في هذا الباب كثيرة لا تحصى

— القسم الخامس والستون —

(الرثاء والتعزية)

فأما الرثاء فهو مدح الميت بما كان فيه من المناقب المذكورة والحاسن الماثورة . ومنه قوله تعالى في حق إبراهيم عليه الصلاة والسلام « وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْحَسَنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ » . وقوله تعالى « إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ » . وقوله تعالى في حق نوح عليه الصلاة والسلام « وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ » . . وأما التعزية فهو أن يذكر ما يتوصل به إلى تسلية مخلي الميت وتصبيرهم واطفاء نار نكلهم . وفي القرآن من ذلك كثير وهي كثيرة في أشعار المتقدمين والمتأخرين . . أما القرآن فقوله تعالى « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ » . وقوله تعالى « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ » . وقوله تعالى « وَكَأَيِّنْ مِنْ نَجْدٍ قُتِلَ مَعَهُ رَيْبِيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا » . وقوله تعالى « كُلَّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . وقوله تعالى « أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ » . وقوله تعالى « وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ » . وقوله تعالى « وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ » . وقوله تعالى « وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ » وأما الاشعار فقد ورد منها في هذا كثير لا يحصى . . فمن أحسن ذلك قول بعضهم

مضى ابن سبيدٍ حيث لم يبقَ مَشرقٌ ولا مغربٌ إلا له فيه مَدحٌ
وما كنتُ أدري ما فواضلُ كَفِّهِ على الناسِ حتى غَيَّبَهُ الصَّفائحُ
وأصبحَ في لحدٍ من الأرضِ مُفَرِّداً وكانت به حَيًّا تضيقُ الصَّحاصحُ
لئن عَظُمَتْ فيه المِرائي وحسُنُها لقد عَظُمَتْ من قَبْلُ فيه المِدايحُ
.. ومن بديعِ التَّعْزِيَةِ قولُ بعضهم

أَيُّهَا النَّفْسُ أَجْلَى جَزَعًا إِنَّ الَّذِي تُحَذِّرِينَ قَدْ وَقَعَا

.. وقولُ بعضهم

قِسْمَةُ الْمَوْتِ قِسْمَةٌ لَا تَجُورُ كُلُّ حَيٍّ بِكَاسِهَا مَخْجُورُ

.. وقولُ الخنساء

يَذْكُرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا وَأَنْدُؤُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ
وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينِ حَوْلِي عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي
وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ أَسَلَى النَّفْسَ عَنْهُ بِالنَّاسِ

﴿ القسم السادس والستون ﴾

(في الشكاية)

وهي في القرآن على قسمين . ملفوظ بها . وغير ملفوظ بها .. أما الملفوظ بها
ففي قوله تعالى « إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ » .. ومن الشعر قول بعضهم
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَا إِلَى النَّاسِ أَنِّي أَرَى الْأَرْضَ تَطْوِي وَالْإِخْلَافَ تَذْهَبُ
.. وقال آخر

وَلَا خَيْرَ فِي شَكْوَى إِلَى غَيْرِ مُشْتَكِي وَلَا بُدَّ مِنْ شَكْوَى إِذَا لَمْ يَكُنْ صَبْرُ
.. وَأَمَّا غَيْرُ الْمَلْفُوظِ بِهَا ففِي الْقُرْآنِ مِنْهُ كَثِيرٌ . مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى « قَالَ رَبِّ إِنِّي
الْقَوْمَ اسْتَغْفِرُونِي وَكَادُوا يُقْتَلُونِي » . وَقَوْلُهُ تَعَالَى حِكَايَةَ عَنْ نُوحٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

والسلام « قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا » إلى قوله « وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا » • وقوله تعالى « وَأَفْوَضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْإِبَادِ » ومثله في القرآن كثير وفي الشعر كثير • • فمن بديعه قول الشاعر

يا الهى قد أَتَقَلَّتْنِي الذُّنُوبُ فاعفُ عني فاعفُ منك قَرِيبُ
وتجاوزُ عن مُذنبٍ بِخَطايا • عن الخير قَابُهُ مَحْجُوبُ
كل يوم يعضى عليه ويدرى انه من حياته محسوب
وهو في غفلة بعيد من الخط ير قريب منه الخطا والذنوب
• • ومن بديعه أيضاً قول بعضهم

يا من يُناجى بالضمير فيسمعُ أنتَ المَعْدَى لكلِّ ما يُتَوَقَّعُ
يا من يُناجى للشَّادِدِ كلها يا من اليه المشتكى والمفزعُ
يا من خزائنُ جوده في قولِ كن امن فان الفضل عندك أجمعُ
مالي سوى قرعى لبابك حيلةُ فاذا رددت فأى باب أقرعُ
ومن الذى أدعو واهتف باسمه ان كان بِرِّكَ عن فقيرك يمنع
حاشى لجودك أن يقنط راجياً الفضلُ أجزلُ والمواهبُ أوسعُ
• • وفي هذا الباب أشعار كثيرة لا تحصى

❦ القسم السابع والستون ❦

(الحكاية)

وهو ان يحكى كلام المتكلم اما بلفظه أو بمعناه والقرآن العظيم مشحون بذلك • وهو على قسمين • ظاهر • ومقدر • • أما الظاهر فكما حكاه الله سبحانه وتعالى من قول الملائكة « قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ » • ومنه قوله تعالى « وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ » وقالت

النصارى » وكذلك كل ما يحكاه الله تعالى من أقوال القرون الخالية والامم الماضية . وأما
المقدر فكقوله تعالى « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك »
التقدير يقولون - ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك - دليل
ذلك انه رد عليهم بقوله « قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون
حديثاً » ومثله في القرآن العظيم كثير

﴿ القسم الثامن والستون ﴾

(الانقضاء)

وهو طاب الموعود بالوعد السالف . وهو على ضربين . حسن . وخشن . فالحسن
مرغوب فيه لانه يحصل المقصود وينجز الموعود . . وأما المذموم فهو سبب الحرمان
وحسم لمادة الاحسان . وقد وقع منه في الكتاب العزيز القسمان . . أما الحسن فمثل
قوله تعالى « ربنا وآتانا ما وعدتنا على رؤسك ولا تخزنا يوم القيامة أنك لا تخلف
الميعاد » . وقوله تعالى « قل رب احكم بالحق » وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون . .
وقوله تبارك وتعالى « ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم
الكافرين » استنجزوا وعده الكريم وهو قوله تعالى « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين »
. . وأما الخشن فورد منه في القرآن كثير أيضاً . فمنه قوله تعالى « واذ قالوا اللهم ان كان
هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء » الآية . وقوله تعالى « وقالوا
ربنا عجل لنا قسطنا قبل يوم الحساب » . وقوله تبارك وتعالى « فأتينا بما تعدنا ان
كنت من الصادقين » . وفي الشعر منه كثير



﴿ القسم التاسع والستون ﴾

(التذكير)

وهو التنبيه لمن غفل أو سهى عن شكر نعمة أسديت إليه ومنن أزلقت لديه نسيمها أو تناساها لتقوم عليه حجة النعم وليوقظ من نوم غفلته في ليل نسيانه أو تناسيه المظلم . وفي الكتاب العزيز منه كثير من ذلك قوله تعالى « يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم » . وقوله تعالى « اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين » اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين » . وقوله تعالى « فقولاً له لئنألهه يتذكر أو يخشى » ومعناه لعله يتذكر سترنا له وانعامنا عليه في أمر النيل اذ تضرع الينا فأجرينا له النيل لما التمس قومه منه اجراء النيل أو يخشى انتقامنا منه في الدنيا بالفرق وفي الآخرة بالنار والحرق . والفرق بين الاقتضاء والتذكير أن التقاضى لاستبعاد حصول المطلوب لطول مدة انتظار المرغوب . والتذكير انما يكون عن غفلة أو نسيان كقول بعضهم

جئتكَ للاذكارِ مُستحِرضاً لالتقاضيكَ وَحُوشيتنا
ولستَ بالهمَلِ لَكِمْنا لكثرةِ الاشغالِ أَنْسيتنا

﴿ القسم الموفى السبعين ﴾

(الوعد والوعيد)

• أما الوعد فهو اطماع باحسان في المستقبل وهو على قسمين متحقق الوقوع وهو وعد الله سبحانه وتعالى لقوله تعالى « وعد الله لا يخلف الله وعده » . وقوله تعالى « ان الله لا يخلف الميعاد » ووعد مرجو وقوعه وهو وعد العباد . والوعد يكون

في الخير والشر لكن استعماله في الخير أكثر قال الله تعالى « جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده مائياً » . وقال تعالى « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفشحاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً » . وفي هذه الآية شاهد للمعنيين . وقد ورد في القرآن العظيم وفي الشعر منه كثير . أما القرآن فنه ما قدمنا . ومنه قوله تعالى « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا » . وقوله تعالى « وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها » . وقوله تعالى « ربنا وآتانا ما وعدتنا على رؤسنا » . . . وأما الوعيد فهو تخويف بسوء المجازاة في المستقبل تحذيراً من الوقوع في المخالفات . وفي القرآن العظيم منه كثير . فن ذلك قوله تعالى « آمنوا بما نزلنا مُصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنزدها على أذبارها أو نلغنها كالأعصاب السبب وكان أمر الله مفعولاً » . وقوله تعالى « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً » . وقوله تعالى « ومن يعص الله ورسوله ويتمدد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين » . وقوله تعالى « والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور » الى قوله « وما للظالمين من نصير »

❧ القسم الحادى والسبعون ❧

(العتاب والانذار)

وهو دليل بقاء المودة ودوام عقد اللفة والصحبة . والفرض به ازالة ما فى النفوس من الوحشة لأن مجرياته يظهر ما فى القلوب من آثار الجنابة ويبدو ما فى البواطن من تأكيد أسباب العناية اذ لولا بقاء المودة الخفية لحصت القطيعة بالكلية ولم يحتج الى عتاب ولم يرغب فى الاعتبار ولهذا قيل

* ويبقى الود ما بقى العتاب *

ومنه في القرآن العظيم كثير .. فمن ذلك قوله عز وجل « عفا الله عنك لم اذنت لهم » . وقوله تعالى « يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك » . وقوله تعالى « عبس وتولى أن جاءه الأعمى » . وقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة » الى قوله « والله عليم حكيم » . وفي القرآن من جميل العتاب شيء كثير .. وأما الانذار ففي القرآن منه كثير لا يحصى . فنه قوله تعالى « إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرتهم لا يؤمنون » . ومنه قوله تعالى « وأنذرتهم يوم الآزفة اذ النلوب لدى الحناجر » الآية . وقوله تعالى « وأنذرتهم يوم الحسرة اذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون »

❖ القسم الثاني والسبعون ❖

(الاعتاب)

وهو رجوع الانسان عما عتبت عليه بسببه يقال عتبت فاستعتب أى أرجعته فانزعج . ومنه قوله تعالى « فان يصبروا فلنار منوى لهم وإن يستعتبوا فما هم بمعيتين » . وفي الحديث - اما محرجنا فيزداد واما مسيثا فيستعتب .. ومنه قول الشاعر
عتبت عليه فما أعتبا وعنه اعتذرت وقد أذنبنا

❖ القسم الثالث والسبعون ❖

(الاعتذار)

وهو التوسل الى محو الذنب وازالة أثر الجرم مأخوذ من قولهم اعتذرت المنازل اذا درست .. ومنه قوله تعالى « يعتذرون اليكم اذا رجعت اليهم قل لا تعتذروا » الآية . وقوله تعالى « واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معبدهم

عذاباً شديداً قالوا معذرة الى ربكم ولعلمهم يتقون . وقوله تعالى « تبرأنا اليك ما كانوا يعبدون »



- القسم الرابع والسبعون -

(تأكيـد الضمير المتصل بالمنفصل)

يُفعل ذلك لضرب من المبالغة . وفي القرآن العظيم منه كثير . فمن بديع ما جاء منه قوله تعالى « قالوا يا موسى إما أن تُتلقى وإما أن نكون نحن الملقين » قولهم - يا موسى إما أن تأتي - تخيير منهم له وحسن أدب راعوه معه كما يفعل أرباب الصناعات اذا تلاقوا في تقديم بعضهم على بعض كالمشاهدين قبل أن يتخاضوا في الجدل وإنما قالوا - وإما أن نكون نحن الملقين - ولم يقولوا وإما أن نتلقى كما قالوا - يا موسى إما أن تتلقى - لرغبتهم في أن يلقوا قبله وتشوفهم الى التقدم عليه وذلك لما فيه من تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل . . . وما يجري على هذا المنهاج قوله عز وجل « فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف: إنك أنت الأعلى » فتوكيد الضمير هاهنا في قوله - لا تخف انك أنت الأعلى - نفي الخوف من قلب موسى وأثبت في نفسه الغلبة والقهر ولو قال لا تخف انك الأعلى أو - وأنت الأعلى - لم يكن في التأكيد لنفي الخوف من قلب موسى كما له من القوة في تقرير الغلبة ونفي الخوف بقوله - انك أنت الأعلى - وذلك لأن في هذه الثلاث كلمات وهي قوله تعالى - انك أنت الأعلى - ست فوائد . الأولى إن المشددة التي من شأنها التأكيد لما يأتي بعدها كقولك زيد قائم ثم تقول إن زيدا قائم فني قولك ان زيدا قائم من الاثبات لقيام زيد والتقدير له ما ليس في قولك زيد قائم . الثانية تكرير الضمير في قوله تعالى - انك أنت - ولو قال فأنت الأعلى لما كان بهذه المثابة من التقرير لغلبة موسى والاثبات لقهره . الثالثة لام التعريف في قوله - الأعلى - فلو قال انك أنت أعلى ففكره وكان صالحاً لكل واحد من جنسه كقولك

رجل فانه يصلح أن يقع على كل واحد من الرجال واذا قلت الرجل فقد خصصته من بين الرجال بالتعريف وجعلته علماً فيهم . وكذلك قوله - إنك أنت الاعلى - أي أنت الاعلى دون غيرك . الرابعة لفظ أفعل الذي هو من شأنه التفضيل ولم يقل العالى . الخامسة اثبات الغلبة من عالى . السادسة الاستثناء في قوله - إنك أنت الاعلى - ولم يقل لأنك أنت الاعلى لانه لم يجعل علة انتفاء الخوف عنه لانه عال وانما نفي الخوف عنه أولاً بقوله - لا تخف - ثم استأنف الكلام بقوله - إنك أنت الاعلى - فكان ذلك أبلغ في تقرير الغلبة لموسى عليه الصلاة والسلام واثبات ذلك في قلبه ونفسه . فهذه ست فوائد في هذه الكلمات الثلاث فانظر أيها المتأمل الى هذه البلاغة العجيبة التي تحير العقول وتذهب الالباب ومعجز هذا الكلام العزيز الذي أعجز البلغاء وأخف النصحاء ورجل فرسان الكلام (فان قيل) لو كان توكيد الضمير المتصل بالمنفصل أبلغ من الاقتصار على أحدهما لورد ذلك عند ذكر الله تعالى نفسه في كتابه حيث هو أحق بما هو أبلغ من الكلام وقد رأينا في الكتاب العزيز مواضع تختص بذكر الله تعالى وقد ورد فيها أحد الضميرين دون الآخر كقوله تعالى « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير » فما الموجب لذلك ان كان تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل أبلغ في بابه من الاقتصار على أحدهما دون الآخر فقد كان يجب عند ذكر الله تعالى نفسه لانه أحق بالأبلغ من العلاء وان كان الامر بخلاف ذلك فكيف قلنا ان توكيد الضمير المتصل بالمنفصل أبلغ (الجواب) عن ذلك انا نقول توكيد المتصل بالمنفصل انما يرد في الكلام لتقرير المعنى واثباته في الذهن وما يختص بالله تعالى لا يقتصر الى تقرير ولا اثبات لانه اذا قيل عنه انه على كل شيء قدير لم يحتاج في ذلك الى توكيد حتى يتحقق ويتبين أنه على كل شيء قدير بل علم وعرف أنه على كل شيء قدير وأن قدرته جارية على كل مخلوق فصار هذا من الامر المعروف الذي لا يعتريه شك ولا يعترضه ريب وما هذا سبيله في الوضوح والبيان فلا حاجة فيه الى التوكيد اذ كان التوكيد من شأنه التقرير المعنى المراد اثباته في النفس وكون الله سبحانه على كل شيء قدير ثابت في النفوس فلم يحتاج الى تقرير

وابتات (فان قيل) فقد ورد في القرآن العزيز عند ذكر الله تعالى نفسه التأكيد بالضمير المنفصل للضمير المتصل كقوله تعالى « واذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله » الى قوله « انك أنت غلام الغيوب » كما انك على كل شيء قدير . فذا السبب في هذا وهلا كان الجميع شرعاً واحداً (فالجواب على ذلك) انا نقول تأكيد الضميرين أحدهما بالآخر في هذه الآية لا ينقض علينا ما أشرنا اليه أولاً لانه ان وقع الاختصار على أحدهما دون الآخر فان القول في ذلك ما تقدم في الآية الأولى وان جرى بهما معاً فان ذلك أبلغ في بابه وأكد والله تعالى أحق بما هو أبلغ من الكلام وأكد . ولتمثل لك في استعمال الضميرين معاً والاختصار على أحدهما دون الآخر مثالا تتبعه فنقول اذا كان المعنى المقصود أمراً معلوماً قد ثبت في النفس ورسخ في الالباب فأنت بالخيار بين أن تؤكد أحد الضميرين بالآخر في الدلالة عليه وبين أن تقتصر على أحدهما دون الآخر لانك ان وكدت الكلام فيه أعطيت المعنى حقه وان لم تؤكد فانه لا يحتاج الى تأكيد لبيانه وظهوره فان كان المعنى المقصود خفياً ليس بظاهر ولا معلوم فالأولى تأكيد أحد الضميرين بالآخر لتقرره وتكسبه وضوحاً وبياناً . ألا ترى الى قوله لموسى عليه السلام - قلنا لا تخف انك أنت الاعلى - فانه كان ظهور موسى عليه السلام على السحرة وقهره لهم أمراً مستقرآ في ذهن الغيب لا يعلم ولا يعرف وأراد الله عز وجل أن يخبره بذلك ليذهب عنه الخوف والحذر بالأبلغ من الكلام ليكون ذلك أثبت في نفس موسى وأقوى دليلاً عنده في انتفاء الخوف عنه فؤكد الضمير المتصل بالمنفصل فجاء المعنى كما ترى ولو لم يؤكد كان ذلك أيضاً اخباراً لموسى عليه الصلاة والسلام بنفي الخوف عنه واستظهاره على السحرة ولكن ليس له من التقرير في نفس موسى عليه الصلاة والسلام ما لقوله انك انت الاعلى فاعرف (وعلى) نحو من ذلك قوله تعالى - قالوا يا موسى اما أن تأتي وإما أن نكون نحن الملقين - فان ارادة الالتقاء قبل موسى لم يكن معلوماً عنده لانهم لم يعرضوا بما في أنفسهم من ذلك لكنهم لما عدلوا عن مقابلة خطابهم لموسى الى ما هو تأكيد ما هو لهم بالضميرين علم أنهم يريدون التقدم عليه واللقاء قبله لان من شأن مقابلة خطابهم لموسى عليه الصلاة والسلام

مثله أن يقولوا اما أن تأتي واما أن تأتي لتكون الجملتان متقابلتين حيث قالوا عن أنفسهم - واما أن تكون نحن الملقين - استدل بذلك على ارادتهم الالتقاء قبله فهذه معان لطيفة ورموز غامضة لا ينبغي لها إلا الفطن اللبيب فاعرفها

— القسم الخامس والسبعون —

الخطاب بالجملة الفعلية والخطاب بالجملة الاسمية
المؤكددة بأن المشددة وتفضيل احدهما على الاخرى

وذلك كقولنا قام زيد وان زيدا قائم فقولنا قام زيد معناه الاخبار عن زيد بالقيام وقولنا ان زيدا قائم اخبار عن زيد بالقيام أيضاً إلا أن في الثانية زيادة ليست في الاولى وهي توكيده بان المشددة التي من شأنها الاثبات لما يأتي بعدها من الكلام . . ومن هذا النحو قوله تعالى « واذا اقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزون » فانهم انما خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالجملة الاسمية المحققة بان المشددة فقالوا في خطاب المؤمنين - آمننا - ولاخوانهم - انا معكم - لانهم في مخاطبة اخوانهم بما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اعتقاد الكفر والبعد من أن ينزلوا عنه على صدق ورغبة ووفور نشاط وكان ذلك مُتقبلاً منهم ورأجاً عند اخوانهم وما قالوه للمؤمنين فانما قالوه تكلفاً واظهاراً للإيمان خزيّاً ومداواة وكانوا يعلمون أنهم لو قالوا بأوكد لفظ وأشدّه لما راج لهم عندهم إلا رواجاً ظاهراً لا باطناً ولأنهم ليس لهم من عقائدهم باعث قوى على النطق في خطاب المؤمنين بمثل ما خاطبوا به اخوانهم من العبارة المؤكدة فلذلك قالوا في خطاب المؤمنين بخلاف ما قالوه في خطاب اخوانهم وصريحاً في كلامهم لـاخوانهم أن ما خاطبوا به المؤمنين انما هو هراء فقالوا « انما نحن مستهزون » . . وهذه نكت دقيقة ولطائف خفية لا توجد في نوع من الكلام العربي الا في القرآن الكريم وما أكثر ذلك وأمثاله في آياته وأوفره مودعاً في غرضه فاعرفه وقس عليه ترشد

- القسم السادس والسبعون -

(في لام التأكيد)

اعلم وفقنا الله وإياك أن علماء علم البيان وعلماء العربية اتفقوا على أن هذه اللام تدخل في الكلام لنوع من المبالغة وذلك أنهم إذا عبروا عن أمر يعز وجوده أو يعظم أمر أحداثه ووقوعه جرى بها محققة لذلك وشاهدة .. فن ذلك قوله تعالى « أفرايتم ما تحرثون أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء إجماعنا حطاماً » وقوله تعالى « أفرايتم الماء الذي تشربون أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون » ألا ترى كيف دخلت اللام في آية المطعوم دون آية المشروب وإنما جاءت كذلك لأن جعل الماء العذب مالحاً ليس بعظيم ولأن كثيراً ما إذا جرت المياه العذبة على الأراضي المتغيرة التربة حالها إلى الملوحة والمرارة فلم يحتاج في جعل الماء العذب ملحاً إلى زيادة تأكيد فلذلك لم تدخل عليه لام التأكيد المفيدة زيادة التحقيق وأما المطعوم فإن جعله صعب فلذلك قرن بلام التأكيد زيادة في تحقيق أمره وتقرير إيجاده .. وكونه هكذا يفعل بكل كلام فيه نوع خصوصية

- القسم السابع والسبعون -

(في الاقتصاد والافراط والتفريط)

قال ابن الأثير رحمه الله الاقتصاد أن يكون المعنى المضمن في العبارة على حسب ما يقتضيه المعبر عنه في منزلته .. وأما التفريط والافراط فهو أن يكون المعنى المضمن في العبارة بخلاف ما يقتضيه منزلة المعبر عنه .. أما لاخطاؤه دونها وهو التفريط وأما تجاوزاً عنها وهو الافراط لأن أصل التفريط في وضع اللغة من فرط في الأمر إذا قصر فيه وضعه وأصل الافراط في وضع اللغة من أفرط في الأمر إذا تجاوز عنه .. والتفريط

عيب في الكلام فاحش كقول الأعشى

وما مزبد من خليج الفرا تـ جـون غواربه تلـطم

بأجود منه بماعونه إذا ما ساء لهم لم تغم

فانه قد مدح ملكا يهود بماعونه - والماعون - هو كل ما يستعمل من قدوم أو فاس أو قصيعة أو قدر وما أشبه ذلك فلا سبيل الى جعله مدحا لله بل هو الى الذم أقرب منه الى المدح فهذا من أقبح التفريط فاعرفه . وأما الافراط فهو بمنزلة ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن رجلا جاءه فكلمه فقال ما شاء الله وشئت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أجعلتنى لله ندًا قل ما شاء الله وخذ . . ومن هذا الباب قول عنزة

وأنا المنية في المواطن كلها والطعن منى سابق الآجال

فان الطعن لا يسبق الأجل لأن الأجل لا يتقدم ولا يتأخر ويروى بالبلاء بـائتين من تحتها وهو أقرب أمراً من كونه بالبلاء الموحدة غير أن كليهما افراط . . واعلم أن علماء علم البيان في استعمال الافراط على ثلاثة أضرب . فمنهم من يكرهه ولا يراه صواباً كأبي عثمان الجاحظ فيما روى عنه ومنهم من يختاره ويؤثره كقدامة بن جعفر الكاتب فانه كان يقول الغلو عندى أجود المذهبين فان أحسن الشعر أ كذبه . ومنهم من يذهب الى التوسط بين الغلو والتفريط وهو الاقتصاد وذلك أن يجعل الغلو وهو الافراط مثلاً ثم يستثنى فيه بأو أو يكاد أو ما جرى هذا الجرى فيدرك مراده ويسلم من عيب عائب أو طعن طاعن وذلك كقول بعضهم في مدح الحسين

يكاد يمسكه عرفان راحته ر كـن الحـطيم إذا ما جاء يستلم

. . وكقول أبي عبادَةَ البحري

ولو أن مشتاقا تكلف فوق ما في وسعه لسمى اليك المنبر

وهذا المذهب المتوسط أبقى المذاهب الثلاثة وأدخلها في الصنعة فاعرفه (قال المصنف عفا الله عنه) أما الاقتصاد والافراط فقد ورد في الكتاب العزيز منه شيء كثير وقد تقدم بيانه . وأما التفريط فليس في القرآن منه شيء

القسم الثامن والسبعون

(الغزل)

وهو من محاسن النظم والغزل التصابي والاشتهار بمودة النساء وهذا قال بعضهم
أيام تدعوني الشيطان من غزل وكن يهويني اذ كنتُ شيطاناً
واشتقاقه من الرقة لان الغزل يرقق ألفاظه حتى يستقبل بها القلوب ويعدّها للرسائل
والوسائل بين المحب والمحبوب • وينبئ أن تكون ألفاظه مُستعذبة ومعانيه مُلهية
مُطربة • وينبئ أن يكثر فيه من ذكر الاجرع والحمي • ولعام • والنقي • وطويلع •
وقبا • والعقيق • وحاجر • والمنحنى وما أشبه ذلك من الألفاظ مثل ذكر المنازل التي
ترشّف ذكرها القلوب وتصبو اليها النفوس من غير أن تراها وكذلك يُكثر فيه من
ذكر الحنين والتشويق والتحزين • وقد يحتاج في بعض المواضع الى ذكر الكرم
والشجاعة والفصاحة والبراعة ليميل بذلك قلب المحبوب ويكون مدعاة الى نيل المطلوب
ألا ترى الى قول بعض الشعراء

يودُّ بأن يُسمى عليلاً لعلها اذا سمعت منه يشكوى تراسله
ويهتزّ للمعروف في طلب العلى لنحمد يوماً عند سلمى شمائله

• • ومثل قول المتنبي

أيقنتُ أن سعيداً آخذٌ بدمي لما بصرتُ به بالرمح مُعقلاً
اراد انها اذا رآته على هذه الصورة المليحة هويته فنالها من هواه كما نال المتنبي من
هواها فكانه أخذ بشاره • • ومنه قوله في هذه القصيدة أيضاً

علّ الأمير يرى ذليّ فيشفع لي الى التي جعلتني في الهوى منار
يشير الى أنها اذا أحبت الأمير علمت مقدار المحبة وعزرت من يحبها كما قيل
انما يرحم الحبّ المحبو ن ويحنو على المشوق المشوق

والقرآن العظيم من جملة إعجازه كثرة الشجاعة وترقيقه للقلوب واستماته للنفوس بحيث أنه

لا يسمعه أحد إلا ومال إليه قلبه وامتلأت به جوانحه وانطوت على مثل حجر الفضاء
 ضلوعه وجرت على صفحات خده دموعه وفيه من وصف الجنة ونعيمها ومنازل الزلاني
 وطيب رسومها ما يشوق القلوب إلى لقائها ويسوق النفوس إلى الحلول بفنائها مثل قوله
 تعالى « مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ
 لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ
 كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ » . وقوله تعالى « إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي
 مَقْعَدِ صَدَقٍ عِنْدَ مُلْكٍ مُقْتَدِرٍ » . وقوله تعالى « وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ
 وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ نَزْلًا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ » . وقوله تعالى « إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ
 مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا » إلى آخر السورة . وقوله تعالى « وَلَنْ خَافَ مَقَامَ
 رَبِّهِ جَنَّاتٍ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ » إلى آخر السورة . وفي القرآن العظيم من هذا النوع كثير

❦ القسم التاسع والسبعون ❦

(في التشبيب)

وهو اللفظ الدال على محاسن النساء ومحاسن أخلاقهن وتصرف أحوال الهوى
 معهن ويدخل فيه الشوق والتذكر لمعاهد الأحبة وتغيرها بالرياح الهابّة والبروق
 اللامعة وأمثالها . . . ومن محاسن التشبيب قول بعضهم

لَوْ جَادَهْنَ غَدَاةَ رُؤْمٍ وَوَا حَا	غَيْثٌ كَدَمَى مَا أَرْدَنَ بَرَا حَا
مَاتَتْ بِفَقْدِ الظَّاعِنِينَ دِيَارُهُمْ	فَكَأَنَّهُمْ كَانُوا لَهَا أَرْوَا حَا
النَّائِبَاتُ النَّافِذَاتُ نَوَاطِرَا	وَالنَّافِذِينَ أَسِنَّةٌ وَسِلَاحَا
وَأَرَى الْعَبُونَ وَلَا كَأَعِينَ عَامِرٍ	قَدَرَا مَعَ الْقَدَرِ امْتِنَاحَا
مُتَوَارِي مَرَضِ الْعَبُونَ وَأَمَّا	مَرَضُ الْعَبُونَ بَأَنَ يَكُنْ صَحَا حَا
لَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ شُجِّ نِسَانِهِمْ	وَمِنَ السَّاحَةِ أَنْ يَكُونَ شَعَا حَا

مقدراً على الثواب والعقاب إلا أنه بعض الخلق لا يشك في نقص عقل من أهله للعبادة ووصفه بالربوبية ولو كان أشرف الخلق كالملائكة والنبين فكيف بمن جمل المعبود جاداً لا يسمع ولا يبصر ثم نرى ذلك بدعوته الى الحق مترفقا به ومتلطفاً فلم ينهم أباه بالجهل المطلق ولا نفسه بالعلم الفائق ولكن قال ان معي لطائف وشيئا منه وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فلا تستكف وهب أني وإياك في مسير وعندى معرفة بالهداية دونك فاتبعني أتجك من أن تضل فتنبه ثم نلت بتشيطه ونبيه عما كان عليه بأن الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن الذي جميع ما عندك من النعم من عنده وهو عدوك وعدو أبوك آدم هو الذي ورطك في هذه الورطة وألفاك في هذه الضلالة إلا أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام لامعانه في الخلاص لم يذكر من جنابة الشيطان إلا الذي يخص منها بالله عز وجل وهي عصيانه واستكباره ولم يلتفت الى ذكر معاداته لآدم وبنيه ثم رجع ذلك بتخويفه سوء العاقبة وما ينتج عليه من الوبال ولم يخل هذا الكلام من حسن أدب حيث لم يصرح بالعقاب اللاحق بأبيه ولكنه قال - اني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن - فذكر الخوف والمس اعظاماً لهما وترك العقاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياعه أكثر من العذاب وصدر كل نصيحة من النصائح الأربع بقوله - ياأبت - توسلا اليه واستعطافاً فقال له في الجواب «أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم لأن لم تنه لأرحنك وأهجرني ملياً» ألا ترى كيف أقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظ العناد فداد به باسمه ولم يقابل قول - ياأبت - بيايى وقدم الخبر على المبتدأ في قوله - أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم - لانه كان أهم عنده وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبة ابراهيم عن آلهته وأن آلهته لا ينبغي أن يرغب أحد عنها ومن هذا الباب قوله تعالى « وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم » الى قوله « ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب » ألا ترى ما أحسن مأخذ هذا الكلام واللفظ مغزاه فانه أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لا يخلو هذا الرجل من أن يكون كاذباً فكذبه يعزى عليه ولا يتخطاه وان كان صادقاً فبصبيكم بعض الذي يمدكم ان

نعرضهم له . وفي هذا الكلام من حسن الأدب والانصاف ما أذكره لك أيها المتأمل . وأقول إنما قال يصبكم بعض الذي يعدكم وقد علم أنه نبي صادق وان كل ما يعدهم به لابد من أن يصيبهم لا بعضه ولأنه احتاج مع أدلة ختم موسى أن يسلك معهم طريق الانصاف والملاطفة في القول وبأنهم من جهة المناجحة فجاء بما علم أنه أقرب إلى تسليهم لقوله وأدخل في تصديقهم له وقبولهم منه فقال وان يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم وهو كلام النصف في مقابلة خصمه غير المشتط فيه وذلك حين وصفه الله بكونه صادقاً فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يقر به لكنه أردفه بقوله « يصبكم بعض الذي يعدكم » ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وأفياً فضلاً من أن يتعصب له وتقدم الكاذب على الصادق من هذا القبيل وكذا قوله « ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب » أي لو كان مسرفاً كذاباً لما هداه الله بالبوة ولا عضده بالبينات فتبين أيها المتأمل لهذه الدقائق اللطيفة الصنع تدل على التيقظ في صناعة التأليف

❦ القسم الحادى والثمانون ❦

(خذلان المخاطب)

وهو الامر بعكس المراد ويدل ذلك على الاستهانة بالمأمور وقلة المبالاة بأمره أي أنا مقابلك على فعلك ومجازيك بحسبه . فن ذلك قوله تعالى « واذا مس الانسان ضرّاً دعا ربه منيباً اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلاً انك من أصحاب النار » . فقوله « قل تمتع بكفرك » من باب الخذلان كأنه قال له اذ قد آيت ما أمرت به من الايمان والطاعة فمن حقك أن لا تؤمر به بعد ذلك وتأمرك بتركه . وهذا مبالغة في خذلانه لان المبالغة في الخذلان أشد من أن يبعث على ضد ما أمر به . . ومن هذا الباب قوله تعالى « قل الله أعبد مخلصاً له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه » فان المراد بهذا الامر الوارد على

وجه التخيير المبالغة في الخذلان على ما سبق ذكره . وفي هذا الكلام معنيان لطيفان . الاول أى أن عبادتكم لله وعبادتكم لغيره انما تنفع أو تضر لكم لالسواكم قاله تعالى مستغن عن عبادتكم له . الثانى توعدده لهم بالمقابلة على فعلهم من غير تصريح بالوعيد وذلك أبلغ من الاصرار به لوقوع الموعد في حيرة من أمره وتراعى وهمه عند ذلك الى كل خطب عظيم من المجازاة والمقابلة كقولك لمن عصاك افعل ما شئت أى انى مقابلك عليه . وهذا نوع من علم البيان شريف

- القسم الثانى والثمانون -

(التعليق والادماج)

وهو أن يدمج مدحاً بمدح أو هجواً بهجواً أو معنىً بمعنى كما قال المتنبي
الىكم تردُّ الرُّسل عما أنوابه كأنهم فيها وهبت ملامُ
أدمج رد الرسل برد اللوم وكلاهما مدح . . وقوله أيضاً
حسنٌ في وجوه أعدائه أقبح من ضيفه رأته السَّوامُ
أدمج الحسن مع القبح وكلاهما مدح وصفه بالكرم لأن ابله اذا رأته ضيفه علمت أنه
ينحرفا له وقد سمي العسكري هذا النوع في كتاب الصناعتين له المضاعف وأنشد فيه
وأسرعتْ نحوك لما دعوت كأتى نوالك في سرعته
. . ومثله في وجيه الدولة

ويات أسعدنا حظاً بصاحبه من كان في الحب أشقانا بصاحبه
وقاعدة هذا الباب أن يكون أحد المعنيين تلويحاً والآخر تصريحاً . وفي القرآن العظيم
من هذا النوع كثير



— القسم الثالث والثمانون —

(الاستخدام)

وهو أن تكون الكلمة لها معنيان فيحتاج اليهما فيذكرها وحدها فيستخدم المعنيين كما قال الله تبارك وتعالى « لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى » والصلاة هاهنا يحتمل أن تكون فعل الصلاة أو موضع الصلاة فاستخدم الصلاة بلفظ واحد لأنه قال سبحانه « إلا عابرى سبيل » فدل على أنه أراد موضع الصلاة . وقال تعالى « حتى تعلموا ما تقولون » فدل على أنه أراد فعل الصلاة . . . وأنشدوا للبحرئى

فسى الفضا والساكنيه وانهم شَبَّوهُ بين جوانحِ وقلوبِ

— الفضا — يحتمل أن يكون الموضع ويحتمل أن يكون الشجر فاستخدم المعنيين به — والساكنيه — أراد المكان والشجر بقوله — وانهم شبَّوه — ومن ذلك لبعض العرب اذا نزل السماء بأرض قومٍ رَعَيْنَاهُ وان كانوا غُضَابَا

— والسماء — يحتمل معنيين المطر والنبات فاستخدم المعنيين بقوله — اذا نزل — يعنى المطر — رَعَيْنَاهُ — يعنى النبات . . . وكما قال الشيخ أبو العلاء

وفقيهٍ أَفْكَارُهُ شَدَنَ لَنَمَ — مانٍ مام يَشِدُّهُ شَعْرُ زِيَادٍ

يحتمل معنيين أحدهما أن يكون النعمان بن المنذر الملك والآخر أن يكون النعمان بن ثابت الفقيه فاستخدم المعنيين بلفظ واحد فقال — شَدَنَ لَنَمَ — يعنى أبا حنيفة رضى الله عنه وقال — شعر زياد — يعنى النعمان بن المنذر لأن زياداً هو النابغة مدح النعمان . . . وكما قال أبو تمام

واذا مَشَّتْ تَرَكْتُ بِصَدْرِكَ ضَعْفَ مَا بِجَلْبِهَا مِنْ شَدَةِ الْوَسْوَاسِ

لأن — الوسواس — يحتمل معنيين وهو بلابل الصدر وصوت الحلي فاستخدم المعنيين بقوله — تَرَكْتُ بِصَدْرِكَ — يعنى البلابل وبقوله — ضَعْفَ مَا بِجَلْبِهَا — يعنى صوت الحلي . . . ومنه اسمٌ مَنْ مَلَنِي وَمَنْ صَدَّ عَنِي وَجَفَانِي لَغِيرِ ذَنْبِي وَجُرْئِي

والذى ضنّ بالوصلِ علينا مثل ما ضنّ بالهوى قلبُ نغم
 هذا استخدام فى الاعراب لان قلب مرفوع باخبر وفاعل ضن وهو أيضاً استخدام
 فى المعنى لانها بمعنى قلب من المقلوب لان الاسم - معن - فهو معكوس - نعم - فاعرفه
 • ومنه فى الكتاب العزيز كثير من ذلك قوله تعالى « وكان وراءهم ملك يأخذ
 كل سفينة غصبا » يحتمل أن يكون أراد - وراءهم - أى فى طلبهم ويحتمل أن يكون
 أراد أمامهم • ومن ذلك قوله تعالى « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء »
 - والقرء - الحيض والقرء أيضاً الطهر واللفظ يحتمل المعنيين فاعرفه

القسم الرابع والثمانون

(التنقيح)

وهو أن يأتى فى البيت ذكر نكتة أو بيت أو رسالة أو خطبة أو غير ذلك فيسمى
 اليها الشاعر أو النائر مثل قوله تعالى « فيهن قاصرات الطرف » فان امرأ القيس
 أو ما اليه بقوله

من القاصرات الطرف لو دبّ محولٌ من الذر فوق الانف منها لأترا
 •• ومنه قول الآخر

الومُ زياداً فى ركاكة رأيه وفى قوله أى الرجال المهذب
 وهل يحسن التهذيب منك خلائفاً أرق من الماء الزلال وأطيب



الفن الثاني

ما يتعلق بالألفاظ من الفصاحة كما أن ما يتعلق بالمعاني من البلاغة ولهذا
قبل معنى بليغ ولفظ فصيح يقال أفصح الأعجمي وفصح اللحن . وهذا
الفن يسمى أيضاً البديع . والبديع علم يبحث فيه عن أحوال اللفظ
المؤلف من حيث لا يمكن أن يوثق به إلا بحسن انتظام وهو ينقسم إلى أقسام

(الاول التهذيب)

وهو تخليص الألفاظ من ثقل المعجمة ومحنة الحوشية وفضاظة النبطية وأن يترك
الكلام عذب المساق حسن الاتساق قريباً من فهم السامع عذب المساق في اللهوات
والمسامع يدخل الأذن بغير إذن ويتصور معناه في العقل بدقيق التدبر ولطيف
التفكير . والقرآن العظيم كله من أوله إلى آخره على هذه المثابة غير ما فيه من
المتشابه فانه يحتاج إلى الامعان في التذكر وترديد التدبر وذلك أيضاً على غاية ما يكون
من الحسن فكل في بابه قد استوفى بديع نصابه قد بسقت أشجاره وعذبت ثماره وانسقت
ألفاظه واستحكمت معانيه وحسن رونقه وعظمت حللته وطلاوته لا تملأ الاسماع مع
كثرة ترادده ولا تنفر منه الطباع مع ابراقه وارعاده بل هو الذي أحكمت آياته وفصلت
وكتلت معانيه في ألفاظه وحصلت وأحكمت أحكامه وأصلت فهو كما قال الله تعالى
« كتاب أحكمت آياته ثم فصلت » قد سلم من حوشى الألفاظ ورذلها وتخلص من
من فضاظة المعجمة وثقلها وكل كلمة منه حلت محلها وقرنت بمنحها فهو كما قال البحترى

وإذا دجت أقلامه ثم انتحت برقت مصابيح الدجى في كتبه

فاللفظ يقرب فهمه في بعده مناً ويبعد نيله في قرب

حكم سحائبها خلال بنانه هطالة وقلبيها في قلبه

كالروض مؤثلاً بحمرة نوره وبياض زهرته وخضرة عشبه

وكأنها والسمع معقود بها شخص الحبيب بدا لعين محبه

وهذه الابيات من أحسن ما قيل في التهذيب وأبلغ ما نظم في التقيق والترتيب ويتبعين

على كل ناظم ونائر أن لا يملئ قصيدة أو رسالة أو خطبة حتى يتلمحها بعين بصيرته .
ويقدح لها زناد فكرته وقريحته ويهذب ألفاظها ويحقق معانيها ويحسن مساعها ويؤسس
مبانيها كما قيل

لا تعرض على الرواة قصيدة مالم تبلغ قبل في تهذيبها
فاذا عرضت الشعر غير مهذب عدوه مثل وساوس تهذيبها

- القسم الثاني -

(الانسجام)

وهو أن يأتي الكلام سهل المساق عذب المذاق حسن الاتساق منحدراً في الاسماع
كتحدّر الماء المنسجم حتى يكون للجملة من المنثور والبيت من الموزون موقعاً في
النفوس وعذوبة في القلوب ما ليس لغيره مع بعده من التصنع وأكثر ما يقع غير
مقصود كمثل الكلام الموزون الذي تأتي به الفصاحة في ضمن الترفع أو كانهماض أبيات
وقعت في أثناء الكتاب العزيز وفي السنة . وقد وقع من ذلك كثير في الخطب والرسائل
ومن ^(١) أن يكون بيتاً أو نصف بيت . وقد وقع في غير القرآن بيتان فصاعداً وليس بشعر
وان لم يقصد . . فأما القرآن العزيز فلم يقع فيه من ذلك إلا مثل البيت الواحد أو النصف
والبيت المفرد لا يسمى شعراً وأيضاً فإن الشعر انما سمي شعراً لكونهم شعروا به أي
فطنوا . وهذا انما جاء عفواً في درج الكلام . . فما ورد من ذلك في القرآن
العزيز قوله تعالى « وجفان كالجوابي وقدور راسيات » فوافق هذا في درج الكلام
قول امرئ القيس

امرؤ القيس رهينٌ مولى بالفتيات
مكرم الضيف بلحم وشحوم البكرات
في جفان كالجوابي وقدور راسيات

•• وقد قال بعض أهل العلم بالمعروض ان الذى فى القرآن من ذلك ليس بمنزن ولا موافق لبحر بيت امرئ القيس وهو صحيح •• ومن ذلك قوله تعالى « إن يَنْتَهِوا يَغْفِرْ لَهُمْ ما قَدْ سَلَفَ » • وقوله عز وجل « نَحْنُ عِبَادِي أَنَّى أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » • وقوله تعالى « لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ » والتلاوة أيضاً لا تستقيم على الوزن انما الوزن يكون على نجبوا دون النون كما قال بعض الشعراء

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَا

•• وقد جَوَزَ الحذاق المامرون بأوزان القريض العالمون بضروبه واجزائه وتقطيعه هذه الأبيات فلم يجدوها موزونة بل مباينة لأوزان الشعر إما بزيادة أو نقصان ولولا خشية التطويل لينت ذلك

القسم الثالث

(الاشتقاق) ويسميه بعضهم الاقتضاب أيضاً وهو من باب التجنيس وان عُدَّ أصلاً برأيه

وهو أن يجيء بألفاظ يجمعها أصل واحد فى اللفظ كقوله تعالى « فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ » •• وقول أبى تمام

عَمَّتْ الْخَلْقَ مِنْ نَمَاكَ حَتَّى غَدَا الثَّقَلَانِ مِنْهَا مُثْقَلَانِ

(قال المصنف عفا الله عنه) هذا الباب أولى بأن يكون من أجناس التجنيس والآية التى استشهد بها هى من التجنيس المغاير والبيت الذى استشهد به من التجنيس المائل • وسند كرا أجناس التجنيس وأقسامه فى فصل مفرد بعد أن شاء الله تعالى •• ومما يشبه هذا النوع وليس منه ويسمى المشابهة قوله تعالى « إني لعمركم من القالين » •• وقول اليعربى

وَإِذَا مَا رِيَّاحٌ جُودَكَ هَبَّتْ صَارَ قَوْلُ الْعِدَاةِ فِيهَا هَبَاءً

ذكره الزنجاني في تكملته .. قال ابن الاثير الاشتقاق على قسمين . صغير . وكبير .
 فالصغير أن تأخذ أصلاً من الاصول فتجمع بين معانيه وان اختلفت صيغه ومبانيه
 كتركيب س ل م فانك تأخذ معنى السلامة في تصرفه نحو سلم وسلمان وسلمى
 وسلمى والسليم للدينغ أطلق عليه ذلك تفاؤلاً بسلامته . وعلى هذا جاء غيره من
 الاصول كقولنا هشمتهك هاشم وحاربك محارب وسلمك سالم وأصاب الارض صيب لأن
 الصيب هو المطر الذي يشتد صوته ووقعه على الارض . وأمثال ذلك كثير .. ولهذا
 الضرب من الكلام رونق لا يخفى على العارف بهذه الصناعة .. فما جاء منه قول بعضهم
 * أمحلتني سلمى بكاطمة أسلمة *

.. وكذلك قول الآخر وهو جرير بن عطية
 وما زال معقولاً عقل عن النداء وما زال محبوباً عن الخير حابس
 .. وقال غيره .

* أن قومي لهم جدادُ الجديد *

.. وشكى الى بعض الخلفاء جور عامل له وسئل أن يكتب اليه كتاباً فقال ما ترك
 فضة الا فضها ولا ذهباً الا أذهبه ولا غنمة الا غنمها ولا مالا الا مال عليه فأى شيء
 بعد يكتب اليه . وأمثال هذا كثير فاعرفها .. قال ابن الاثير وأما الاشتقاق الكبير
 فهو أن تأخذ أصلاً من الاصول فتعقد عليه وعلى تراكيبه معنى واحداً يجمع تلك
 التراكيب وما تصرف منها وإن تباعد شيء من ذلك ردّ بلفظ الصيغة والتأويل اليها كما
 يفعل الاشتقاقيون . ولنضرب لذلك مثلاً فنقول ان لفظة ق ر م من الثلاثي لها
 ستة تراكيب وهى قرم . قر . رمق . رقم . مقر . مرق . فهذه التراكيب الستة
 يجمعها معنى واحد وهو القوة والشدة - والقرم - شدة شهوة اللحم - وقر - الرجل
 اذا غلب من يقامره - والرقم - الداهية وهى الشدة التى تلحق الانسان من أمره
 وعيش - مرمق - أى ضيق وذلك نوع من الشدة أيضاً والمقر - شبه الصبر يقال أقر
 الشيء اذا أمرت وفي ذلك شدة على الذائق وكراهة - ومرق - السهم اذا نفذ من الرمية
 وذلك لشدة مضائه وقوته .. واعلم انه اذا سقط من تركيب الكلمة شيء جاز ذلك في

الاشتقاق لأن الاشتقاق ليس من شرطه كمال تراكيب الكلمة بل من شرطه أن الكلمة كيف تقلبت بها تراكيبها من تقديم حروفها وتأخيرها أدت الى معنى واحد يجمعها .. فنال ما سقط من تركيب الثلاثى لفظة و س ق فان لها خمسة تراكيب وهى و س ق . و ق س . و ق س ق . و ق س ق س . و ق س ق س ق . وسقط من جملة التركيب قسم واحد وهو س ق و جميع هذه الكلمة تدل على القوة والشدة - فالوسق - من قولهم استوسق الامر أى اجتمع وقوى - والوقس - ابتداء الحرب وفى ذلك شدة على من يصيبه - والسوق - متابعة السير وفى هذا غناء وشدة على السائق والمسوق - والقسوة - شدة القلب وغلظه - والقسوس - معروف وفيه نوع من الشدة والقوة لسرعة السهم واخراجه الى ذلك الرمي المتباعد .. واعلم انا لا ندعى أن هذا يطرد فى جميع اللغة بل قد جاء شئ منها كذلك وهذا مما يدل على متانتها وحكمها لأن الكلمة الواحدة تتقلب على ضروب من التكاليف وهى مع ذلك دالة على معنى واحد وهذا من أعجب الأمور التى توجد فى لغة العرب واعذبها فاعرفه

— القسم الرابع —

(الجزالة والردالة)

أما الجزالة فقد تقدم الكلام عليها والقرآن العظيم من وجوه اعجازه جزالة ألفاظه وهو من أوله الى آخره لا يسر له حلال الجزالة والفصاحة سالم من الردالة والفظاعة .. وأما الردالة فهى نى غير القرآن فنها فى المنظوم والنثور كثير .. أما المنظوم فنل قول بعض العرب

زياد بن عيينه تحت حاجبه واستانه بيض وقد طر شاربه
ومثله ما أنشد سيبويه فى كتابه
إذا ما الخبز تأدمه بلحم فذاك أمانة الله التريد
.. ومثل قول أبى العتاهية

مات الخليفة أيها الثقلان فكانت أفطرت في رمضان
وأما النثر فمثل قولهم - فلان لئيم الخليم كأن كفه ميم وكأن عقله جيم ان واصلته منع
وان أعطيته قطع - والقرآن العظيم أجل وأعظم من أن يكون فيه شيء من ذلك أو يماثله

﴿ القسم الخامس ﴾

(السهل الممتنع)

وهو الذى يظن من سمعه لسهولة الفاظه وعذوبة معانيه أنه قادر على الاتيان
بمثله فاذا أراد الاتيان بمثله عزَّ عليه مثاله وامتنع عن طالب معارضته فلا يتاله والقرآن
العظيم كله على هذا المنوال خلا ما فيه من التشابه والحروف التى فى أوائل السور
فاذا فسرت كانت كذلك • ومنه فى السنة كثير • • من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
- تنكح المرأة لجالها ومالها وخسبها عليك بذات الدين تربت يداك - • وقوله صلى
الله عليه وسلم - اياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء فى
المنبت السوء - • وقوله صلى الله عليه وسلم - المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء
وعودوا كل جسد ما اعتاد - • وقوله صلى الله عليه وسلم - الخيل معقود فى نواصيها الخير
الى يوم القيامة ظهورها عز وبطونها كنز - • • وأما فى النثر والنظم فقليل • مثاله فى
النثر قول العماد الكاتب - ولو جعل الله حظه من الذهب كحظه من الادب لاستجدى
من سعته قارون واستعان بفصاحته هارون - • • ومنه فى الشعر مثل قول مروان
ابن أبى حفصة

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم	أسود لهمان غيل خفان أشبل
هم يمنعون الجار حتى كأنما	لجارهم بين السماكين منزل
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دُعوا	أجابوا إن أعطوا أطابوا وأجزلوا
بها ليل فى الاسلام سادوا ولم يكن	كأولهم فى الجاهلية أول
ولا يستطيع الفاعلون فعالهم	وان أحسنوا فى النشبات وأجلوا
ثلاث بامثال الجبال حباهم	وأحلامهم منها لدى الوزن أثقل

﴿ القسم السادس ﴾

(الرشاقة والجهامة)

فأما الرشاقة فقد ذكرناها آنفاً وفي القرآن العظيم منه كثير .. وأما الجهامة فليس في القرآن منها شيء فان الجهامة لا تكون الا عن غلط طبع وشدة حصر ولكن القرآن العظيم منزّه عن ذلك

﴿ القسم السابع ﴾

(الفك والسبك)

أما الفك فهو أن يفصل المصراع الاول من المصراع الثاني أو الفقرة الاولى من الفقرة الثانية أو الجملة الاولى من الجملة الثانية ولا تتعلق الثانية بشيء من معنى الاولى مثل قول زهير

حَمِيَّ الدِّيارِ التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الاوواح والديم .. ومن ذلك قول المتنبي

جَلالاً كما بي فليكُ التبرج اغذاء هذا الرءسا الاغن الشيخ

.. وهذا النوع منه في القرآن كثير فانه يأتي بجملة أثر جملة ليس لها تعلق بالتي قبلها والنعاة يسمون ذلك الجمل المعترضة .. وأما السبك فهو أن تتعلق كلمات البيت أو الرسالة أو الخطبة بعضها ببعض من أوله الى آخره ولهذا قيل خير الكلام المسبوك المحبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعضه . والقرآن العظيم آياته كلها كذلك فاعرفه



﴿ القسم الثامن ﴾

(الحل والعقد)

وهو أن يأخذ لفظاً منظوماً فينثره أو منشوراً فينظمه مع الاتفاق في المعنى . . وهذا القسم يختص بالانشاء معروف بالكتاب البلقاء الفصحاء وهو من أجل ما يمتون به وأعظم ما يرفعون بسببه . . وفي القرآن العظيم من جنسه وهو ما ورد فيه من آية مجملة فسرته آية أخرى أو مفسرة أجملتها آية أخرى فأشبه ذلك الحل والعقد . . وأكثر ما يقع هذا النوع في الشعر والرسائل فإن الشعر معقود والنثر يحلله والنثر محلول والشعر يعقده وللماهرين في صناعة الانشاء من هذا كثير ليس هذا موضع ذكره اذ ليس غرضنا في هذا الكتاب الا اثبات ما وقع في الكتاب العزيز من فنون الفصاحة وعيون البلاغة وبدائع البديع أو ما يجري مجرى ذلك

﴿ القسم التاسع ﴾

(الازدواج)

وهو أن يزاوج بين الكلمات أو الجمل بكلام عذب وألفاظ حلوة . . ومثاله من الكتاب العزيز قوله تعالى « فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » . وقوله تعالى « وجزاء سيئة سيئة مثلها » . وقوله تعالى « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون إلا أنفسهم » . ومثله قوله تعالى « وكان الله عليهما حكيماً » وقد جاء في الكلام الفصيح وأشعار العرب وغيرها مؤلفاً ومختلفاً ويكون كلمة وكلمتين . . ومنه الحديث - اما محسناً فزاد وأما مسيئاً فاستعجب - . . ومنه قول الشاعر
عتبتُ عليه فما أعتبا وعنه اعتذرتُ وقد أذنبنا

❦ القسم العاشر ❦

(تضمين المزدوج)

وهو أن يقع في الفقرات لفظان مسجمان بعد مراعاة حدود الاسجاع والقوافي الأصلية كقوله تعالى « وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَنْدُءَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِثِينَ لَا أَعْدَبْنَاهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحْنَهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَاءٍ يُقِينِ » بعد مراعاة اللفظ في مقاطع الآي وهي - الغائين و مبین - . . ومنه في الشعر والنثر كثير . فمن النثر قول بعض البلغاء فلان رفع دعامة الجِدِّ والمجد باحسانه وبرَّرَ بالجِدِّ والجِدِّ على أقرانه . . ومثاله من النظم قول الشاعر

تموَدَّ رَسَمَ الْوَهَبِ وَالنَّهْبِ فِي الْعَلَا وَهَذَا نِ وَقْتُ اللَّطْفِ وَالْعُنْفِ دَابُّهُ
فِي اللَّطْفِ أَرْزَاقُ الْعِبَادِ هِبَاتُهُ وَفِي الْعُنْفِ أَعْمَارُ الْعِدَاءِ نِهَابُهُ

❦ القسم الحادى عشر ❦

(التسجيع . . والكلام عليه من وجوه)

الاول في أقسامه . الثانى اختلاف العلماء في جواز استعماله وحظره . الثالث في شرطه وما ينبغى أن يكون فيه (الاول) قد اختلفت عبارات أرباب هذه الصناعة في التسجيع فقال قوم هو على ثلاثة أقسام . المتوازى . والمنطرف . والمستحسن . . أما المتوازى فهو رعاية البكمتين الاخيرتين في الوزن والروى . وذكر الروى في النثر توسعة في الكلام والا فالروى مخصوص بالشعر . مثاله من كتاب الله تعالى قوله عز وجل « فِيهَا سُورٌ مُّرفُوعَةٌ وَأُكُوفٌ مَّوْضُوعَةٌ » . . ومثاله من السنة النبوية قوله صلى الله عليه وسلم - اللهم اعط منفقاً خلفاً واعط ممسكاً تلفاً - . . وأما المنطرف فهو

أن تنفق الكلمتان الأخيرتان في الحرف الأخير دون الوزن . مثاله من الكتاب العزيز قوله تعالى « ما لكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً » . ومنه قول بعض البلغاء - جنبه محط الرحال - ونجتم الآمال - . وأما المتوازن فنثاله من الكتاب العزيز قوله تعالى « وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم » . وقال قوم هو على ثلاثة أقسام . قصير . موجز . ومتوسط . معجز . وطويل . مفصح . مبين . للمعنى . مبرز . . أما الأول وهو القصير فاعلم أن أقصر الفقرات القصار في السجع ما يكون من لفظين كقوله تعالى « والعاديات ضبحاً فاللوريات قدحاً فالغيرات ضبحاً » . وقوله تعالى « والمرسلات عرفاً فالعاصفات عصفاً » . وقوله تعالى « يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر » . . وأطول الفقرات القصار ما يكون من عشر لفظات وما بين هذين متوسط كقوله تعالى « والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » . . وقوله تعالى « اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر » . . وأقصر الطوال ما يكون من أحد عشر لفظة وأطولها غير مضبوط وكلما طالت الفقر زاد بيانها وإفصاحها . وقد وقع في الفقر المطولة ما هو من عشرين لفظة فما حولها مثل قوله تعالى « اذيركم الله في منامك قليلاً ولو أراكم كثيراً لفشتا من لتنازعن في الأمر ولكن الله سأم إنه عليم بذات الصدور اذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليقضى الله أمراً كان مفعولاً وإلى الله ترجع الأمور » . . ومثاله فيما دون ذلك قوله تعالى « ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤس كفوراً ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح نخور » . . وقوله تعالى « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » . . والفقرات المسجوعة إما أن تكون متساوية أو لا . . أما المتساوية ففي الأكثر انما توجد في الفقرات القصار كما في قوله تعالى « فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر » . . وأما

المختلفة فاختلافها إما أن يكون في فقرتين أو أكثر .. أما المختلفة في فقرتين فلا حسن أن تكون الثانية أزيد من الاولى ولا تزيد بقدر كثير كقوله تعالى « وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً » اذا رأته من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً واذا ألقوا منها مكاناً مقربين دعوا هنالك نبوراً » . وكذلك قوله تعالى « وقالوا اتخذوا الرحمن ولداً » لقد جئتم شيئاً إداً تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدأً » .. وأما المختلف في أكثر من فقرتين فأحسنه أن تكون الفقرة الثالثة زائدة والاوليتان متساويتان أو الثانية منه أزيد يسيراً .. وأقل السجع حسناً ما يكون المتأخر من الفقرات أقل مما قبلها (أما الثاني) فقد اختلف أرباب علم البيان فيه . فمنهم من قال باستحسان السجع وفضله على الاسترسال في الكلام ورجحه .. ومنهم من كره السجع واقبحه واحتج على ذلك بأمرين . أحدهما اشتاله على الكلفة . والثاني قوله عليه الصلاة والسلام - أسجعاً كسجع الجاهلية - وكلا الحجتين فاسدة .. أما الاولى فلا أنه لم يخل شيئاً من الكلام من تكلف ما .. وأما الثانية فلا أن الانكار انما كان لسجع مخصوص وهو ما قصد به ابطال حق أو تحقيق باطل ولو كان السجع قبيحاً لاستحال وروده في القرآن .. والتسجيع وعدمه أسلوبان جرت عليهما السنة فصحاء العرب وخطبائهم يأتون بذلك بغير تكلف ولا تعسف .. وورد في القرآن العظيم آيات كثيرة خالية من السجع وآيات كثيرة مشحونة بالسجع حتى أن بعض السور شملها السجع من أولها الى آخرها مثل اقتربت الساعة وسورة الضحى والكوثر فاعرفه (الثالث) قال علماء علم البيان الانجاع موضوعه على أن تكون ساكنة الاعجاز موقوفاً عليها لان الغرض أن يجانس بين القرآن ويزاوج بينها ولا يتم ذلك الا بالوقف ألا ترى أنك لو وصلت قوله مامن عزه الا الى جنبها عزه وقولهم ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت لم يكن بُدٌّ من اجراء كل الفقرات على ما يقتضيه حكم الاعراب فتكون قد عطلت عمل الساجع وقوة عزمه .. واذا رأيتهم يترجون الكلم عن أوضاعها من الازدواج فيقولون آيتك بالعهد يا أولي العشايا .. وهناني الطعام ومراني .. وأخذته ما حدث وما قدم .. وانصرفن

مأزورات غير مأجورات • وقال عليه الصلاة والسلام انفق بلان ولا نخش من ذي العرش
إقلال مع أن فيه ارتكاب ما يخالف اللغة فما ظنك بهم في ذلك

القسم الثاني عشر

(الترصيع)

وهو أن تكون ألفاظ الكلام مستوية الاوزان متفقة الاعجاز مثل قوله عز وجل
« إنَّ الأبرارَ لفي نعيمٍ وإنَّ الفجارَ لفي جحيمٍ » • وقوله تعالى « إنَّ الينا إيابهم ثم
إن علينا حسابهم » • وقوله تعالى « فأثرن به نقعاً فوسطن به جمعاً » وهو في كتاب
الله كثير • ومنه في الشعر كثير منه قول الحريري وهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه
ويقرع الاسماع بزواجر وعظه • • وهو في الشعر كثير منه قول أبي فراس
وأفعاله للراغبين كريمة وأمواله للطلالين زهاب

• • وقول آخر

ثمانية لم تفرق مذجعها فلا فترقت ما ذب عن ناظرٍ سُفر
يقينك والتقوى وجودك والغنى ولفظك والمعنى وحرُّبك والتصرُّ

• • ومنه قول أبي الورد

يروح اليهم عازبُ الحمدِ وافياً ويفدو اليهم طالبُ الرfid عافياً
• • وقد يحى مع التجنيس كقولهم اذا قلت الانصار كانت الابصار وما وراء الخلق
الدميم الا الخلقُ الدميم • • وقول المطرزي

وزندُ ندا فواضله وريُّ ورنْدُ ربا فضائله نصيرُ
ودرّ جلاله أبدأ ثمينٌ ودَرُّ نواله أبدأ غزيرُ

﴿ القسم الثالث عشر ﴾

(التسميط)

وهو على قسمين (الاول) أن يكون في صدر الكلام أو الرسالة أو البيت أبيات مشطورة أو منهوكة مقفاة ثم يجمعها قافية مخالفة لازمة للقصيدة حتى تنقضى أو رسالة حتى تنهى فنصير كالسميط الذي احتوى على جواهر متشاكله . ومنه قوله تعالى « اذا الشمس كورت » واذا النجوم انكدرت » الى قوله « علمت نفس ما أحضرت » وقوله تعالى « فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس » . وقوله تعالى « اذا السماء انفطرت » الى قوله « علمت نفس مقدمات وأخرت » وقوله تعالى « اذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت » . وقوله تعالى « الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان » . ومثله في القرآن كثير . ومنه قول امرئ القيس

ومستأنم كسفت بالريح ذيله أقت بعضب ذى شفاشق ميله
فجعت به فى ملتقى الحرب خيله تركت عناق الطير يحجلن حوله
كان على سر باله نضح جريال

.. وكقول الآخر

حلوه شمائله تندی أماله ان جاء سائله أغناه نائله

حتى يروح له ماشاء من مال

(القسم الثانى) أن يصير كل بيت أربعة أقسام كقول جنوب الهذلية

وجرد وردت وقر سدت وعالج شدت عليه الحالا
ومال حوت وخيل حيت وضيف قریت يخاف الوكالا

• وقد أبدع الحريري في التوشيح بقصيدته التي أولها
 خلّ أذكّار الأربيع والمعهد المرتبِعِ والظاعن المودِعِ
 وعدّه عنه ودّع
 واندب زماناً سلفاً سوّدت فيه الصحف ولم تزل مُعتكفا
 على القبيح الشنيع
 • ومن بديع التسييط أيضاً قوله في قصيدته التي يقول فيها
 وان لآح لك النقش من الأصفر تهتَشَ وان مرّ بك النعش
 تغامت ولا غمّ
 ستذري الدم لا الدمع اذا عاينت لا جمع بقي في عرصة الجمع
 ولا خال ولا عمّ
 جعل قصيدته كلها على هذا المنوال

❦ القسم الرابع عشر ❦

(التجزى)

وهو أن يكون الكلام مجزأ ثلاثة أجزاء أو أربعة أجزاء • مثال الثلاثة أجزاء
 من الكتاب العزيز قوله تعالى « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِنْ » إن شئت
 هو الابتر • • ومثال الأربعة قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام يعظ
 أباه بقوله « يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ
 جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ
 الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ
 لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً » وفي القرآن منه كثير • • ومنه قول ابن المعتز في الثلاثة

عجبا لمنصلك المقلد كيف لم
 تسئل الدماء عايتك منه سيولا
 لك حسنه متقلداً وبهاؤه
 متشكبا ومضاهؤه مسلولا

•• ومثال الاربعة الاجزاء قول المتنبي
 فحزن في جدلٍ والروم في وجلٍ والبحر في خجلٍ والبر في شغلٍ
 •• ومنه قول ابن المقرئ
 اذا صلدوا أوزى وان عجلوا ارتأى وان بخلوا أعطى وان غدرُوا وافتى
 فللجود ما أبقي وللعبد ما ابتنى وللناس ما أبدى ولله ما أخفى

— القسم الخامس عشر —

(في التوشيح)

التوشيح أن تكون ذيل الايات ذات قافيتين على بحرین أو ضربین من بحر واحد
 فعلى أى القافيتين وقفت كان شعراً مستقيماً كقوله
 اسلم وذمت على الحوا دث ما رسا ركنائير أو هضاب حراء
 وكل المراد منها ممكناً على رغم الدهور وفز بطول بقاء
 قافيتهما على ثانی قافية من ثانی الكامل وعلى الاول من سادسه •• وأما ما هو من
 بحر واحد وقد يسمى هذا النوع المتلون وذكره الزنجاني وأنشد فيه
 أبى لا تنظم بمكة لا الصغير ولا الكبير ولا الفقير البائس
 وقال ان قيده كان من سابع الكامل وان أطلقته كان من سادسه • وهذا النوع في
 القرآن العظيم ما يشبهه وهو ما ورد في الآيات من الوقف الكافي والتمام إن وقفت
 على الوقف الكافي كان حسناً وان وقفت على التمام كان أجود كقوله تعالى « والذين
 يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون » ابن وقفت على
 — من قبلك — كان وقفاً حسناً وان وقفت على — يوقنون — كان أحسن وهو تمام
 وكذلك كل ما أشبهه

— ❧ القسم السادس عشر ❧ —

(براعة المطلب وحسن التوسل)

وهو أن تكون ألفاظ المطلب مهذبة مقترنة بتعظيم المدح كقوله تعالى « فلتقى آدم من ربكلماتٍ فتابَ عليه إنه هو التوابُ الرحيمُ » • وكقوله تعالى في قصة نوح عليه الصلاة والسلام « إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ » • وقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام « رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ » الى قوله « لعلهم يشكرون » • وقول تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام « رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ » الى قوله « وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ » • وقوله تعالى حكاية عن هارون عليه السلام « قَالَ ابْنَ أُمِّ إِنْ الْقَوْمَ اسْتَضَعِفُونِي » الى قوله « الظالمين » • وقوله تعالى حكاية عن يونس عليه الصلاة والسلام « فنادى في الظلمات أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ » • وقوله تعالى حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام « وَاذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ » الى قوله « فَاثْبُتْ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » • وقوله تعالى فيما حكاه رسوله عليه الصلاة والسلام عن عباده المؤمنين « إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » الى قوله « فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ » • • وجاء من هذا النوع في الشعر كثير • منه قول المتنبي

وفي النفس حاجاتٌ وفيك فطانةٌ سُكُوتِي بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخَطَابُ

— ❧ القسم السابع عشر ❧ —

(المخالفة)

اعلم أن المخالفة هو الخروج عن مذهب الشعراء وترك الاعتداء بآثارهم مثل
(٣٠ - فوائد)

قول نصيب

طَرَفَتْكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا وَقْتُ الزَّيَارَةِ فَارْجِي بِسَلَامٍ
وليس من الممهود رد المحبوب على عقبه اذا زار .. ومثل قول ابن عتيق
جَمَلَ النَّدَى وَالْأَلْوَةُ وَالْمَسْكُ أَصِيلاً لَهَا عَلَى الْكَافُورِ
.. ومعلوم أن الزنج على نتن رائحتهم لو تطيبوا ببعض هذا الطيب لطابت رائحتهم وانما
الحسن الجيد قول امرئ القيس

أَلَمْ تَرَ أَنِّي كُلَّمَا جِئْتُ نَحْوَهَا وَجَدْتُ بِهَا طِيباً وَإِنْ لَمْ تَطِيبِ
.. ومن ذلك قول امرئ القيس

أَغْرَكَ مَنَى أَنْ جُبِكَ قَاتِلِي وَأَنْكِ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلِ
وهذا مخالف للمعتاد لأن فيه توعداً للمحسوب والمحب لا يتوعد محبوبه .. وكذلك قوله
وَأَنْ تَنْكَ قَدْ سَاءَتْكَ مَنَى خَلِيقَةٌ فَسَلَّى نِيَابِي مِنْ نِيَابِكَ تَنْسَلِي
.. والقرآن العظيم كله مخالف لأساليب الشعر وقوانين النظم والنثر التي يستعملها
الناظمون والناثرون . ولهذا قال الغفاري لقد عرضته على اقراء الشعر فلم يلتئم فانه
ليس بالشعر

القسم الثامن عشر

(لزوم ما لا يلزم)

ويسمى التضيق والتشديد والاعنات وهو التزام أن يكون ما قبل القافية حرفاً
معيناً كما في قوله تعالى « إقرأ باسم ربك الذي خلق » خلق الانسان من علق .
وقوله تعالى « والطور وكتاب مسطور » . وقوله تعالى « فذكر فما أنت بنعمة ربك
بكاهن ولا بحنون » أم يقولون شاعر نتر بص به ريب التون . وقوله تعالى « في

سِذْرٌ مَحْضُودٌ وطلحٌ مَنْضُودٌ • وهو في القرآن كثير • • وجاء في الحماسة
 انّ التي زَعَمَتْ فَوَادَكَ مَلَّمَا خُلِقْتَ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوَى إِلَهَا
 بِيضَاءُ بَاكَرَهَا النِّعَمُ قَصَائِهَا بِلِبَاقَةٍ فَأَدَقَهَا وَأَجْلَمَهَا
 حَجَبَتْ نَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِمَا حَبَى مَا كَانَ أَكْزَهَا لَنَا وَأَقْلَمَهَا
 وَإِذَا وَجَدْتُ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ شَفَعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْفَوَادِ فَسَلَّمَهَا
 • • وكذلك قول كثير عزة في أبيات له

خَلِيلِي هَذَا رَسْمُ عَزَّةٍ فَأَعْقِلَا قُلُوبَ صِبْكَانِمِ انْزِلَا حَيْثُ حَلَّتْ
 فَكَانَتْ لِقَطْعِ الْجَبَلِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا كَنَازِرَةٍ تَذَرًا فَأَوْفَتْ وَحَلَّتْ

• • وقول المعري

لَا تَطْلُبَنَّ بِغَيْرِ جِدِّ حَاجَةٍ قَلَمُ الْبَايِغِ بِغَيْرِ جِدِّ مَغْزَلٍ
 سَكَنَ السَّمَاءُ كَانَ السَّمَاءُ كَلَاهَا هَذَا لَهُ رُمُحٌ وَهَذَا أُعْزَلُ

• وفي هذا القرآن العظيم من هذا النوع كثير • • ومن ذلك قوله تعالى « وجاءت
 سكرة الموت بالحقّ ذلك ما كنت منه تحيد » وتفخ في الصور ذلك يوم الوعيد »
 لزم الباء والدال في أكثر هذه السورة • وقوله تعالى « هل أتى على الإنسان حين من
 الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً » • الى قوله « يفجرونها تفجيراً » التزم قافية توافق
 قافية • • ومن ذلك قوله تعالى « أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلم
 ألقى عليه أسورة من ذهب أوجاء معه الملائكة مقرّنين » والقرآن مشحون بهذا
 • • وهذا النوع أتى في القرآن عفواً من غير قصد وربما وقع في أقوال فصحاء العرب
 من غير قصد والمتأخرون يقصدون ذلك ويتكلفون في استعماله

* ليس التكحل في العنين كالكحل *

﴿ القسم التاسع عشر ﴾

(التفويف)

والمفوف عند أرباب هذه الصناعة فيه قولان • الاول أن تكون ألفاظه سهلة

المخارج عليها رونق الفصاحة وبهجة الطلاوة وعدوبة الحلاوة مع الخلو من الشاعة ملطفة عند الطلب والسؤال مفحمة عند الفخار والنزال . . وان كان شعراً فليكن شعره سهل العروض وقوافيه عذبة المخارج سهلة الحروف ومعانيه مواجهة للفرض المطلوب ظاهرة منه حيث لا يحتاج الى اعمال الفكر في استنباط معانيه فاذا كان كذلك سمي مفوقاً بمانوع من الفاظه ومعانيه فأشبه البرد المفوق الذي فيه ألوان مختلفة وألوان متقابلة . . وأصل التفويف بياض يكون على الانظار . الثاني المفوف من الكلام والشعر هو الذي يكون فيه التزامات لا تلزم تكتب بأصباغ مختلفة حتى يفتن للالتزامات التي جعلت عليه وعلى كلا القولين فالقرآن العزيز كله كذلك فان كان التفويف بأصباغ مختلفة الألوان فتفويف القرآن العظيم مقاطع آياته وفواتحها وتحزيبه وتعشيره وارباعه واخماسه واسباعه فان العلماء رضى الله عنهم رخصوا بأن يكون ذلك بالحمرة أو الخضرة أو الصفرة أو بألوان مخالفة للون الجبر والمداد حتى يعلم انها ليست من نفس القرآن فاستحبوا ذلك فاذا صار على هذه الصفة أشبه البرد المفوف بل أجل وأحسن وأبهى وألطف وان كان التفويف القول الاول فالقرآن العظيم كله كذلك أيضاً فاعرف ذلك

قسم الموفى عشرين

(التنطريز)

قال علماء البيان التنطريز هو أن تأتي قبل القافية بسجعات متسابة فيبقى في الايات
أواخر الكلام كالطراز في الثوب . . ومنه قول الشاعر

أَمْسى وَأَصْبَحُ مِنْ مُجْرَانِكُمْ دَنْفًا	يَرْثِي لِي الْمُسْفِقَانِ الْإِهْلُ وَالْوَلَدُ
قَدْ خَدَعْتُ الدَّمْعُ خَدَيَّ مِنْ تَذَكُّرِكُمْ	وَهَدَيْتِي الْمَضْنِيانِ الشَّوْقُ وَالْكَمْدُ
كَأَنَّمَا مُهْجَتِي شَلَوُ بِمَسْبَعَةٍ	يَنْتَابِهَا الضَّارِيانِ الذُّبُّ وَالْإِسْدُ
لَمْ يَبْقَ غَيْرُ خَفِي الرُّوحِ مِنْ جَسَدِي	فَدَا لَكَ الْفَانِيانِ الرُّوحُ وَالْجَسْدُ
أَنِّي لَأَحْسُدُ فِي الْعَشَائِقِ مُصْطَبِرًا	وَأَحْسِبُكَ الْفَانِيَانِ الْحُبُّ وَالْحَسْدُ

(قال المصنف عني الله عنه) هذا النوع استخرجه المتأخرون وليس في شعر القدماء شيء منه ولا في كلامهم وقد استقرت من الكتاب العزيز واشعار المولدين فوجدته على ثلاثة أقسام . الأول ماله علمان علم من أوله وعلم من آخره . الثاني ماله علم من أوله . الثالث ماله علم من آخره . فأما الذي له علمان فكقوله تعالى «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين . ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتعاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون . ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماءً فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون » . . . ومنه في الشعر قول بعضهم من أبيات

والمسعدان عليها الصبر والجلدُ أفهما الخاذلانِ الوجد والكمدُ
والعاذلانِ عليها ردةً عندلها في حبها العاذرانِ الحسنُ والجيدُ
والباقيانِ هواها والغرامُ بها فداهما الذاهبانِ الروحُ والجسدُ

.. ومنه قوله تعالى «أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءً فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها إليه مع الله بل هم قومٌ يعدلون أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً إله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون أمن يحيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض إله مع الله قليلاً ما تذكرون أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح نشراً بين يدي رحمته إله مع الله تعالى الله عما يشركون أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض إله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » . وأما الذي طرازه من أوله . فنه في القرآن كثير . فمن ذلك قوله تعالى «هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح

له مافي السموات والارض وهو العزيز الحكيم « . وهذا النوع قد ورد فيه من أشعار المتقدمين والمتأخرين فمن ذلك قول البحترى

تعلوا الوفود ثلاثة في أرضه إفضاله وجداءه والانعام
وثلاثة تغشاك مهما زرتة إرفاده والمن والاكرام
وثلاثة قد جانبت أخلاقه قول البذا والزور والآثام
وثلاثة في الغر من أفعاله تديره والنقض والابرار

• وأما الذى علمه من آخره فى القرآن منه كثير . فمن ذلك قوله تعالى « خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجن من مارج من نار فبأى آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين ورب المغربين فبأى آلاء ربكما تكذبان » الى آخر السورة . ومنه قوله تعالى « فكيف كان عذابى ونذرى انا أرسنا عليهم ريحاً صرصراً » الى آخر السورة • ومن ذلك فى الرسائل قوله تعالى « ويل يومئذ للمكذبين » الى آخر السورة

القسم الحادى والعشرون

(ما يقرأ من الجنتين)

مثاله من الكتاب العزيز قوله تعالى « كل فى فلك يسبحون » . وقوله تعالى « وربك فكبر » وأرباب علم البيان يسمون هذا النوع العكس والتقليب وهو عندهم على أربعة أنواع . الاول قلب البعض وهو أن تقلب حروف الكلمة وهو كقوله عليه الصلاة والسلام - اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا - . ومنه قول الحريرى

أجوب البلاد مع المترية أحب الى من المرتبة

• الثانى مقلوب الكل كقولهم - كف به بحر وجنابه رجب • الثالث المنجح وهو أن يقع مقلوب الكل فى جناح البيت أو جناحي المصراع كقوله

لاح أنوار الذي من كفه في كل حال
 • الرابع المسوى وهو أن يقرأ طرداً وعكساً من الجهتين . ومنه الكلمتان في الآيتين
 للتقدمتين . ومنه قول الحريري
 أسن أرملا اذا عرا وارع اذا المرء أسا
 الايات . . ومنه قول الآخر

أراهن نادمنه ليل لهو وهل ليلهن مدان نهارا
 • ومن أنواع هذا الباب ما اذا انعكست الكلمات يخرج منها كلام صحيح كالرسالة المشفلة
 على مائتي كلمة للحريري في المقامة القهقرية التي أولها الانسان صنيعه الاحسان الى
 أن ختم بقوله الاحرار عند الاسرار . . ومن هذا النوع أيضاً ما تقلب فيه الألفاظ
 بطريق العكس لتفيد معنى آخر كقولهم كلام الملوك ملوك الكلام وعادات الاشراف
 أشراف العادات

- القسم الثاني والعشرون -

(رد المعجز على الصدر . ويسمى التصدير)

وهو أيضاً من ضروب البيان وفنون التلاعب باللسان . ومنه قوله تعالى « فما كان
 لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم » . . ومنه قولهم القتل
 أننى للقتل . . ومنه قول بعض البلغاء الحيلة ترك الحيلة . . ومنه قول الشاعر
 تسير النجوم الدارات بحكمه وذاك اذا عدت عله يسير
 • . . وقول الآخر
 لقد حاز أنواع الفضائل كلها وأمسى وحيداً في فنون الفضائل
 • . . وقول الآخر
 سألت صروف الدهر حظ تملك فشحت وجادت لي بحظ أدب

﴿ فصل ﴾

ومن هذا الضرب التجنيس وهو عند أكثر علماء علم البيان على قسمين • تجنيس حقيقى • ومشبه بالتجنيس • • أما التجنيس الحقيقى فهو أن تأتى بكلمتين كل واحدة منهما موافقة للأخرى فى الحروف مغايرة لها فى المعنى ولم يرد ذلك فى الكتاب العزيز إلا فى آية واحدة وهى قوله تعالى « ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة » • • وأما المشبه بالتجنيس فكثير وقد احتوى الكتاب العزيز منها على الباب وأتى منها بالمعجب المعجّب وهو على ضربين (الأول) التجنيس المماثل وهو أن يكون من اسمين أو فعلين مثل قوله تعالى « يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم » • وقوله تعالى « الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات » • وقوله تعالى « ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون » • وقوله تعالى « ما هذا إلا بشرٌ مثلكم يا كلُّ مماتٍ آكلون منه ويشرب مما تشربون » (الثانى) التجنيس المغاير وهو يكون من اسم وفعل • ومنه قوله تعالى « وأسأمت مع سليمان لله رب العالمين » • وقوله تعالى « أُرِفَتِ الآزِفَةُ » • وقوله تعالى « فطاف عليها طائفٌ من ربك » وفى القرآن منه كثير • • وقد جمع بعض الشعراء فى أبيات نذكرها فى آخر هذا الفصل فيها أجناس من التجنيس (الثالث) تجنيس التصحيف وهو أن يكون اللفظ فرقاً بين الكلمتين • ومنه قوله تعالى « وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » • ومنه قول الشاعر

القابضون على العليا بكفهم والقابضون من الدنيا بأطراف

الحسبون إذا جدّ الفخارُ بهم والمحسنون إذا سيلوا بالحاف

(الرابع) تجنيس التحريف وهو أن يكون الحرف فرقاً بين الكلمتين • • ومنه قوله تعالى « وهم يَنهَوْنَ عنه وَيَأْتُونََ عنه » • وقوله تعالى « فلا أقسمُ بالخَنَسِ الجوار الكنس » (الخامس) تجنيس التشكيل وهو أن يكون الشكل فرقاً بين الكلمتين • • ومنه قوله تعالى « ولقد أرسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المُنذَرين » • وقوله

تعالى « ألم بك نطفة من منى يُبنى ثم كان علقةً نخلق فسوًى » .. ومنه قول بعضهم

أأنتم زعمتم أنى غير عاشق
فلم قرحت يوم الوداع مدامى
وأنى لا أعبابين مُفارقى
ولم شاب من هوّل الفراق مفارقى

(وهذه) أبيات جمعت فيها أجناس من التجنيس التى تقدم ذكرها وهى

رُبَّ خَوْذٍ عَرَفْتُ فى عَرَافَتِ سَابَتْنِي بِحَسْنِهَا حَسَنَاتِي
وَرَمْتُ بِالْجَمَارِ حَبَّةً قَلْبِي أَيْ قَلْبِي يَقْوَى عَلَى الْجَمَرَاتِ
وَأَفَاضْتُ مَعَ الْحَجِيجِ فَفَاضْتُ مِنْ دُمُوعِي سَوَابِقُ الْعِبَرَاتِ
حَرَمْتُ حِينَ أَحْرَمْتُ نَوْمَ عَيْنِي وَاسْتَبَاحْتُ حِمَايَ بِاللَّحْظَاتِ
لَمْ أُنَلْ فى مَنِى مَنِى النَّفْسِ لَكِنْ خِفْتُ بِالْخِيفِ أَنْ تَكُونَ وَفَاتِي

فقوله - عرفت فى عرفات - تجنيس مغاير وقوله - سابتنى بحسنها حسناتى - مماثل وكذلك - وأفاضت ففاضت - وكذلك - حرمت وأحرمت - وكذلك - بالجمار والجمرات - وقوله - ولم أنل فى منى منى النفس - تجنيس التشكيل وقوله - خفت بالخيف - تجنيس مغاير (السادس) تجنيس العكس وهو أن تكون حروف الكلمتين غير مرتبة . مثله من القرآن قوله تعالى « انى أخف أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى » وقد جاء فى الشعر أن يقدم حرفا فى كلمة ويؤخره فى أخرى .. ومنه قول حسان فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم

تَحْمِلُهُ النَّاظَةُ الْأَدْمَاءُ مُعْتَجِرًا بِالْبُرْدِ كَالْبُدْرِ غَشِي نَوْرُهُ الظُّلْمَا

(السابع) تجنيس التركيب وهو أن يجمع بين اسمين أو اسم وفعل ثم يجعلهما كالكلمة الواحدة مثال الاسم مع الاسم - بعل بك . ومعدى كرب - ومثال الفعل مع الاسم حضر موت . ورام هُرمز . وقد جاء فى القرآن العظيم « ألم تركب فعل ربك بعادٍ إِرَمَ ذات العباد » .. وفى الشعر كثير . من ذلك قول بعضهم

إِنْ أَسِيفْنَا الْغَضَابَ الدَّوَامِي جَعَلْتُ مُلْكَنَا مَدِيدَ الدَّوَامِ
بِاقْتِسَامِ الْأَمْوَالِ مِنْ وَقْتِ سَامِ وَاقْتِحَامِ الْأَهْوَالِ مِنْ وَقْتِ حَامِ

•• ومنه

بأبي غزالٍ نالم عن وصي بهِ وسُجُومِ دمي في الهوى وصبيبهِ

•• ومنه قول المتنبي

وشادنٍ قلتُ له هل لك في المنادمةِ

فقال كم من عاشقٍ سَفَكَتُ بالمتى دمه

ومنه في الشعر كثير (الثامن) تجنيس التصريف وهو أن تنفرد إحدى الكلمتين عن الأخرى بحرف مثل قوله تعالى « ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون » • ومثل قوله تعالى « وهم يهزون عنه وينأون عنه » • ومثل قوله « لئلا يكون أهدى من إحدى الأمم » • ومنه قوله صلى الله عليه وسلم - الخيل معقود في نواصيها الخير - •• ومنه قول الأعشى

ورأيتُ أن الشيبَ خا نتهُ البشاشةُ والبشارة

(التاسع) تجنيس الترجيع وهو أن ترجع الكلمة بذاتها كما قال الله عز وجل « لقد أرسلنا رُسُلنا بالبينات » • ومنه قوله عز وجل « إن ربهم بهم يومئذٍ خبيرٌ » • وقوله تعالى « ولكننا كنّا مرسلين » •• ومنه قول الشاعر

وما مُنعتُ دار ولا عزاً أهلها من الناس إلا بالقنا والقنابل

•• وقال الخليل

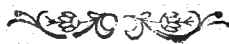
فأنت عليه وماله من ماله بما أفاء ولا أفادَ عناقُ

•• وقال آخر

عذيري من دهرٍ موارٍ موارٍ بهِ له حسناتٌ كلهنّ ذُنُوبُ

•• ولأبي تمام

يَمْدُون من أيدي عواصٍ عواصمٍ تصولُ بأسياقٍ قواضٍ قواضبِ



القسم الثالث والعشرون

(التسهيل)

وهو أن يكون في القافية ما يدل على الكلام أو في أول الكلام ما يدل على القافية كقول أبي حبة

إذا ما تقاضى المرء يومٌ وليلةٌ * تقاضاه دهرٌ لا يملُ التقاضيا

.. ومثله

فليس الذي حَلَمْتَهُ بِمَحَالٍ وليس الذي حرَّمْتَهُ بِمَحَرَّمٍ

.. ومثله

هي الدترُ منوراً إذا ما تكَلَّمْتِ وكالدترُ منظوماً إذا لم تكَلِّمْ

القسم الرابع والعشرون

(الاتفاق والاطراد)

وهو أن يوفق شيئاً لا يتفق عاجلاً مثل قول أبي تمام في الغزل

لَسَمَى سُلَامَانٍ وَعَمْرَةَ عَامِرٍ وَهَنْدَ بَنِي هَنْدٍ وَسَعْدَ بَنِي سَعْدٍ .. وقوله أيضاً يصف حصاناً

بِحَوَافِرٍ حَفَرٍ وَصَلْبٍ صَلْبٍ وَمَشَاعِرٍ شَعْرِ وَخَاقٍ أَخْلَقَ .. ومن ذلك أيضاً

حَمْدَانُ حَمْدُونَ وَحَدَانُ حَارِثٍ وَلَقْمَانُ لَقْمَانُ وَلَقْمَانُ رَاشِدٌ وهذه كلها تعسفات ليس في القرآن العظيم منها شيء



﴿ فصل ﴾

وقد كان ينبغي أن يكون مقدماً في أول الكتاب ذكر ما اشتق منه القرآن والسورة والآية والكلمة والحرف وبيان معانيها . . أما القرآن فاشتقاقه فيه قولان . أحدهما التبع والجمع من قولهم قرأت الماء في الحوض اذا تتبعته وجمعه فيه فهو جامع لما في كتب الاولين المنزلة على سائر النبين . والثاني أنه مشتق من الاظهار والبيان لأنه أظهر سائر العلوم المحتاج اليها . أمر الدين والدنيا وجمع بينها وكلاهما حسن والاول أظهر وقد يأتي القرآن بمعنى الصلاة في مثل قوله تعالى « وقرآن الفجر » أى صلاة الفجر وبمعنى القراءة . . وفي مرثية عثمان رضى الله عنه

نَحْوًا بِأَشْمَطَ عَنَوَانُ السُّجُودِ بِهِ يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقِرَاءَةً

. . وأما السورة ففيها أربعة أقوال . الاول أنها سميت بذلك لعظمها وعلو شأنها من قولهم فلان سورة من المجد . الثانى سميت بذلك لكرمها وتماها من قولهم فلان سورة من الاهل أى أقوام كرام . الثالث أنها قطعة من القرآن واشتقاقها من السؤر الذى يفضل من الشارب وعلى هذا يكون أصلها الهز وإنما ترك لانضمام ما قبله فأبدلوا منه واوآ . الرابع سميت سورة لأن قارئها ينتقل من منزلة فى الآخر الى منزلة أعلا منها . . قال الشاعر

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ مَلَكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ

كَأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبٌ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوَكَبٌ

ومعناه أعطاك منزلة فوق منازل الملوك وهو قول حسن . . وأما الآية ففيها أربعة أقوال . الاول أنها اشتقت من العلامة والآية علامة لانقطاع الكلام الذى قبلها . الثانى أنها سميت بذلك لأنها كلمات مجتمعة من القرآن من قولهم خرج القوم بآيتهم أى بجماعتهم . الثالث الآية الرسالة والقصد . . قال الشاعر

أَلَا أَبْلَغَا هَذَا الْمَعْرُضَ آيَةً أَيْقِظَانِ قَالَ الْقَوْلُ إِذْ قَالَ أَمْ حَلُمُ

معناه بلغاه رسالة والآية رسالة من الله الى نبيه وخلقه . الرابع إنما سميت بذلك لأنها

عجب لانها تشبه كلام البشر ولا يقدرّون على الاتيان بمنّلهما من قولهم فلان آية من الآيات أى عجب وهو قول حسن . . وأما الكلمة فهى اللفظة الدالة على المعنى المفرد أو على معنيين أحدها حقيقة والآخر مجاز وهى فى كتاب الله تعالى تطلق ويراد بها معان سبعة . أحدها كلمة التوحيد وهى لا إله إلا الله . الثانى تطلق ويراد بها الشرك قال الله تعالى « وجعل كلمة الذين كفروا السفلى » يعنى الشرك « وكلمة الله هى العليا » يعنى كلمة الاخلاص والتوحيد . ومنه قوله تعالى « وجعلها كلمة باقية فى عقبه » قال مجاهد والسدى هى قول لا إله إلا الله . الثالث تطلق ويراد بها الوعد . ومنه قوله تعالى « ولولا كلمة سبقت من ربك » يعنى وعدهم الساعة . قال الله تعالى « بل الساعة موعدهم » . الرابع تطلق ويراد بها دعاء الله الخالق اليه . ومنه قوله تعالى « الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله » الآية . الخامس تطلق ويراد بها عيسى عليه الصلاة والسلام . ومنه قوله تعالى « وكنته ألقاها الى مريم وروح منه » ساء كلمة لأنه أوجده بالكلمة وهى قوله « كن » . السادس تطلق ويراد بها القصة والقصيدة والعرب يقولون كلمة امرئ القيس يريدون قصيدته ويقولون خبرنا كلمة فلان يريدون قصته . وفى الحديث - واستحلّتم فروجهن بكلمة الله - يعنى النساء كأنه يشير الى قوله تعالى « فامساك بمعروف أو تسريح بإحسان » . السابع تطلق ويراد بها الكلمة الواحدة المفردة التى جمعها كلمات . والكلمات فى كتاب الله تعالى تأتى على ستة معان . الاول تطلق ويراد بها علم الله سبحانه وتعالى . ومنه قوله تعالى « لنفقد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً » . الثانى يراد بها مواعيده سبحانه وتعالى . ومنه قوله تعالى « لا تبدل لكلمات الله » أى لا تخلف لما وعد . الثالث تطلق ويراد بها الخصال . ومنه قوله تعالى « وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن » أى بعشر خصال من الطهارة معروفة . الرابع تطلق ويراد بها الاعتراف وطلب المغفرة . ومنه قوله تعالى « فتلقي آدم من ربه كلمات » وهى قوله تعالى « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » . الخامس تطلق ويراد بها عيسى عليه الصلاة والسلام قاله الهروى فى قوله تعالى « وصدقت بكلمات ربها » . السادس تطلق ويراد

بها القرآن . ومنه الحديث - أعوذ بكلمات الله التامات - يعنى القرآن قاله الهرولى أيضاً وغيره . . . وأما الحرف فله فى كتاب الله تعالى ولسان العرب محامل . أحدها الافة يقال هذا حرف بنى فلان أى لغتهم . الثانى يطلق ويراد به معنى من المعانى . ومنه الحديث - نزل القرآن على سبعة أحرف - أى على سبعة معان . الثالث يطلق ويراد به أحد القراءات وعليه حل بعضهم قوله صلى الله عليه وسلم نزل القرآن على سبعة أحرف . الرابع يطلق ويراد به الآية . ومنه الحديث - لكل حرف ظهر وبطن وحدث ومقطع - وفى رواية - ولكل آية منه ظهر وبطن وحد ومقطع - . الخامس يطلق ويراد به الشك . ومنه قوله تعالى « ومن الناس من يعبد الله على حرف » أى على شك . وقال ابن عرفة معناه على غير طمأنينة . السادس يطلق ويراد به الجانب . ومنه قول ابن عباس - أهل الكتاب لا يأتون النساء الأعلى حرف - أى جنب . ومنه حرف الجبل جانبه . السابع الحرف الذاقة . . . ومنه قول كعب بن زهير

حرف أخوها أبوها من مُهَجَّةٍ وعُمها خالها قوداه شَمِيلُ

• الثامن يطلق ويراد به أحد حروف الهجاء التى يجمعها أبجد

﴿ فصل ﴾

(فى ذكر اعجاز القرآن العظيم)

قد تكلم العلماء فى ذلك فقال قوم إعجازه من جهة إيجازه واحتواء لفظه القابل على المعانى الكثيرة مثل قوله تعالى « ولکم فى القصص حیات » الآية . وقوله تعالى « اذ فرعوا فلا فوات » الآية . وقوله تعالى « فكللاً أخذنا بذيئيه » الآية . وقوله تعالى « فاصدع بما تؤمر » . وقوله تعالى « وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء » . وقوله تعالى « فلما استياسوا منه خلصوا نجياً » . وقوله تعالى « ومن يطمع الله ورسوله ويخش الله ويتقّه فأولئك هم الفائزون » . وقوله تعالى « لله الأمر من قبل ومن بعده » . وقوله تعالى « ألا له الخلق والأمر » الآية وأشباها كثير اذا تأمات

الكتاب العزيز وجدت فيه من هذا كثير . . وقد اعترض على هذا القول بأنه قد وجد في السنة وكلام العرب ما لفظه قائل ومعناه كثير مثل قوله صلى الله عليه وسلم - الأعمال بالنيات والمجالس بالأمانات - . وأشباهه كثير . . وقال قوم إعجازه من جهة حسن تركيبه وبديع ترتيب ألفاظه وعدوبة مساقها وجزالتها ونخامتها وفصل خطابها . . وقال قوم إعجازه من غرابة أسلوبه العجيب واتساقه الغريب الذي خرج عن أعاريض النظم وقوانين النثر وأساجيع الخطب وأنماط الأراجيز وضروب السجع . . وقد اعترض على هذا القول من وجوه . الأول لو كان الابتداء بالأسلوب معجزاً لكان الابتداء بالأسلوب الشعر معجزاً . الثاني أن الابتداء بالأسلوب لا يمنع الغير من الإتيان بمثله . الثالث أن الذي تعاطاه مسيلة من الحماقة في معارضة « أنا أعطيناك الكوثر » - والطاحنات طحناً - هو أسلوب في غاية الفظاظة والركاكة وكان مبتدئاً به ولم يعد ذلك معجزاً بل عدّ سُخفاً ومُحَقّاً . الرابع لما فاضلنا بين قوله تعالى « ولكم في القصص حياة يا أولى الألباب » وبين قولهم - القتل أنى للقتل - لم تكن المفاضلة بسبب الوزن وإنما تعاقب الإعجاز بما ظهرت به الفضيلة . الخامس أن وصف العرب القرآن بأنّ له حللوة وأنّ عليه لطلاوة لا يابق بالأسلوب . . وقال قوم إعجازه بمجموع هذه الوجوه الثلاثة وهذا الكلام يحتاج الى نظر لان مجموع هذه الأقسام الثلاثة إنما تكون معجزة في حق العرب خاصة لان الفصاحة والبلاغة فيهم جبلة وخلقة وهم فرسانها أصحاب قصبات السبق فيها الى الامد لا يباريهم فيها أحد ولا يجاريهم في مضمارها جواد ولا يماريهم في التفرد بها ممار ذو عناد قد ألفت الأمم اليهم فيها مقاليد الأذعان وخفضوا لهم جناح الذل بما حصل لهم عندهم من العرفان فثبت لديهم أن أحداً لا يجاريهم في هذا المضمار ولا يداينهم في اظهار ولا إضرار فجاءهم هذا الكتاب العزيز بقاصمة الظهر وفادحة القهر ودعوا الى المعارضة فلم يقدموا وندبوا الى المساجلة والمجاربة فأمسكوا وأحجموا وقرعوا بقوارع التوبيخ والتقريع فركبوا خيول العجز واستلأموا فقامت الحججة عليهم بذلك وصحت المعجزة لديهم لحصول التحدى والعجز عن الإتيان بمثله . . وأما الأعاجم ومن يجري مجراهم فلا تقوم عليهم بذلك حجة ولا تنصح فيهم بذلك معجزة لانهم معترفون أن الفصاحة

ليست من شأنهم ولا مضارها من حليات ميدانهم والله سبحانه أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة احمرهم واسودهم قال الله تعالى « قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً » . وقال تعالى « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً » ولا يثبت إعجازه على الكافة الا بما يعزب على الكافة الاثبات بمثله مع اعترافهم بان في مقدورهم من جنسه ولو جاء موسى لقومه بالفصاحة وعيسى لبني اسرائيل بالبراعة لما قامت لهما على قومهما بذلك حجة . . وقال قوم انما وقع اعجازه بما فيه من المعاني الخفية والجلية وفنون العلوم النقية والعقلية . . وأصحاب هذا القول لهم في ذلك خمسة مذاهب منهم من قال اعجازه فيما جاء فيه من أخبار القرون السالفة في الأزمنة الحالية والأعصر الماضية في الاماكن القاصية والدانية وقصص الانبياء مع أممها مما التمسوه منه مثل قصة أهل الكهف وقصة الخضر وموسى عليهما الصلاة والسلام وحال ذي القرنين وما لم يسأله عنه من قصص نعمة الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين مع تحققهم أنه أمي لا يحسن الكتابة ولا تقدمت منه دراسة ولا سبقت منه رحلة ولا انتهت اليه نحلة ولم يكن بأرضه من يعلم الاخبار ويقتنى الآثار سوى أهل الكتاب الذين صرح بسبهم وأطلق لسانه في ثلبهم وضلل عقولهم وهجن طريقهم وأظهر معائبهم ولو كان أحد منهم أطلعهم على شيء ذلك أو اعلمه به لقالوه بالافصاح في الرد عليه ولملؤا الارض بالتشنيع والتفريع وحيث لم يتقل ذلك علم أنه لم يعلمه بشر وليس ذلك الا من جهة الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد مع أنه قد تعرض جماعة من سفهائهم فقالوا ما أخبر الله عنهم « انما يعلمه بشر » وكانوا يقولون انه سلمان الفارسي وغيره فرد الله سبحانه عليهم بقوله « لسان الذي يلحدون اليه أعجمي » وهذا لسان عربي مبين » . وقد اعترض على هذا القول بأن بعض سور القرآن ليس فيها شيء من ذكر القرون الماضية والأعصر الحالية وتلك السورة معجزة قد تحداهم الله بالاثبات بمثلها فلم يقدرها . . ومنهم من قال اعجازه بما فيه من الاخبار بما يكون وما كان مما وقع على حكم ما أخبر به مثل قوله تعالى « اذا جاء نصر الله » الى آخرها وقوله « لندخان المسجد الحرام ان شاء الله آمين » . وقوله تعالى « ألم غلبت الروم » الآية وقوله « ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون » . وقوله

«وعند الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات» الآية . وقوله «قل ان كانت لكم الدار الآخرة» الآية . وقوله «فان لم تفعلوا ولن تفعلوا» . وقوله «انا نحن نزلنا الذكر» الآية . وقوله «سيهزم الجمع ويولون الدبر» . وقوله «قاتلوهم بعدهم الله بأيديكم» الآية . وقوله «هو الله الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق» . وقوله «لن يضروكم الا اذى» . وقوله «من الذين هادوا سماعون للكذب» . وقوله «يخفون في أنفسهم» . وقوله «ويقولون في أنفسهم» . وقوله «من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه» . وقوله «يعدكم الله احدى الطائفتين» . وقوله «انا كفيناك المستهزين» . وقوله «والله يعصمك من الناس» الى غير ذلك مما كشف به اخبار المارقين وأسرار المتأففين وكان جميعه كما أخبر وصدق الله ورسوله . وقد اعترض على هذا القول بأن بعض سور القرآن ليس فيها شيء من الاخبار بالمغيبات وتلك السور معجزة قد تحداهم الله بالآيات بمنها فلم يقدر واعلى ذلك وضاعت عليهم مع فصاحتهم المسالك . . ومنهم من قال اعجزه بما احتوى عليه من العلوم التي لم يسبق اليها أحد من البشر قبل نزوله ولا اهدت اليها فطن العرب ولا غيرهم من الامم . . وقد اعترض على هذا القول بأنه قد وجد في السنة وكلام العرب مثل هذا ولم يعد معجزة . . ومنهم من قال اعجزه حصل بما فيه من نشاط القلوب الواعية وغير الواعية اليه واقبالها بوجه المودة عليه واستحلاء طعم عذوبة ألفاظه ومعانيه وهشاشتها بما يتردد عليها من مبشرات المبهجة ومخدراته المزججة وآياته المقلقة وأخباره الموقفة مع كثرة قرعه للإسراع وصدعه بما يخالف الطباع ومع ذلك فالقلوب مقبلة على اذكاره راغبة في تكراره شجيرة عند سماع مزماره يمجّد ذلك منهم السبر والفاجر والمؤمن والكافر قال الله تبارك وتعالى «الله نزل أحسن الحديث» الآية . . وروى أن نصرانياً مرّ بقارئ فوقف يبكي ف قيل له مم بكائك قال الشجاء والنظم . . وفي الحديث الذي وصف به النبي صلى الله عليه وسلم القرآن بأنه لا يخفى على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تنفد عجائبه هو الفصل ليس بالهزل لا تشبع منه العلماء ولا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به اللسان وهو الذي لم تلبث الجن حين سمعته أن قالوا «انا سمعنا قرآنا نجياً» الآيات . . وقد اعترض على ها

القول بأنه قد يوجد في السنة وكلام فصحاء العرب وأشعار فحول الشعراء ما يحسن موقعه وتشرئب النفوس الى سماعه ولا تمله على تكراره . ومنهم من قال اعجازه بما يقع في النفوس منه عند تلاوته من الروعة وما يملأ القلوب عند سماعه من الهيبة وما ياحقها من الخشية سواء كانت فهمة لغانية أو غير فهمة أو عامة بما يحتويه أو غير عامة كافتة بما جاء به أو مؤمنة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحسك فهذه الفية لم تزل تعتري من سمعه وقد اعترت جماعة من الصحابة قبل الاسلام وبعده فمات منهم خلق كثير من المؤمنين وسلبت به عقول كثير من الموقنين وتدلته به ألباب جماعة من المحسنين . وقد صح أن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية « أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ » . الى قوله تعالى الميطرون كاد قاي أن يطير . وفي رواية أول ما وقر الايمان في قاي . . وروى أن عتبة بن ربيعة كلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ماجاء به من خلاف قومه فتلا عليهم « حَمِ فَصَّات » . الى قوله صَاعِقَةٌ مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادَ وَثُمُودَ » فأمسك عتبة على في رسول الله صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم أن يكف . وفي رواية فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مُصنَعُ مَقٍ بيده خلف ظهره معقداً عابها حتى انتهى الى السجدة فوجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لا يدرى بما يراجمه ورجع الى أهله ولم يخرج الى قومه حتى أتوه فاعتسروا اليهم وقال لقد كننى كلاماً ما سمعت أذنائى بمثله قط فما دريت ما أقول له ومثل هذا كثير . . وأما من مات عند سماع تلاوة القرآن من المؤمنين وزال عقله وتدلته من المحبين وراجع الامر من المذنبين العاصين فكثير لا يمكن حصره ولا يسعنا هاهنا ذكره فكتب الرقائق فيها من ذلك كثير . . وقد اعترض هذا القول بأن جماعة من أرباب القلوب وذوى الاستغراق في بديع أوصاف المحبوب حصل له من سماع بعض الاشعار ما أخرجه عن طوره وربما مات على فوره . . وقال قوم اعجازه حفظ آياته من التبديل وصون كلماته من النقل والتحويل ولا يستطيع أحد أن يتخيف منه سبطاً ولا يزيده شكلاً ولا نقطاً ولا يدخل فيه كلمة من غيره ولا يخرج منه أخرى ولا يبدل حرفاً بحرف وذلك من آياته

السكبرى وكم جهد أهل العناد فى ذلك فما قدروا له وما استطاعوا وكم قصدوا تحريفه فأتى الله ذلك فأذعنوا له وأطاعوا . . . روى أن يهودياً تكلم فى مجلس المتوكل فأحسن الكلام وناظر فعلم أنه من جملة الاعلام وناضل فتحققوا أنه مسدد السهام فدعاه المتوكل الى الاسلام فأتى وأقام لفرط الالباء على مذهب الآباء بعد أن بذل له المتوكل ضروباً من الانعام وصنوفاً من الرفعة والاکرام وراجعته فى ذلك مرة بعد أخرى فلم يزد ذلك الا طغياناً وكفراً فغاب عنه مدة ثم دخل الى مجلسه وهو يعلن الاسلام ويدين دينه فقال له المتوكل أسلمت قال نعم قال ما سبب اسلامك فقال لما قطعت من عنقى قلادة التقليد وصرت من رتبة الاجتهاد الى مرتقى ما عليه مزيد نظرت فى الاديان وطلبت الحق حيث كان فأخذت التوراة فنظرت فيها وتدبرت بمعانيها وكتبتها بخطى وزدت فيها ونقصت ودخلت بها السوق وبعيتها فلم ينكر أحد من اليهود منها شيئاً وأخذت الانجيل وزدت فيه ونقصت ودخلت به السوق وبعيته فلم ينكر أحد من النصارى منه شيئاً وأخذت القرآن وقرأته وتأملته فاذا « انا نحن نزلنا الذكر » وانه له الحافظون « فكتبت وزدت فيه ونقصت ودخلت به السوق وبعيته فنظر فيه المسلمون فعفروا المواضع التى زدت فيها ونقصت وردوا كل كلمة الى موضعها وكل حرف الى مكانه فعلمت أنه الحق لتحقيق وصفه بأنه كلام الله الذى لا يأتى الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فأمنت به وصدقت ما جاء به

﴿ فصل ﴾

اختار القاضى عياض وجماعة أن الاعجاز الظاهر المتحقق انما هو فى الاربعة الاول حسن تأليفه والتثام كله وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادات العرب .
الثانى صورة نظمه العجيب الاسلوب الغريب الخالف لاساليب كلام العرب .
الثالث ما انطوى عليه من الاخبار بالمفيسات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما أخبره الرابع ما أتى به من اخبار الفرون السالفة والامم البائدة والشرائع الدائرة وما عدى هذه الاربعة ومادلت عليه خصائص تفرّد بها وما أثر يستأثر بحصولها . . . وقال قوم وجوه اعجازه ثمانية وفرد

قد منهاها في الفصل الذي قبل هذا الفصل وزاد بعضهم على هذا ونقص آخرون . . وقال قوم اعجازه في خروج الايتان بمثله عن مقدور البشر . . وقال قوم اعجازه صرف الله خلقه عن القدرة على الايتان بمثله ولولا ذلك لدخل تحت مقدورهم . . وقد اعترض على هذا القول بوجوه ثلاثة . الاول أن عجز العرب عن المعارضة لو كان من أجل أن الله تعالى عجزهم عنها بعد أن كانوا قادرين عليها لما كانوا مستعظمين لفصاحته بل يجب أن يكون تعجبهم من تعذر ذلك عليهم بعد أن كان مقدوراً لهم كما أن نبياً لو قال معجزتي أني أضع يدي على رأسى هذه الساعة ويكون ذلك متعذراً عليكم ويكون الامر كما زعم لم يكن تعجب القوم من وضعه يده على رأسه بل من تعذر ذلك عليهم ولما علمنا بالضرورة أن تعجب العرب كان من فصاحة القرآن نفسه بطل القول بالصرف . الثاني لو كان كلامهم مقاربا في الفصاحة قبل التحدى لفصاحة القرآن لوجب أن يعارضوه بذلك ولما كان الفرق بين كلامهم بعد التحدى وكلامهم قبله كالفرق بين كلامهم بعد التحدى وبين القرآن ولما لم يكن كذلك بطل ذلك . الثالث أن نسيان الصيغ المعلومة في مدة يسيرة يدل على زوال العقل ومعلوم أن العرب ما زالت عقولهم بعد التحدى فبطل أن يكون الاعجاز بالصرف بل الاعجاز ليس بالصرف . . وكل واحد من هذه الافوال يحتمل أن يكون معجزة اذا تحدى بها الرسول صلى الله عليه وسلم وعجزوا عن الايتان بمثل ما تحدى به . وسمى هذا القول معجزة لتعجيزه من رام معارضته والايتان بمثله لانها اسم فاعل من أعجزت يقال أعجزت هذه القصة فهي معجزة . . والذي يتعين اعتقاده أن القرآن بجملة ألفاظه ومعانيه وبعضه وكلمه معجزة اما لسلب قدرتهم عن الايتان بمثله واما لصرفهم عنه لأن النبي صلى الله عليه وسلم تحدى به وعرض عليهم الايتان بمثله فعجزوا عن ذلك ولأن الله سبحانه أخبر انهم لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهراً أو عشر سور من مثله فعجزوا عن ذلك أو سورة منه أو آية لتحديه صلى الله عليه وسلم بها وعجزهم عن الايتان بمثلها هذا الذي وقع عليه تصريح الكتاب وصريح الخطاب ولا مهرب في ذلك ولا خلاف (فان قال قائل) ان سورة من القرآن معجزة ومع هذا انها لم تحتو على جميع ما أودع القرآن من الایجاز وضم و

البيان وعذوبة المساق وغرابة الاسلوب والاخبار عن القرون السالفة في الأعصر الماضية الى غير ذلك مما تقدم ذكره (فالجواب عنه) أن السورة من القرآن جامعة لجميع ما ذكرناه اما منطوق به أو مشار اليه ولهذا قال سبحانه وتعالى « فأتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله » فما وقع التحدى الا بسورة منكرة أى سورة كانت فهذا دليل على أن القرآن العظيم قد احتوت أقصر سورة فيه من المعاني البديعة والفصاحة التي تسد بها عن معارضته الذريعة ونضرب لك مثالا ليتحقق عندك ما ذكرناه فنقول سورة الكوثر أقصر سورة وفيها من الالفاظ البديعة الرائقة التي اقتضت بها أن تكون مبهجة والمعاني المتبعة الفاتقة التي اقتضت بها أن تكون معجزة أحد وعشرون نهاية في قوله « انا أعطيناك الكوثر » ونهاية في قوله « فصلّ لربك وانحر » وخسة في قوله « إن شئت لك هو الأثر » أما الثمانية التي في قوله « انا أعطيناك الكوثر » فالاول ان قوله « انا أعطيناك الكوثر » دلّ على عطية كثيرة مسندة الى معط كبير ومن كان كذلك كانت النعمة عظيمة عنده وأراد بالكوثر الخير الكثير ومن ذلك الخير الكثير ينال أولاده الى يوم القيامة من أمته . جاء في قراءة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه - النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وأزواجه أمهاتهم - ومن الخير الذي وعد به ما أعطاه الله في الدارين من مزايا التعظيم والتقديم والثواب ما لم يعرفه الا الله . وقيل ان الكوثر ما اختص به من النهر الذي مؤه أحلى من كل شئ وعلى حافاته أوانى الذهب والفضة كالنجوم أو كعدد النجوم . . الثانية أنه جمع ضمير المتكلم وهو يشعر بعظم الربوبية . . الثالثة انه بنى الفعل على المبتدأ فدل على خصوصية وتحقيق على ما بينا في باب التقديم والتأخير . . الرابعة انه صدر الجملة بحرف التوكيد الجارى مجرى القسم . . الخامسة انه أورد الفعل بلفظ الماضى دلالة على أن الكوثر لم يتناول عطاء العاجلة دون عطاء الآجلة . ودلالة على أن المتوقع من سيب الكريم في حكم الواقع . . السادسة جاء بالكوثر محذوف الموصوف لأن اثبت ليس فيه ما فى المحذوف من فرط الإيهام والشياع والتناول على طريق الاتساع . . السابعة اختيار الصفة المؤذنة بالكثرة . . الثامنة أتى بهذه الصفة مصدرة باللام المعروف

بالاستغراق لتكون لما يوصف بها شاملة وفي اعطاء معنى الكثرة كاملة . وأما الثمانية التي في قوله « فصل لربك وانحر » فالاول فاء التعقيب هاهنا مستفادة من معنى التسبب لمعينين . أحدهما جعل الأنعام الكثيرة سبيلاً للقيام بشكر المنعم وعبادته . الثانية جعله لترك المبالاة بقول العدو فان سبب نزول هذه السورة أن العاص بن وائل قال ان محمداً صنبور - والصنبور - الذي لا عقب له فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه السورة . الثالثة قصده بالأمر التعريض بذكر العاص وأشباهه من كانت عبادته ونحوه لغير الله وثبت قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصراط المستقيم واخلصه العبادة لوجهه الكريم . الرابعة أشار بهاتين العبادتين الى نوعي العبادات أعنى الاعمال البدنية التي الصلاة قوامها والمالية التي نحر الابل سنامها للتنبيه على ما لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الاختصاص في الصلاة التي جُمِلت فيها قرة عينه ونحر الابل التي همته فيه قوية . روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه أهدى مائة بدنة فيها جل في أنفه بُرَّةً من ذهب . الخامسة حذف اللام الأخرى لدلالة الاولى عليها . السادسة مراعاة حق السجعة الذي هو من جملة صنعة البديع اذا ساقه قائله مساقاً مطبوعاً ولم يكن متكلفاً . السابعة قوله - لربك - فيه حسنان . وروده على طريق الالتفات التي هي أم من الامهات . وصرف الكلام عن لفظ المضمر الى لفظ المظهر وفيه اظهار لكبرياء شأنه واثباته لعز سلطانه ومنه أخذ الخلفاء - بأمرك أمير المؤمنين بكذا - وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين خطب الازدية الى أهلها قال خطب اليكم سيد شباب قريش مروان بن الحكم . الثامنة علم بهذا أن من حقوق الله التي تعبد العباد بها انه ربههم ومالكهم وعرض بترك التماس العطاء من عبد مرئوب ترك عبادة ربه . . وأما قوله جل جلاله - ان شئتُك هو الابتر - ففيه خمس فوائد . الاولى انه علل الامر بالاقبال على شأنه وترك الاحتفال بشأنه على سبيل الاستثفاف الذي هو حسنٌ حسنٌ الموقع وقد كثرت في التنزيل موافقه . الثانية ويتجه أن نجعلها جملة الاعتراض مرسله ارسال الحكمة الخاتمة الاغراض كقوله تعالى « إن خير من استأجرت القوى الأمين » وعنى بالشأن العاص بن وائل . الثالثة انما لم يسمه باسمه

ليتناول كل من كان في مثل حاله . الرابعة صدر الجملة بحرف التوكيد الجارى لجرى القسم وعبر عنه بالاسم الذى فيه دلالة على انه لم يتوجه بقلبه الى الصدق ولم يقصد بلسانه الافصاح عن الحق بل نطق بالشكّان الذى هو قرين البنى والحسد وعين البغضاء والحرد ولذلك وسمه بما ينبئ عن الحقد . الخامسة جعل الخبر معروفة وهو الايتر والشائئ حتى كأنه الجمهور الذى يقال له الصنبور . ثم هذه السورة مع علو مقامها وتام مقطعها واتصافها بما هو طراز الامركله من مجيئها مشحونة بالتشكك الجللائن مكتنزة بالحاسن غير القلائل فهى خالية عن تصنع من يتناول التشكيت ويعمل بعمل من يتعاطى بمحاجته التبيك (قال المصنف عفا الله عنه) والاقترب من هذه الاقاويل الى الصواب قول من قال ان اعجازه بحرسته من التبديل والتغيير والتصحيح والتحريف والزيادة والنقصان فانه ليس عليه ايراد ولا مطعن (وقال بعض العلماء) ان اعجازه انما وقع بكون المتكلم به علماً براده من كل كلمة وما يليق بها وما ينبئ أن يلائمها من الكلام وما يناسبها فى المعنى لا يخفى عنه ما دق من ذلك وما جل ولا . مصرف كل كلمة ولا ما لها وغير الله تعالى لا يقدر على ذلك لأنه أحاط بكل شئ علماً وأحصى كل شئ عدداً وهذا القول من الاقوال التى لا مطعن عليها . وقد عدد العلماء وجوهاً من اعجازه غير ما ذكرناه الاولى أن تعد من خصائصه (وقال قوم) اعجازه من جهة أن التحدى وقع بالكلام القديم الذى هو صفة قائمة بالذات وان العرب اذا تحدوا بالتماس معارضتهم له والانيان بمثله أو بمثل بعضه كانوا ما لا يطاق . ومن هذه الجهة وقع عجزهم . وهذا القول أيضاً حسن والله أعلم

﴿ فصل ﴾

فما احتوى عليه هذا الكتاب العزيز من تلوين الخطاب ومعدوله وقنون البلاغة وضروب الفصاحة وأجناس التجنيس وبدائع البديع ومحاسن الحكم والامثال مفصلاً ومجماً خاطب العرب بلسانهم لتقوم به الحجة عليهم والخطاب

الوارد عليهم يتقسم الى قسمين باق على أصل مدلوله وموضوعه ومعدول به عن حقيقته الى مسدوعه والمجموع ما عدل وما لم يعدل مائة وعشرون قسماً (الاول) خطاب عام وهو ما أريد به جميع من يعقل مثل قوله تعالى « واتقوا الذي خلقكم والجليلة الأولى » وقوله « والله خلقكم وما تعملون » . (الثاني) خطاب خاص بلفظ عام كقوله تعالى « أ كفرتم بعد ايمانكم » وقوله تعالى « هذا ما كنزتم لانفسكم » . (الثالث) خطاب الجنس مثل قوله تعالى « يا أيها الناس » . (الرابع) خطاب النوع مثل قوله تعالى « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد » ويريد بنى آدم من صلبه خاصة وقوله تعالى « يا بني اسرائيل » . (الخامس) خطاب العين كقوله تعالى « يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة » . يانوح اهبط بسلام منا . يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا . (السادس) خطاب المدح مثل قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا » . (السابع) خطاب الذم كقوله « يا أيها الذين كفروا » . (الثامن) خطاب الكرامة كقوله تعالى « يا أيها الرسول بلغ » . (التاسع) خطاب الالهانة كقوله تعالى « أنك رجيم » . (العاشر) خطاب الجمع بلفظ الواحد كقوله تعالى « يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم » . (الحادى عشر) خطاب الواحد بلفظ الجمع كقوله تعالى « وان عاقبتهم فاعقبوا بمثل ما عوقبتهم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » خاطب بذلك النبي صلى الله عليه وسلم بدليل قوله « واصبر وما صبرك الا بالله » . ومنه قوله تعالى « ولا تأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم » خاطب بذلك أبا بكر رضى الله عنه حين حرم مسطحاً رفدته حين تكلم في حديث الافك (الثانى عشر) خطاب الواحد بلفظ الاثنين كقوله تعالى « القيا في جهنم كل كفار عنيد » والخطاب لملك خازن النار تقديره ألقى ألقى وقد سمع عن بعض العرب يا حرسى اضربا عنقه - وقد حمل بعض الائمة قول امرئ القيس

* قاتبك من ذكرى حبيب ومنزل *

على هذا الحمل (الثالث عشر) خطاب العين والمراد به الغير كقوله تعالى يخاطب به

النبي صلى الله عليه وسلم « لئن أشركت ليحبطن عملك » والمراد به أمته . الرابع عشر الخروج بخطاب الحضرة الى الغيبة مثل قوله تعالى « حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم » . الخامس عشر الخروج من الغيبة الى الحضور كقوله تعالى « فاما الذين اسودت وجوههم ا كفرتم بعد ايمانكم » . وقوله تعالى « وسقاهم دهم شراباً طهوراً ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً » . السادس عشر خطاب النحن مثل قوله تعالى « يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله » الى قوله « تشعرون » . السابع عشر اطلاق اسم العلم على المعلوم . الثامن عشر اطلاق المعلوم على العلم . التاسع عشر اطلاق القدرة على المقدور . العشرون اطلاق اسم الارادة على المراد . الحادى والعشرون اطلاق اسم المراد على الارادة . الثانى والعشرون اطلاق اسم الفعل على أول جزء منه وعلى آخر جزء منه . الثالث والعشرون اطلاق اسم الأمل على المأمول . الرابع والعشرون اطلاق اسم الوعد والوعيد على الموعد . الخامس والعشرون اطلاق اسم العقد والعهد على الملتزم بهما . السادس والعشرون اطلاق اسم البشرى على المبشر به . السابع والعشرون اطلاق اسم القول على المقول . الثامن والعشرون اطلاق اسم النبأ على النبأ به . التاسع والعشرون اطلاق الاسم على المسمى . الثلاثون اطلاق اسم الكلمة على المتكلم . الحادى والثلاثون اطلاق اسم اليمين على المحلوف عليه . الثانى والثلاثون اطلاق اسم الحكم على المحكوم به . الثالث والثلاثون اطلاق العزم على المعزوم عليه . الرابع والثلاثون اطلاق اسم الهوى على المهوى . الخامس والثلاثون اطلاق اسم الخشية على الخشى . السادس والثلاثون اطلاق المحب على المحبوب . السابع والثلاثون اطلاق اسم الظن على المظنون . الثامن والثلاثون اليقين على المتيقن . التاسع والثلاثون اطلاق اسم الشهوة على المشتهى . الاربعون اطلاق اسم الحاجة على المحتاج . الحادى والاربعون اطلاق اسم السبب على المسبب . الثانى والاربعون اطلاق اسم الكتابة على الحفظ . الثالث والاربعون اطلاق اسم السمع على القبول . الرابع والاربعون اطلاق اسم الايمان على ما نشأ عنه . الخامس والاربعون اطلاق اسم المسبب على السبب . السادس والاربعون اطلاق

اسم العقوبة على الاساءة . السابع والاربعون اطلاق اسم الأكل على الأخذ . الثامن والاربعون اطلاق اسم الغلبة على المقاتلة التي هي سبب عنها . التاسع والاربعون اطلاق اسم الرجز والرجم على عبادة الاصنام . الخمسون اطلاق اسم المغفرة على التوبة . الحادى والخمسون اطلاق اسم الكبرياء على الملك . الثانى والخمسون اطلاق اسم القوة على السلاح . الثالث والخمسون اطلاق اسم الاعطاء والايلاء على الالتزام . الرابع والخمسون اطلاق اسم الفعل على غير فاعله . الخامس والخمسون اطلاق اسم الفعل على سببه . السادس والخمسون اطلاق اسم الفعل على الامر به . السابع والخمسون اطلاق اسم البعض على الكل . الثامن والخمسون اطلاق اسم الكل على البعض . التاسع والخمسون اطلاق اسم القيام على الصلاة . الستون اطلاق اسم الركوع عليها . الحادى والستون اطلاق اسم السجود عليها . الثانى والستون اطلاق اسم القراءة عليها . الثالث والستون اطلاق اسم التسبيح عليها . الرابع والستون اطلاق اسم الذكر عليها . الخامس والستون اطلاق اسم الاستغفار عليها . السادس والستون اطلاق اسم الذقن على الوجه . السابع والستون اطلاق اسم الانف على الوجه . الثامن والستون اطلاق اسم الرقبة على الجملة . التاسع والستون اطلاق اسم اليدين على الجملة . السبعون اطلاق اسم اليمين على الجملة . الحادى والسبعون اطلاق اسم المضد على الجملة . الثانى والسبعون اطلاق اسم الاصابع على الارجل . الثالث والسبعون اطلاق اسم الوجه على الجملة . الرابع والسبعون اطلاق اسم بعض الرأس على الرأس . الخامس والسبعون اطلاق اسم بعض الاذن على الاذن . السادس والسبعون وصف الوجه بالخشوع والخشوع انما يكون فى القلوب . السابع والسبعون وصفها بالرضى . الثامن والسبعون وصف الجميع بما هو وصف البعض . التاسع والسبعون اطلاق اسم الفعل على مقاربه ومساوقه . الثمانون اطلاق اسم الفعل على ما كان عليه . الحادى والثمانون اطلاق اسم الشئ على ما يؤل اليه . الثانى والثمانون اطلاق اسم المتوهم على المتحقق . الثالث والثمانون اطلاق اسم الشئ على ما يظنه الناظر وهو على خلافه . الرابع والثمانون التعبير بالاذن عن المشيئة . الخامس والثمانون اطلاق اسم الشئ على ما لازمه . السادس والثمانون اطلاق

اسم الحلال على المحل • السابع والثمانون اطلاق اسم الافواه على الألسن • الثامن
والثمانون التعبير بالألسنة عن اللغات التاسع والثمانون اطلاق ترك الكلام على الغضب
• التسعون التعبير بالاياس عن العلم • الحادى والتسعون التعبير بالدخول عن الوطء •
الثانى والتسعون اطلاق اسم الاسد على الشجاع • الثالث والتسعون اطلاق اسم الفوز
والحياة على الايمان • الرابع والتسعون اطلاق اسم الظلمة والموت على الجهل •
الخامس والتسعون اطلاق اسم السراج والنور على الهادى • السادس والتسعون
اطلاق اسم الحطب على النخلة • السابع والتسعون اطلاق اسم الانسان على تناله •
الثامن والتسعون التجوز بالمضى عن المستقبل • التاسع والتسعون التجوز عن الماضى
بالمستقبل • المائة اطلاق اسم الخبر عن النهى • الحادى بعد المائة اطلاق لفظ الخبر عن
الدعاء • الثانى بعد المائة اطلاق الامر على الخبر • الثالث بعد المائة تؤكد الخبر •
الرابع بعد المائة التجوز بجواب الشرط عن الامر • الخامس بعد المائة التجوز بلفظ
النهى عن أشياء ليست مرادة بالنهى وانما يراد بها ما يقاربها ويلازمها • السادس بعد
المائة التجوز بالنهى لمن لا يصح نهيها وانما المراد به من يصح نهيها • السابع بعد المائة
التجوز بنهى من يصح نهيها والنهى فى الحقيقة غيره • الثامن بعد المائة التجوز بهل عن
الامر والنهى والتقرير • التاسع بعد المائة التجوز بهمزة الاستفهام عن الامر والايجاب
والتقرير والتوبيخ • العاشر بعد المائة التجوز بنى ويتجوز بها فى مواضع قد تقدم
ذكرها فى فصل المجاز • الحادى عشر بعد المائة التجوز بعلى ويتجوز بها فى مواضع
مضى ذكرها فى باب المجاز عن عن وهى حقيقة مجاوزة جرم عن جرم ويتجوز بها فى
المعاني وقد تقدم ذكره • الثانى عشر بعد المائة التجوز بمن وهى حقيقة فى ابتداء الغاية
فى الامكنة ويتجوز بها عن ابتداء الغاية فى الازمنة • الثالث عشر بعد المائة حرف ثم
وتستعمل حقيقة فى التراخي المعنوى ومجازاً فى التراخي الزمانى • الرابع عشر بعد المائة
حرف - ما - قال سيويوه هى للاصناف والاخلاط وهى حقيقة فى الاجرام وتجاوز
فى المعانى • الخامس عشر بعد المائة حرفا - لعل وعسى - وحقيقتهمما الترجى والتوقع
ويتجاوز بهما فى الايجاب

فهذه مائة وخمسة عشر قسماً اذا حررت بتفاصيلها جاوزت المائة وعشرين نوعاً بل أكثر من ذلك وقد ذكرناها مفصلة معينة بشواهداها من الكتاب العزيز والكلام الفصيح وأشعار العرب والمحضرين والمتأخرين ولسأل الله العون والصون والتوفيق الى ما يقربنا اليه ويزلفنا لديه والله الموفق لا رب غيره ولا يستعان بسواه ..

﴿ يقول مصححه عما الله عنه ﴾

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى (وبعد) فقد تم بعون
الله وحسن توفيقه طبع كتاب (الفوائد المشوق الى علوم القرآن
وعلم البيان) لمؤلفه شيخ الاسلام على التحقيق ناصر
السنة قانع البدع شمس الدين أبي عبد الله محمد
المعروف بابن قسم الجوزية وهو كما ترى لم يؤلف في
بلاغة القرآن مؤلف على مثاله ولم تنسج
يد ناسج على منواله . وكان طبعه
بمصر والحمد لله الذي بنعمته تتم
الصالحات والصلاة والسلام
على سيدنا محمد وآله
وصحبه ماتعاقبت
الافاق

فهرست كتاب

الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان

الموضوع	صفحة
خطبة الكتاب	٢
القسم الأول في الكلام على الفصاحة والبلاغة وفيه عدة أقسام	٩
القسم الأول في حد الفصاحة والبلاغة واشتقاقهما والفرق بينهما	٩
الكلام في الحقيقة وأقسامها	١٠
الكلام في المجاز وأقسامه	١٠
القسم الثاني : اطلاق اسم السبب على المسبب	١٦
القسم ٣ اطلاق اسم المسبب على السبب	١٨
القسم ٤ اطلاق اسم الفعل على غير فاعله	٢٠
القسم ٥ الأخبار عن الجماعة بما يتعلق ببعضهم	٢١
القسم ٦ اطلاق اسم البعض على الكل	٢٢
القسم ٧ اطلاق اسم الكل على البعض	٢٣
القسم ٨ وصف الكل بصفة البعض	٢٤
القسم ٩ اطلاق اسم الفعل على مقاربه	٢٥
القسم ١٠ اطلاق اسم الشيء على ما كان عليه	٢٥
القسم ١١ اطلاق اسم الشيء على ما يؤثر اليه	٢٥

القسم ١٢	اطلاق اسم المتوهم على المحقق	٢٦
القسم ١٣	اطلاق اسم الشيء على الشيء الذي يظنه المعتقد والأمر على خلافه	٢٦
القسم ١٤	التضمنين	٢٧
القسم ١٥	في مجاز الزوم	٢٨
القسم ١٦	التجوز بالمجاز عن المجاز	٣١
القسم ١٧	التجوز في الأسماء	٣١
القسم ١٨	التجوز في الأفعال	٣٢
القسم ١٩	التجوز بالحروف	٣٦
القسم ٢٠	الاستعارة	٤٣
فصل	وهذه جملة مما احتوى عليه القرآن الكريم من أقسام الاستعارة	٤٦
القسم ٢١	في التشبيه	٥٤
فصل	في التمثيل	٦٦
القسم ٢٢	في الإيجاز والاختصار	٦٨
القسم ٢٣	في التقديم والتأخير	٨٢
القسم ٢٤	في الجمع بين الحقيقة والمجاز	٨٦

(الكلام على ما يختص بالمعاني وينقسم إلى عدة أقسام)

القسم ١	التناسب ويسمى التشابه أيضاً	٨٧
القسم ٢	التكميل	٨٩
القسم ٣	التنميط	٩٠
القسم ٤	التقسيم	٩٠
القسم ٥	المؤاخاة	٩٣
القسم ٦	الإعراض والحشو	٩٤

صفحة

الموضوع

٩٨	الالتفات	القسم ٧
١٠٤	الحمل على المعنى	القسم ٨
١٠٦	الزيارة في البناء	القسم ٩
١٠٦	الإطالة والإسهاب	القسم ١٠
١١١	التكرار	القسم ١١
١١٦	القسم	القسم ١٢
١١٧	الاقتباس	القسم ١٣
١٢١	التذييل	القسم ١٤
١٢٢	المغالطة	القسم ١٥
١٢٥	الإشارة	القسم ١٦
١٢٦	في الكناية	القسم ١٧
١٣٣	التعريض	القسم ١٨
١٣٥	الاستطراد	القسم ١٩
١٣٦	التورية	القسم ٢٠
١٣٦	الاحتجاج النظري	القسم ٢١
١٣٧	حسن المطالع والمبادئ	القسم ٢٢
١٣٨	حسن المقطع	القسم ٢٣
١٣٩	براعة الاستهلال	القسم ٢٤
١٤٠	الانتقال من فن إلى فن ويسمى التخلص	القسم ٢٥
١٤١	الاقتضاب	القسم ٢٦
١٤٥	التطبيق	القسم ٢٧
١٤٧	المقابلة	القسم ٢٨
١٥٢	الاحتراس	القسم ٢٩
١٥٢	الاختصاص	القسم ٣٠

الموضوع	صفحة
القسم ٣١ الاختراع	١٥٦
القسم ٣٢ الهدم	١٥٧
القسم ٣٣ الاستفهام	١٥٨
القسم ٣٤ المزلزل	١٦٠
القسم ٣٥ التعجب	١٦١
القسم ٣٦ السلب والإيجاب	١٦١
القسم ٣٧ الهزل الذي يراد به الجحد	١٦٢
القسم ٣٨ التلميح	١٦٢
القسم ٣٩ النسخ والسلخ والمسح	١٦٣
القسم ٤٠ التعديد	١٦٤
القسم ٤١ المَوْجَّه	١٦٥
القسم ٤٢ المحتمل الضدين	١٦٥
القسم ٤٣ التجريد	١٦٧
القسم ٤٤ الرجوع والاستدراك	١٦٨
القسم ٤٥ السؤال والجواب	١٦٩
القسم ٤٦ التوهم	١٧٠
القسم ٤٧ التشعيب	١٧١
القسم ٤٨ الاستثناء	١٧١
القسم ٤٩ الغرابة والظرافة والسهولة	١٧٢
القسم ٥٠ ما يوهم فساداً وليس بفساد	١٧٥
القسم ٥١ النادر والبارد	١٧٨
القسم ٥٢ المساواة والتقصير	١٧٨
القسم ٥٣ التصريح بعد الإيهام	١٧٩
القسم ٥٤ التعقيب المصدري	١٨١

صفحة

الموضوع

١٨٢	القسم ٥٥	النفي والإثبات
١٨٤	القسم ٥٦	الضمائر وما يتعلق بها
١٨٥	القسم ٥٧	الفصل والوصل
										فصل يشتمل على ذكر جمل عطف بعضها على بعض بالواو والفاء
١٨٨		و ثم ...
١٨٩	القسم ٥٨	في الوصف
١٩٠	القسم ٥٩	تنسيق الصفات بغير حرف نسق
١٩١	القسم ٦٠	حسن النسق
١٩٢	القسم ٦١	المدح والذم
١٩٤	القسم ٦٢	الحمد والشكر
١٩٥	القسم ٦٣	تأكيد المدح بما يشبه الذم
١٩٥	القسم ٦٤	المبالغة
١٩٧	القسم ٦٥	الثناء والتعزية
١٩٨	القسم ٦٦	الشكاية
١٩٩	القسم ٦٧	الحكاية
٢٠٠	القسم ٦٨	الاقتضاء
٢٠١	القسم ٦٩	التذكير
٢٠١	القسم ٧٠	الوعد والوعيد
٢٠٢	القسم ٧١	العتاب والإنذار
٢٠٣	القسم ٧٢	الاعتاب
٢٠٣	القسم ٧٣	الاعتذار
٢٠٤	القسم ٧٤	تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل
٢٠٧	القسم ٧٥	الخطاب بالجملة الفعلية والخطاب بالجملة الاسمية

الموضوع	صفحة
القسم ٧٦ لام التأكيد	٢٠٨
القسم ٧٧ الاقتصاد والإفراط والتفريط	٢٠٨
القسم ٧٨ الغزل	٢١٠
القسم ٧٩ التشبيب	٢١١
القسم ٨٠ الاستدراج	٢١٢
القسم ٨١ خذلان المخاطب	٢١٤
القسم ٨٢ التعليق والإدماج	٢١٥
القسم ٨٣ الاستخدام	٢١٦
القسم ٨٤ التفجير	٢١٧

الفن الثاني

القسم الأول التهذيب	٢١٨
القسم ٢ الانسجام	٢١٩
القسم ٣ الاشتقاق	٢٢٠
القسم ٤ الجزالة والرزالة	٢٢٢
القسم ٥ السهل الممتنع	٢٢٣
القسم ٦ الرشاقة والجهامة	٢٢٤
القسم ٧ الفك والسبك	٢٢٤
القسم ٨ الحل والعقد	٢٢٥
القسم ٩ الازدواج	٢٢٥
القسم ١٠ تضمين المزدوج	٢٢٦
القسم ١١ التسجيع	٢٢٦
القسم ١٢ الترصيع	٢٢٩
القسم ١٣ التسميط	٢٣٠

الموضوع	صفحة
القسم ١٤ التجزي	٢٣١
القسم ١٥ التوشيح	٢٣٢
القسم ١٦ براعة المطلب وحسن التوسل	٢٣٣
القسم ١٧ المخالفة	٢٣٣
القسم ١٨ لزوم ما لا يلزم	٢٣٤
القسم ١٩ التفويف	٢٣٥
القسم ٢٠ التطريز	٢٣٦
القسم ٢١ ما يقرأ من الجهتين	٢٣٨
القسم ٢٢ رد العجز على الصدر	٢٣٩
فصل	٢٤٠
القسم ٢٣ التسهيل	٢٤٣
القسم ٢٤ الاتفاق والاطراد	٢٤٣
فصل	٢٤٤
فصل في إعجاز القرآن العظيم	٢٤٦
فصل	٢٥١
فصل	٢٥٥
فهرست	٢٦١